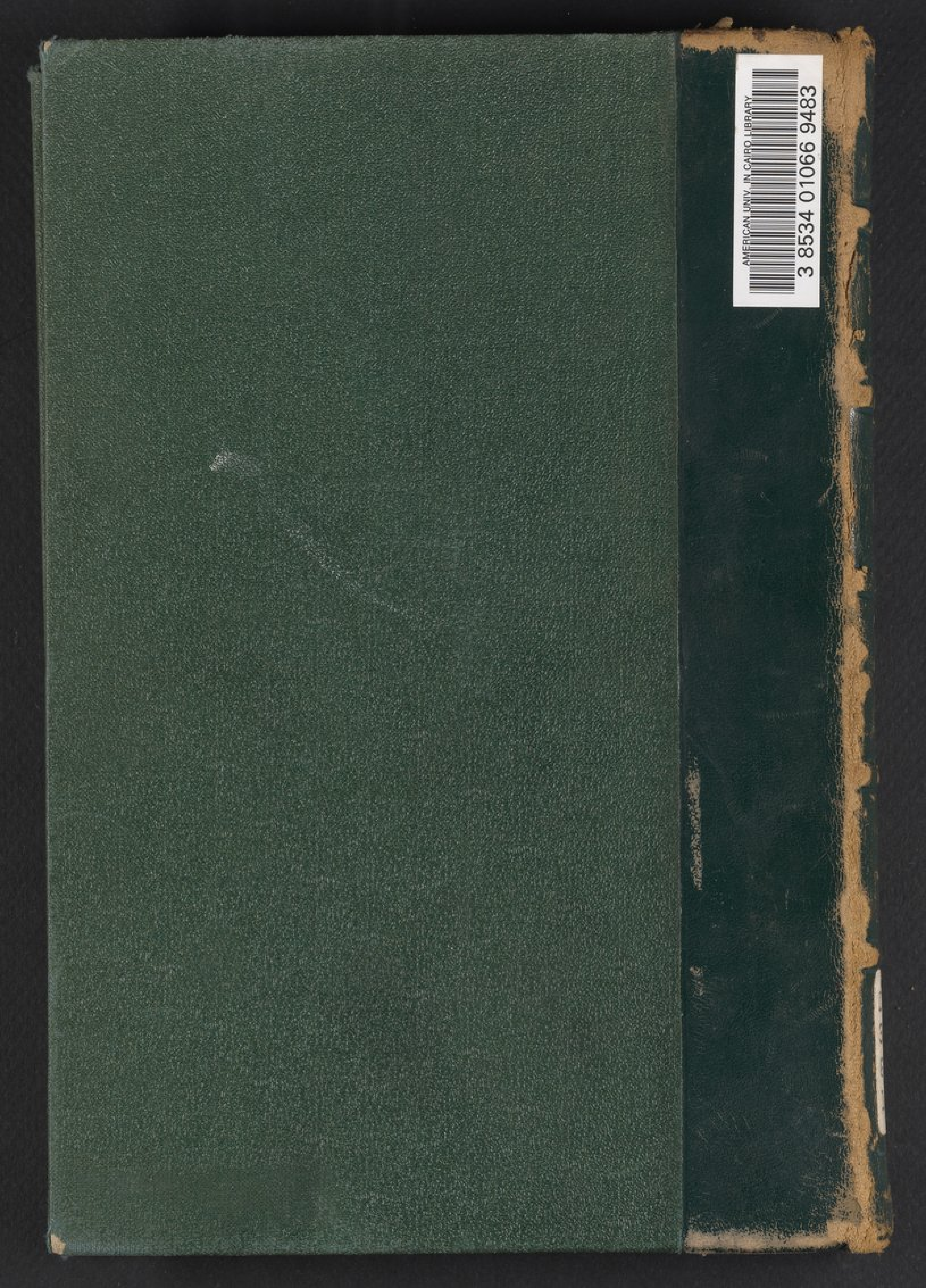
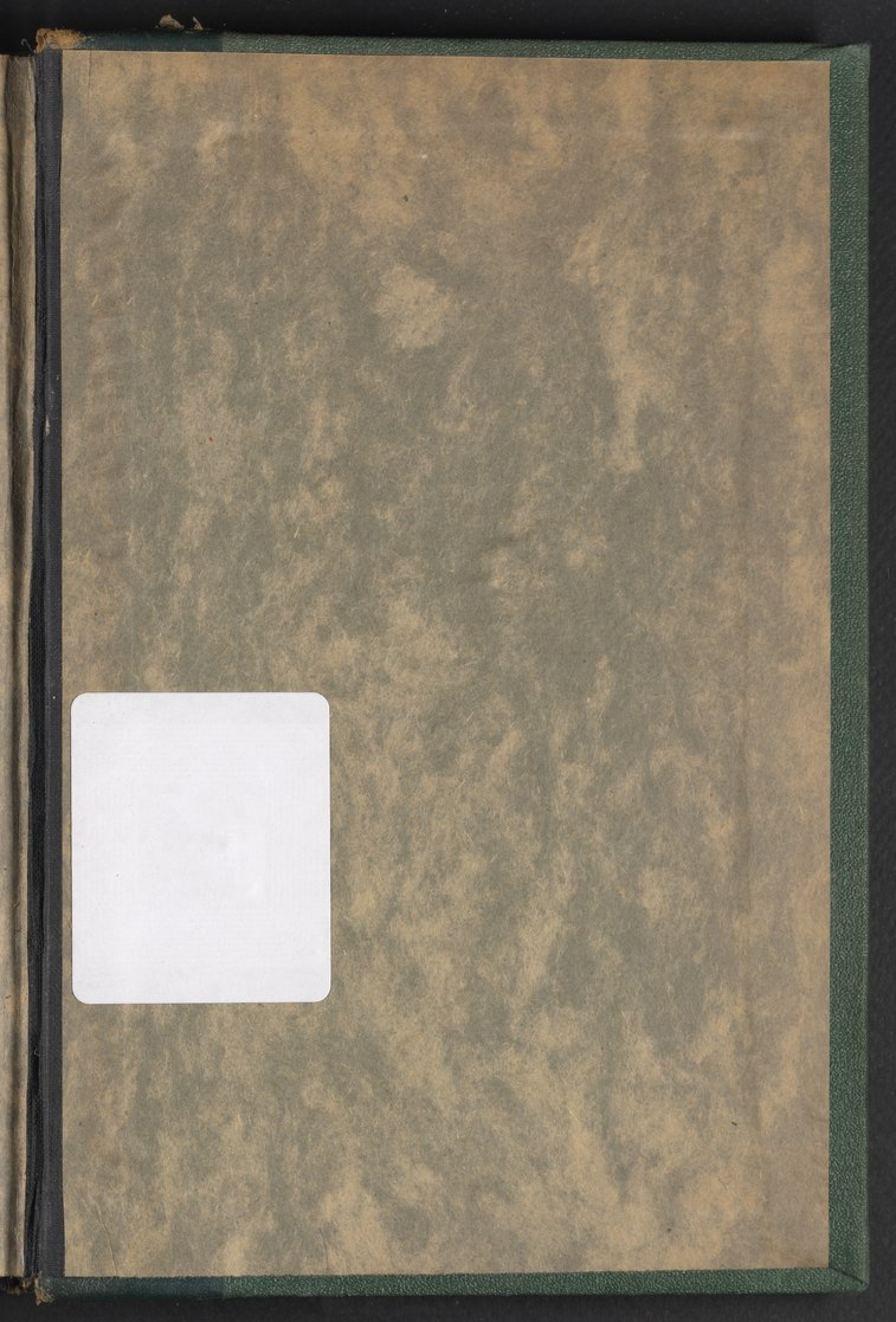
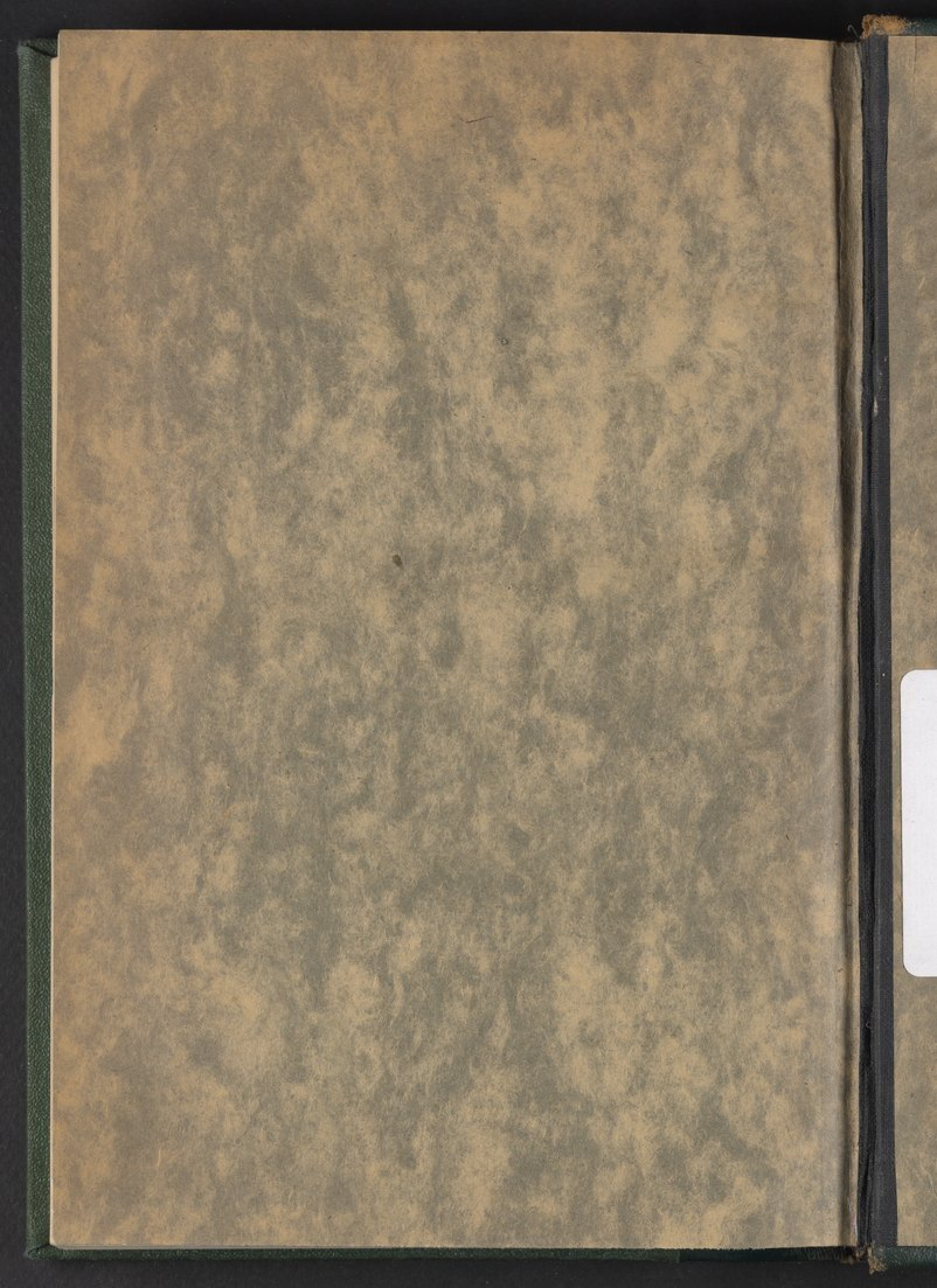

AMERICAN UNIV. IN CAIRO LIBRARY
3 8534 01066 9483





كتاب

فواصل الجمان

فى انباء وزراء وكتاب الزمان

بقلم الكاتب الاديب

محمد غريط

الطبعة الاولى

سنة ١٣٤٦

طبع على نفقة

عبد العزيز بوطالب ٭ شارع القسارية — بفاس



المطبعة الجديدة ٭ بالطالعة عدد ١١ بفاس

☆ كلمة الناشر ☆

حمداً لمن نبه كل فكرة . الى ابراز ما تخلد ذكره . وصلاةً وسلاماً على المبعوث من اشرف اسرة . وعلى من قدروا قدره . فاكثروا شكرهُ وتطيبوا بنشر ادبهِ الزاكى فالتزموا نشرهُ . وبعد فلما كانت النفوس اللاطيفة لها تشوق والتفات . الى نوادر المؤلفات . واحرى ماضم اخبار الملوك . ومن لهم في منهجهم القويم سلوك . وكان كتاب

فواصل الجمان في انباء وزراء وكتاب الزمان

تاليف الاديب الشهير الكاتب شاعر مغربنا ومؤرخه

السيد محمد نجل الصدر السابق السيد محمد المفضل غريط

مشتملاً على ما تقتضيه تسميته من تراجم بعض وزراء وكتاب الدولة الشريفة . العلوية المنيفة . مع ماقام به وتكفل . من تقييد شوارد يمكن ان تغفل . ومناسبات ادبية . لاستدعاء النشط ملبية . بادرنا لنشره خدمة لادباء العصر . وعززنا به قلائد العقيان وسلافة العصر . وليعلم ان في زوايا المغرب خبايا . ستصيرها روح النهضة جلايا . بسعادة صاحب الامامة العظمى . والامارة الكبرى . سلطاننا الافخم الامجد

ابي عبد الله سيدي محمد

خلد الله ملكه ونصره * وابد تاييده ونخره *

عبد العزيز بوطالب



الاهداء

حمداً لمن جعل الادب حلية تعريف . وحلة تشريف . كما جعل التاريخ للافكار سلوانا . ولدرر الاخبار صوانا . وصلاةً وسلاماً على من امده الله بتوفيقه وحكمته وايده على تهذيب امته . ومد من هدايته سبباً لنيل رحمته . وعلى ءاله وصحابته . وتابعيه وقرابته . وبعد فانني منذ الفت ﴿ كتاب فواصل الجمان . في انباء وزراء وكتاب الزمان ﴾ وانا اقدم رجلا وأخر اخرى . واتردد بين نشره او تركه مطويا في قشره . وان كان نشره احرى الى ان رأيت الادب والتاريخ ءاخذين حظهما من الاحتفاء . ظافرين بعد ضعفهما بالشفاء . مقدورين حق قدرهما . نائلين قرة عينهما وشرح صدرهما . بتخلص الشبيبة العصرية الناهضة من ربقة تقليد العوائد وتجردهم لتحصيل ما يعود بالفوائد . وجزمهم بان الادب ملبس جمال . وشرط كمال . لا ان له حرفة . تحذر من اتخاذه حرفة اذ . الارزاق مقسومة وفي صحيفة المقادير مرسومة ☆

ان الذي كثر الجهال خشيتهم ☆ مشقة العلم والحرمان بالادب

تلك الشبيبة التي نظرت لمستقبلها نظر مصلح . وعملت لحياتها عمل مفلح . فقدمت هذا الكتاب هدية لجامعتها الادبية والودية . وقلت —

ياشباب العصر نلتم　　عروة الفخر الوثيقة
ولكم مستقبل تبـ　　ـدوا به شمس الحقيقة
ويرى من كان حر الفـ　　ـكر محمود الطريقة
وينال الوصل من كا　　نت له العليا عشيقة
هـذه تحفـة ودٍ　　غضة الحسن انيقة
ضمنت رائق اخبا　　رٍ واشعارٍ رشيقة
فاجعلوها للذي الـ　　ـف في العصر رفيقة

فانتدب لمقابلة ذلك الاهداء خلاصة الاوداء . احد خواص هاتيك الشبيبة . صاحب الاذواق السليمة . والفكرة الحكيمة . والاخلاق الكريمة الحبيبة . الشريف الحسيب . الفقيه الاديب . ابو فارس سيدي ﴿ عبد العزيز بو طالب ﴾ شكر الله جميله . وبلغه من كل خير تاميله فنوه جنابه المشكور . بالكتاب المذكور واعتنى بطبعه . وجذب من وهدة الخمول بضبعه . فكان ذلك العمل اثراً من ءاثار نهضته السنية . وعنوانا على سمو همته السرية . وحسنة من حسنات ايام مولانا الامام الممجد . السلطان الاعظم المؤيد . ابي عبد الله سيدي محمد .

ملك به روض المعارف مزهر   وبه محيا الملك زاه زاهر

مذ لاح في افق الامارة نوره   عم الممالك منه يمن ظاهر

فايسعد القطر المقلد امره   ملك له مجد وسعد باهر

بقي الله بنود نصره منشوره . وسدة قصره بالسعد معمورة .

(محمد غريط)

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وءاله وصحبه وسلم تسليماً



ان انفس ما تتوجت به عقائل[١] الوسائل . وتبرجت[٢] به صدور الكتب والرسائل . ولهج به لسان المتذلل السائل . من عظيم الفضل السائل . حمد من امتع احداق العقول . في حدائق النقول واودع راحة الملول . من معاناة الدال والمدلول . وابانة الصحيح والمغلول . في استجلاء مخدرات[٣] النوادر . ومبتكرات الخواطر فترشف من ريقها المعسول . كؤس الشمول[٤] . واستنشق من ردنها[٥] المسدول . ارج[٦] القبول[٧] . اذا جرت على البطاح الذيول فاصبح فكره

١» عقائل ج عقيلة كسفينة الكريمة المخدرة ٢» تبرجت اظهرت زينته ٣» المخدرة التي الزمت الخدر وهو بالكسر ستر يمد للجارية في ناحية البيت ٤» الشمول الخمر تعرض للشمال فتبرد ٥» الردن بالضم اصل الكم ٦» الارج محركة توهج ريح الطيب ٧» القبول كصبور ريح الصبا .

كعين الديك صفاء . وزهوه كوعد الكريم وفاء . ليس بمصروف ولا بمعدول . ولا في مضمار المساجلة بمخذول . ﴿ نشهد ﴾ انه الله الذي جعل تداول الايام . عبرة لاولي الافهام . وتصاريف الدهور . عنوان مكتوب الفناء والدثور (١) . على كل عامل ومعمول . وموضوع ومحمول . وانفذ حكم من شاء من عباده . في ارضه وبلاده . فمن اساء تجافت (٢) عن شكره النفوس . ومن احسن تباهت بذكره الطروس *

والناس اكيس من ان يحمدوا رجلا حتى يروا عنده آثار احسان

فما لزهر فضله المطلول (٣) . من قحول (٤) . ولا من ذبول . ونشهد ان سيدنا ومولانا محمدا عبده ونبيه . وصفيه ووليه . اشرف مبعوث ورسول . الى كل فاضل ومفضول . واقوى سبب للوصول . الى منازل القبول . صلى الله وسلم عليه وعلى آله واصحابه المستضيئين بنور آدابه . بدور المعارف . وبحور العوارف (٥) . نخب الاصول . وخيار الفصول .

وبعد فان من المعلوم ان لكل زمان رجالا عمرت بهم اندية الادب وازدهت بهم وجوه الرتب . فكانوا لآذانها شنفاً (٦) ولانوفها شمماً (٧) ولثغورها لعسا (٨) ولترائبها (٩) دراً منظما . ولعصرهم ذكرى . ممن اعمل قلماً او فكراً . وان فن التاريخ مما لا يحتاج الى دليل . على ماله من النفع الجليل

١» الدثور كالاندثار ٢» تجافت تباعدت ٣» المطلول الذي سقط عليه الطل وهو المطر الضعيف ٤» القحول اليبس ٥» العوارف ج عارفة المعروف ٦» الشنف بالفتح القرط الاعلى ٧» الشمم ارتفاع قصبة الانف وحسنها ٨» اللعس سواد مستحسن في الشفة ٩» الترائب عظام الصدر

اذ به يعلم الاخر . ما للاول من المفاخر . ويرى ادوار لاكوان
واطوار الازمان . بيد[١] انه قل في هذا القطر طالبه . واقصر[٢] مادحه
لما استطال عائبه . حتى كاد يعد من القصص المكذوبة . والاسانيد
المقلوبة . فكم من حادث وقع بالامس فنسى بالغد . ثم ما تذكر
ولا في السمع تجدد . مع ان من مضوا من اهل هذا العلم العزيز
الفائزين في مضماره[٣] بالسبق والتبريز . كانوا يعقلون شوارده ونوادره
ويقيدون كل حادثة حاضرة . ليتعرف الاتي اخبارهم . ويسلك في
محاسن الاداب ءاثارهم . ولو لم يفعلو لعميت علينا الانباء . وصارت
مئاثر الاولين كالهباء . وجهلت معالم[٤] اولي المعالي . واخر المقدم عن
التالي . واشتبه العاطل بالحالي . وما احسن قول صاحب النبيه
معلوم من شأن هذه البلاد عدم الاعتناء بالتعريف . والتصدي
لذلك بتاليف او تصنيف . فكم من امام مضى وسيد جحجاح[٥]
موصوفاً بالعلم او مشهوراً بالخير والصلاح . لم يقع لهم به اعتناء واحتفال
بل القى في زوايا الاغفال والاهمال .

ولما كانت الوزارة لفظاً شريفاً تعشقه العيون والاذان وظلا
وريفاً[٦] تتعب على تفيئه[٧] القلوب والابدان . ونعيماً دون ادراكه
عقاب لبنان . وموردا معيناً حوله سيوف الاقلام وسهام اللسان
فهى مقود الضر والنفع . وءالة النصب والرفع . والصفة التي سألها

١» بيد بمعنى غير ٢» اقصر انتهى وكف ٣» المضمار غاية الفرس في السباق ٤» معالم ج
معلم كمقعد ما يستدل به ٥» جحجاح سيد عطف مرادف ٦» الوريف المتسع ٧» تفيئه اى
التحول معه والرجوع

الكليم . لصنوه الفصيح الحليم . وكما لايستغني الامير . عن المال والنصير . كذلك لا يستغنى عن الوزير . اذ هو لسانه وعينه ومرءاته التي يتشكل فيها للرعية زينه . ووقايته التي يدرأ[١] بها حر الخطوب ونجيه[٢] الذي تظهر من وجه رايه مباسم الفرج عند الحادث القطوب[٣] وبقدر احتياج الملك اليه احتياجه هو الى كتبة هم اسباب بيت الوزارة ونجوم فلك الادارة . وحفظة صحائف الاحكام . وانامل راحة النقض والابرام . وكان لا يولى في الغالب هاتين الخطتين ويبوأ هاتين المنصتين[٤] . الا من سبك في قالب التجريب . او اخذ من الادب بنصيب .

طالما حضتني محبة الادب واهله . وان لم اكن ممن تجولوا في حزنه وسهله . على جمع طرف من اخبار ووفيات من عاصرتهم او ادركت من عاصرهم من وزراء وكتاب هذه الدولة العلوية العلية ذات المراقب[٥] والمناقب[٦] الجلية . ادام الله اجلالها . وابد قبولها واقبالها . اخص جلالة من مسك رمق العلم بعد ان اشفى[٧] على شفى[٨] ورتق فتوقه بهمته الميمونة ورفى . وجدد من رسم المعارف ما عفا[٩] وميز برايه السديد من اثبته الامتحان او نفى . واروى غروس الادب بعد امحالها[١٠] . واورى[١١] زند

١» يدرأ يدفع والخطوب ج خطب الشان والامر صغر او عظم ٢» النجي كغنى من تساره ج انجية ٣» القطوب العبوس ٤» المنصه بالكسر ما ترفع عليه العروس واستعملت في غيرها توسعا ٥» المراقب ج مرقبة محل الارتقاب وهو الاشراف والاستعلاء ٦» المناقب المفاخر ٧» اشفى اشرف ٨» الشفى حرف كل شيء ٩» عفا درس وانمحى ١٠» الامحال الجدب ١١» اورى الزند اخرج ناره والزند بالفتح العود الذي يقدح به النار

القرائح بعد خمودها واضمحلالها . واوسع نطاق[١] الامل لكل راغب وراج . فنفق متجره النفيس وراج . وارث الخلافة القريشية بالفرض المسلسل . والاستحقاق المقيد والفضل المرسل . من شغفت باسمه ووسمه الابصار والقلوب . « امير المومنين سيدنا ومولانا ابي يعقوب » ادام الله ظل وجوده . متفيئاً في اغوار[٢] هذا الصقع ونجوده . واسرار سعوده وجوده . سارية في ايعاده[٣] ووعوده . وبنوده[٤] وجنوده . لاني لم ار من افرد لهم تاليفا . ولا اوعى لهم تعريفا . مع ان منهم من تسامت به خطته . ولم تخرج عن مناط الاعتدال نقطته . وفيهم من لم تخل اصونة[٥] الملوك من نظمه المسبوك . ونثره المحبوك . وكلما لويت عنان العزم لهذا المراد . واوترت له قوس الحزم والاستعداد . اوي الى قريحة كثيراً ما وعدت فكذبت . وهزتها يد الارتياح فنبت[٦] . مع ما انضم الى ذلك من ان المؤرخ ولو انصف . وتحرى الصدق فيما وصف . انما يثير الاحقاد . وينبش عن عقارب الانتقاد . من جاهل يحكم بتخمينه[٧] وحدسه . او معجب قصر فضل الله على نفسه

ثم ان بعض المتهافتين[٨] على الطمع تهافت الفراش[٩] المتداخلين

١» النطاق فى الاصل شقة تلبسها المرأة وتشد وسطها فترسل الاعلى على الاسفل الى الارض والاسفل ينجر على الارض ليس لها حجزة ولا نيفق ولا ساقان وهو هنا على المجاز ٢» الاغوار ج غور وهو ما انخفض من الارض والصقع بالضم الناحية والنجود ج نجد وهو ما ارتفع من الارض ٣» الايعاد يستعمل فى الشر والوعد فى الخير ٤» البنود ج بند بالفتح وهو العلم الكبير ٥» اصونة ج صوان مايصان فيه المتاع ٦» نبت كلت ٧» التخمين القول فى الشئ بالحدس او الوهم والحدس الظن والتخمين والتوهم فى معانى الكلام والامور ٨» التهافت التساقط والتتابع ٩» الفراش ج فراشة وهى التى تهافت فى السراج

في الامور تداخل الشعرة في الشرب والبرغوث في الفراش . لما بدا له من سماء الوهم برق خلب[١] . وفهم على وطاء السقم تقلب . تعرض لبعض الصدور . وعارض الامر المكتوب والقدر المقدور . فرفع بقوله من رجى نفعه . وخفض بزعمه من لم يسبر غربه [٢] ونبعه [٣] . فحملني صنيعه على ان رميت شقيق زوره . الذي اتى عارضا رمح فجوره . باسهم هذه الكنانة التي هى خلسة من يد الايام وجلسة من جلسات اولي هذا المقام . وسميتها ﴿ فواصل الجمان[٤] في انباء وزراء وكتاب الزمان ﴾ وقسمتها قسمين ووسمت بردها بوسمين .

القسم الاول

في اخبار الوزراء . وما وقع لبعضهم من تعظيم وازراء[٥] .

—⁂—

القسم الثانى

في اخبار الكتاب وما صدر لجلهم من اعزاز واعتاب[٦]

—⁂—

وما اراني بمستوف مناقبهم * ولو نظمت لهم زهر النجوم حلا

ولذلك سلكت سبيل الاختصار . واتيت بما لبعضهم من مستحسن النظام والنثار . مع ما اقتضى التناسب ذكره من نادرة ادبية . وواقعة

١» خلب مطمع مخلف ٢» الغرب شجر لاتسي والسهام ٣» النبع لذلك ٤» الجمان اللؤلؤ
٥» الازراء ادخال العيب والتهاون بالامر ٦ الاعتاب اعطاء العتبى وهى الرضى

عصرية . والله ولى التوفيق والاعانة . والهادى الى سبيل الصواب والابانة .

القسم الاول

في اخبار الوزراء . وما وقع لبعضهم من تعظيم وازراء

الكاتب الوزير

ابو عبد الله محمد بن احمد كنسوس رحمه الله

شاعر بلغ الشعرى[١] . أديب لا تجوع بنات فكره ولا تعرى . خزانة علم واشعار . بحر نوادر وأخبار . لم تنفد نفائسه . ولم يمله مجالسه . استخلصته السعادة من موطنه . استخلاص التبر[٢] من معدنه . فقدم الى فاس معنياً بطلب العلوم . كلفاً باستخراج اسرار المنثور والمنظوم . فامتلا من درر الادب جيبه . وسال على المستفيد سيبه[٣] . وبارى نسيم الصبا مديحه ونسيبه . وجرى فى حلبة[٤] البيان . طلق العنان . فهو كميت[٥] وقته وحبيبه . وكان مستمسكاً من التقوى بعروة . منزوياً عن كل شهوة . مطلعاً على قواعد العلوم الرياضية وحقائقها . واسرار الحروف ودقائقها . ممتنعاً

---

١ الشعرى العبور والشعرى الغميصاء اختا سهيل ٢ التبر بالكسر الذهب والفضة او فتاتهما قبل ان يصاغا فاذ اصيغا فهما ذهب وفضة ٣ السيب العطاء والعرف ٤ الحلبة بالفتح الدفعة من الخيل فى الرهان ٥ الكميت من الخيل الذى خالط حمرته قنوء والمراد به هنا الشاعر المشهور ففيه ايهام التناسب وهو نوع بديع

من : كل كل ذي روح . لما هو عند الحكماء مشروح . استكتبه السلطان مولانا سليمان قدسه الله واغتبط منه بقريحة هامعة [١] . وفطنة جامعة . على ان هذا السلطان كان لشدة اقدامه . وسعيه لمرامه باقدامه . وسهولة حجابه . واستبداده بسلبه وايجابه . لم تكد تظهر لوزيرمعه سياسة . ولا استقلال برياسة . حتى انه كان يقيد المبيضات بيده انه . ويطرزها ببديع افتنانه . فتكتب بحضره . على وفق نضره . ومن اتى بايسر تغيير . شدد عليه النكير . فمما كتبه حين طرقت العلل جثمان [٢] ملكه . وامتدت ايدي الخطوب لنثر سلكه . مانصه

خالنا القائد عياد سلام عليك وتوابعه وبعد تعلم اننا لو لم يوفقنا الله للخروج مسرعاً وأظهرنا الله للقبائل اظهار رحمة وهناء لله الحمد لفسدت كل قبيلة على عاملها حتى لا ينفعنا احد ولا يصلنا لمكناسة لو دام ذلك الهرج اذ العامل الغاش المنافق شهوته الخوض ويعتذر بالفساد واما المحب الناصح فلم تكن له قدرة على الوصول الينا كما نريد ومن اتى بجميل مرعوباً لا ينفع وعليه فلا يغتر الانسان بهذه السكينة التى من الله بها مع المدارات وجريان العامة على خاطرها فليغتنم الانسان غفلة العامة ويبرم امره ويجعل لها فى غفلتها انشوطة [٣] وسلسلة فى عنقها لا يمكنها معها الجموح فقد جربت وايقظتنا هذه النباة [٤] فما امن مولانا اسماعيل غائلة العامة حتى لم يبق لها فرساً ولا سلاحاً وتركها كالانعام السائمة

---

١ » هامعة سائله ٢ » الجثمان بالضم الجسم والشخص ٣ » الانشوطه كانبوبة عقدة يسهل انحلالها كعقد التكه وعلى هذا التفسير لا يناسب وصفها بما ذكر بعدها ٤ » النباة الصوت الخفى او صوت الكلاب وهو المناسب هنا

منقادة لراعيها بعد جور العمال والسبي والقتل الفادح وقد كان على
ايش وولد بركا والباشا غازي وغانم الحاجي واضرابهم سنة الله التي قد
خلت في عباده فان قال العامة ليس عمال اليوم كاولائك قلنالهم لستم انتم
كذلك الرعية وقلت لهم مارأينا يقوم على العامل الا من لم يتصرف عليه قط
ولاظلم ولااخذ منه الواجب وانمايقوم على العامل الاكابر الذين
منعوا من التصرف في شهواتهم واما الضعيف فلا قدرة له وما رأينا
احداً يشتكي بعامل لقلة دينه اولعدم صلاته وصيامه وزناه مثلا وشربه
الخمر وانما يشتكي بما لايسمعه الشرع منه من كون العامل ليس اخى
ومادرى انه امر بالطاعة ولو لعبد حبشي وقال صلى الله عليه وسلم اد
الذي عليك واطلب من الله الذي لك ولم يقل انتصر لنفسك فاحتفظ
بهذا الكتاب فان فيه حكماً وسياسة ويقراه عليك من يفهمه لك
واحفظه عندك فاى الناس اظهر الله سياسته كمولانا الجد اسماعيل فقد
كان البربر كلهم لهم عامل واحد وولد بركا وفلان وفلان في اقليم
وكان جاعلا لكل قبيلة اشياخاً لاكن الفساد هو الذي جراهم علينا
وبالقهر امتثلو امره فعليه اذ انزلنا ان شاء الله تادلا فعند ذلك ان شاء
الله شد روحك مع ءايت يوسي ورد المظالم كلها واقبض اهل الفساد
وانزل بعين السمار بمن بقى من الاوداية وحلتها كلها لاتبعد عن
زرعها وقل لهم ان اصلحتم انفسكم بايديكم انا ضامن لكم خاطر السلطان
والافانه ياتيكم من بهت على ءازر على ثيث ونحن من هنا وتكون ان
شاء الله محلة ابن ناصر عن يمينك والسيد محمد السلاوى بالداروج حتى

تصلح ان شاء الله تلك القبائل التى دب فيها الفساد وترد المظالم وهذا الكتاب عند نزولنا تادلا ان شاء الله وجزه مع طالبك حتى يقراه على السيد محمد الشاهد واما اليوم فاكتمه وسر بما انت سائر به من الاحسان وملاطفة العامة على شهواتها والانسان يفر امام عدوه اذا كان على غير اهبة ثم يكر والسلام ثم رقى المترجم له الى منصة الوزارة.

وازداد نجمه انارة. لما انحرفت الرعية عن طاعة السلطان. وجاهر اهل فاس بنقض مبايعته. واصروا على مناواته[١] ومقاطعته. وصاحت ديوك الفتنة على تضب العصيان واستحوذ[٢] الاسافل على الرؤساء والاعيان. وبويع بفاس مولاى ابراهيم ثم مولاى سعيد ابنى يزيد واستوزر ابن سليمان. ومكث السلطان بمراكش يرتق[٣] الفتوق. ويستجيش[٤] من به يثق رأيه يتوق[٥]. حتى هبت ريحه بعد ركودها[٦]. والتهبت جمرة امرته غب[٧] خمودها. فثاب الى فاس وقد زجر[٨] بحر فتنة اهلها. وصحت عامتها وخاصتها من سكرة جهلها. وتبرمت[٩] من باسائها[١٠]. وسئمت تحكم رؤسائها. فاسلمت اميرها الثانى الى الاول. فما انحرف عن حلمه الغزير ولا تحول. بل اغضى عن جرم الجميع وتطول. واسند الخلافة والعمالة بفاس الى ولى عهده. ومعينه بجده وجهده. من كان برق الامارة من سماء سعده يشام[١١]. مولانا عبد الرحمان بن هشام. ثم سافر لمراكشة وصدر له بزاوية الشرادى ما صدر. مما لا عتب فيه على القدر.

١» مناواته مباعدته ٢» استحوذ غاب واستولى ٣» الرتق ضد الفتق ٤» يستجيش اى يجعله جيشاً ٥» يتوق يشتاق ٦» الركود السكون ٧» غب بعد ٨» زجر رجع بعد مدة ٩» تبرمت ضجرت ١٠» الباساء الداهية ١١» يشام يتراءى

ثم انتقل متأثراً من ذلك الحادث. الى رحمة الباعث الوارث.

وفى الحديث مجال لانطيل به. وفى الاشارة ما يغني عن الكلم. ولماولى الخلافة من جدد رسمها. وجود وسمها. واحيي زهرتها بعد ان كانت ذاوية[١]. وعمر بيوت اموالها بعد ان الفيت خاوية. اول الدولة الثانية. الامام الذى صارت قطوف[٢] الامن به دانيه. والرعية لثمار فضله فى ظل عدله جانية. الطالع فى افق الملك طلوع بدر التمام. مولانا عبد الرحمان بن هشام. ولى الوزير المذكور كتابة انشائه. واولاه نعمة عفوه واغضائه. عن سوابق حادت عن سبيل ارضائه. وقلما سلم وزير ملك من تغير خلفه. ان سلم من تلفه. فقام صاحب الترجمة بما طوقه على تخوف لم يسوغ له استنامة[٣]. وظنون لم تدع له استقامة. الى ان حدث له ماحرك حفائظ[٤] سلطانه. وغير معين صفحه وامتنانه. من اتهامه بالميل والتشيع. الى من له تشوف للملك وتطلع. واتفق ان السلطان وجده لذلك المتشوف محادثا. فصدق من كان فى عقد اذايته لذلك نافثا. فاعتقل وامتحن. وتجوهل قدره وامتهن.

ومن يحمد الدنيا لشئ يسره ❊ فسوف لعمرى عن قليل يذمها
اذا اقبلت كانت على المرء فتنة ❊ وان ادبرت كانت كثيرا همومها

ثم سرح وما كاد. بعد مقاساة الهموم والانكاد.

واخبرنى من له مزيد اطلاع على حقيقة امره ان السلطان كان يعتقد ما نقل فيه زوراً وتدليساً. ويكاد يلعن ناقله كما يلعن ابليسا. حتى رءاه

١» ذاوية ذابلة ٢» القطوف ج قطف بالكسر العنقود ٣» الاستنامة الاطمئنان ٤» حفائظ ج حفيظة الحمية والغضب واحفظه اغضبه

لبعض اولائك الشرفاء جليسا . بفناء دارهم بزقاق الحجر فعلم ان الساعى فيه ما
كذب ولا فجر . وكان هؤلاء الاشراف فى بقية من ثروة . وتمسك
من الطمع فى ميل الرعية بعروة . ودالة ومن بعهد . جاد به ابوهم عن
تخير وجهد . لمن رءاه باعبائه مضطلعا . وعلى اسراره مطلعا . اقتداءً
بالصديق وسليمان بن عبد الملك ابن مروان . فى استخلاف العمرين
عليهم الرحمة والرضوان . واجتمع للسلطان بهذا الاتفاق . من التأثر
والاشفاق ما لم يجتمع . وليس من رءا كمن سمع . ولا ذنب اعظم
عند الملوك من التعرض لاعراضهم . والخروج عن اغراضهم . والاقبال
على من بلى باعراضهم . فتحمس الواشى وقويت حجته . واتسعت فى
التضريب محجته . واذ افقد المرء سعوده اعان فعله حسوده . فاطرحه
السلطان ونبذه وانفذ فيه ما انفذه . ثم اشخص الى مراكشة على اسوء
حال . فى ابان اوحال . فمكث بالحرم الغزوانى محترما . وللعزلة ملتزما .
الى ان زار السلطان ذلك الحرام فخضع بين يديه . واستمنح مما لديه .
فقال له مازلت حيا . فقال نعم ولطريق الخوف والسكينة منتحيا .
فقال لك الامان فتوجه حيثما تشا . لا تخاف دركاً ولا تخشى .
وبقى حليف اذ كار وسمير اسفار واشعار . مع احترام الملوك وولاتهم .
واتصال جوائزهم وصلاتهم . الى ان صار ضجيع احجار . فى عام اربعة وتسعين
ومائتين والف و دفن بروضة الامام السهيلى بمراكشة وله تاريخ سماه الجيش
العرمرم[1] قد اجلب[2] على سرح الادب خميسه[3] . وزهى فى مسرح

---

[1] العرمرم الكثير [2] اجلب صاح والسرح المال السائم [3] الخميس الجيش المقسم اخماساً

النواظر تعريسه[١]. ورسالة سماها الحلل الزنجفورية. فى اجوبة الاسئلة الطيفورية. سدد فيها اسهمه البيانية. لبعض المنكرين على طريقته التجانية. ومن قصائده المزري بأرج[٢] الكباء[٣] نشرها. المفترعن شنب[٤] البلاغة ثغرها. ماخاطب به باى تونس على لسان السلطان مولانا عبد الرحمان قدسه الله

حكم تلوح من الجناب الاقدس * من ضل يحدس كنهها لم يحدس
سبحان من صدف[٦] النهى[٧] ان تجتلى * أنوار غيب كالظلام الحندس[٨]
بهرت عجائب لطفه فى خلقه * فتر مدت متوقدات الانفس
عظمت مواهبه وعم نواله * كل الورى من محسن او من مسى
تجرى على حكم السوابق بيننا * افعاله بيد القضاء الانفس
فمن ابتغى اعلا المعالى فليكن * متهدياً كملوك حضرة تونس
ملئت بواطن منهم بتعشق * للخير والقربات فعل الاكيس
فتبادرت أهل العناية منهم * لاقامة الدين المنير المقبس
ماشئت من امداد كل مجاهد * ومدرس لعلومه فى مدرس
ومجالس للعلم محتفا بها * اهل التقى ياحسنه من مجلس
قرت عيون الدين اذ رفعوا له * اعلا منار فى براح بسبس[٩]
فجزاهم المولى الكريم بفضله * بجنى فعال طيبات المغرس

١» التعريس النزول ليلا ٢ الارج توهج ريح الطيب ٣ الكباء العود الهندى ٤ الشنب حركة ماء ورقة وبرد وعذوبة فى الاسنان ٥ الظن والتخمين والتوهم في معاني الكلام ٦ صدف صد ٧» النهى ج نهية العقل ٨ الحندس المظلم انى به تاكيداً ٩ بسبس قفر خال

فسقى بغيث الفضل روضة احمد * وكساه من حلل الرضى والسندس [١]
ذاك الذى وضحت به سبل الهدى * وسمت جلالته مناط الكنس [٢]
قد بايع الرحمان جملة نفسه * يبغى رضاه بيعة لم تبخس
ذاك الذى دانت له زمر العدا * وعنت لعزته بخفض الارؤس
وكذا خليفته المشير محمد * بخطاه فى تلك المئاثر ياتسى
فهو المطيق لحمل اعباء العلا * وهو المجدل كل قرن يبهس [٣]
يا أيها الندب [٤] المحجب والذى * غير المحامد ملبساً لم يكتس
حيتك عنا فى الاصيل نواسم * مخضلة [٥] تهدى اريج النرجس
فاسلك على ءاثار قومك للعلا * واشرب هنيئاً صفو تلك الا كوس
وابغ الزيادة فوقهم لا تقتنع * بالارث يانجل الهمام القومس [٦]
من كان يطلب غايةً لا ترتقى * فى العز فضلة غيره لا يحتسى
واطلب بربك كل ما تعنى به * مهما التمست بغيره لم تلمس
ثم استعن بالرأى من اولى النهى * لو لا المنير لقابس لم يقبس
لاشىء احسن من تواضع مالك * اوعفو مقتدر مزيل الابؤس
من يفعل المعروف وهو مخلص * لم يكثرت عند اللهيم [٧] الدهرس
لا تحقر الامر الضعيف فربما * هالت قروح من لسيع القرقس [٨]
وملاك [٩] كل الامر ان حققته * تقوى الالاه فذاك ابهى ملبس

---

١ السندس بالضم ضرب من البريون اوضرب من رقيق الديباج ٢ الكنس هى الخنس لا نها تكنس في المغيب كالظباء في الكنس ٣ يبهس اسد اوشجاع ٤ الندب الخفيف فى الحاجة الظريف النجيب ٥ مخضلة ناعمة ٦ القومس الامير ومعظم ماء البحر ٧ الالهيم الداهية الدهرس تاكيد ٨ القرقوس البعوض ٩ ملاك الامر وبكسر قوامه الذى يملك به

هذى الوصايا فى الحقيقة نفسنا * اولى بها والامر يذكر ان نسي
لاكن جميع المسلمين كواحد * فصيب ذى دبر مصيب الاملس
فوصاتكم عين الوصاة لذاتنا * غسل المطارف غسل ذات الكرفس[١]
لازال بدرك فى مطالع اسعد * والدهر عندك ضاحك لم يعبس
وبذى العرائس ان بلغتك فاغتنم * وصل الرضى فلانت اسعد معرس

واجاب

الوزير الاديب الشيخ قباذ التونسي عنها بقوله

وافت تجر حطارفاً من سندس * ولها الفخار على الجوارى الكنس
ويجرها دل[٢] الجمال فتنثنى * وتقول مثل ردائه لم البس
يفتر عن شنب البلاغة ثغرها * لله من ثغر شنيب العس
ماست فلم تترك لطرف رامق * ميلا الى نظر الغصون الميس
قلنا لها ارسلت طرفك ناعساً * فتراه يفعل فعل من لم ينعس
رفقاً بنا فلقد ملكت نفوسنا * أسرفت فيما نلت منا فاحبسي
يزرى بنفح الطيب عرف نسيمها * اذ مثله لم يغش جاذب معطس
وكذاك ازهار الرياض ومن لها * تسق بعذب معنيها المتبجس[٣]
شتان بين اريج روض بلاغة * فاحت وبين حديقة من نرجس
يهوى ارتسام حروفها فى طرسه * افق تحلى بالدوارى الخنس
وتسنمت بذى البراعة منبراً * وتبوأت من ذاك ارفع مجلس

١) الكرفس بالضم القطن ٢) دل المرأة دلالها تدللها على زوجها تريه جراءة عليه فى تفنج وتشكل كانها تخالفه وما بها خلاف ٣) المتبجس المتفجر

وتضاءلت لسماع رائق لفضها * اعناق كل مرصع ومجنس
عجباً للج البحر ان خاضت به * تياره ورحيقها لم يحتس
والظن كل الظن ان اجاجه * منها تصير له حلاوة عضرس[1]
شمس بدا من افق فاس قرصها * واضاء لامع نورها فى تونس
برزت من الخدر المصون وما لها * شبه ومثل اديمها لم يمسس
جاءت ومن همم الشريف يحوطها * جيش المهابة والجلال الأقعس
الانفس بن الانفس بن الانفس بـ — ـن الانفس بن الانفس بن الانفس
وهلم جراهم نجوم نفاسة * نسق يمد من الجناب الأقدس
ناهيك من نسب يحاكى شهدة * شمس الظهيرة فى النهار المشمس
لله اى عصابة علوية * انوارها تجلوا ظلام الحندس
ادواحها طابت لطيب اصولها * ويزيد حسن الدوح طيب المغرس
يا اهل بيت شامخ اركانه * لعلوها وسموها لم تلمس
شرفاً اقام عماده ضم الى * ملك على تقوى الاله مؤسس
ان الخلافة مذ اقامت فيكم * ظفرت بصفقة رابح لم تبخس
ولكم بهذا الشهم[2] اعظم مفخر * تهوى البدور بعزه ان تكتسي
السيد السند الشريف المرتضى * من بالخلائف فى الهداية يأتسي
هو عابد الرحمان من قالت له الـ — ـعلياء قد كملت خصالك فاراس
قل للمحاول فى الفضائل شاوه[3] * اقصر ولا تصنع صنيع ملبس

١» العضرس البرد و "برد والماء البارد العذب ٢» الشهم الذكي الفؤاد المتوقد كالمشهوم ج شهام
٣» الشاو الغاية والامد

ما فى الوصول لذاك سعى ممكن * فازل عناك حدست ام لم تحدس
يا ايها الملك الهمام المرتدى * عز الخلافة وهو اشرف ملبس
بلغ القريض الممتلى من بحركم * بالدر بين مصنف ومجنس
وعليه من نور النبوءة لامع * اذ نصحه من غيرها لم يقبس
يسخوا الحبيب بمثله لحبيبه * ويقره رأى الحكيم الاكيس
احيا وداداً قد تقادم عهده * فهو المؤكد فى الولا لمؤسس
ان الالى درجوا من الاسلاف قد * سلكوا طريق الحب غير مدلس
ولنا بهم فى ذاك اعظم اسوة [1] * ولنعم ذلك اسوة للمؤتسي
فالاصل يجذب والشمائل ضمن * والود باق ما اضمحل ولا نسي
فالله نسئل ان يكون ودادنا * فى ذاته بالدون غير مدنس
ويمدنا ويمدكم من نصره * مدداً يناسبه علو الانفس
ويحوطنا ويحوطكم من حفظه * بسرادق يكفى عيون الحدس
ويجيرنا ويجيركم من مظهر * ملق المحب ومبطن لتجسس
ويعيذنا ويعيذكم من كل ما * يخشى ومن شر العدو المبلس
وينيلنا وينيلكم من فضله * امناً يجير من الخطوب الحوس [2]
والنصر والجود الجزيل يفاض من * رب كريم ذى علا متقدس
دمتم وفى كل المجامع ذكركم * راح تدار من الكلام باكوس
يترنم الحادى بذاك لذاذة * من مدلج [3] فى سيره ومعدس

١» الاسوة بالكسر وتضم القدوة وما يأتسي به الحزين ٢ الخطوب الحوس كركع الامور تنزل بالقوم فتغشاهم وتتخلل ديارهم ٣ الادلاج السير من أول الليل والادلاج بالتشديد السير من آخره

ومن مولدياتيه ما عارض به قصيدة النشتالى . فتكافأ فيه فضل المقدم والتالى .

اذا عن تذكار الاحبة احيانى * وان كنت اقضى منه فى بعض احيانى
حنيناً الى القوم الذين تفيؤا * خمائل[1] اثل[2] فى اجارع[3] نعمان[4]
احن اليهم والمدامع وكف * وفى طى احشاءى ترقد نيران
منازل لا انفك ارنوا لشطرها * بالحاظ مقروح الجوانح[5] ولهان
يذكر نيها البرق يهفوا[6] كانه * على تلعات[7] الحى اروغ ثعبان
وان صدح الورق السواجع هيجت * الى ساكن البطحاء وجدى واشجانى
وان صافحت ايدى النواسم بانها * فواهاً لهاتيك النواسم والبان
سقى الله مصطافى هناك ومربعى * بكل سكوب اوطف[8] الحضن هتان
فياحبذا تلك العراص[9] واهلها * وعيش قضيناه كهبة[10] وسنان
فحبى لها مازال يزداد جدة * على ما عراه من تقادم ازمان
خليلى ان الحب ليس بهين * فكيف هداك الله فى الحب تلحانى
وما هو الا لوعة عز برؤها * اذا استحكمت يوماً بمهجة انسان
فما كان عراف اليمامة شافياً * لجنة مجنون وغلة غيلان
اما والهوى مالى يدان على النوى * ولا الصبر من بعد الاحبة ديدان[11]

---

١ الخمائل ج خميلة المنهبط من الارض وهى مكرمة للنبات ٢ الاثل شجر واحدته اثلة ٣ اجارع ج اجرع الرملة الطيبة المنبت لا وعوثة فيها ٤ نعمان واد وراء عرفة ٥ الجوانح الضلوع تحت الترائب مما يلي الصدر ٦ يهفوا يسرع ٧ تلعات ج تلعة ما أرتفع من الارض وما أنهبط منها ضد ٨ السحابة الوطفاء المسترخية لكثرة مائها والحضن هنا الجانب ٩ العراص ج عرصة كل نبعة بين الدور واسعة ليس فيها بناء ١٠ هب من النوم هبه انتبه ١١ الديدان العادة

ولا لى على الهجران والله طاقة * ولاحول محتال ولا عون اعوان
ولا كنى ادعوا بجاه محمد * فتنهال اهوالى وتنزاح احزاني
وانزل رحلى من ذؤابة[١] هاشم * باكمل موصوف بحسن واحسان
باْبلج يستسقى بنور جبينه * باسعد خلق الله عجم وعربان
باسمح من فيض الغمام اذاهما * باكرم مبعوث بأمن وايمان
بمن خلق الله الوجود لاجله * وكونه نوراً لسائر اكوان
نبى جميع الخلق تحت لوائه
من الرسل والاملاك والانس والجان
نبى له يوم القيام تقدم * اذا احجم الارسال من خوف ديان
نبى جرى فوق السماوات سابقاً * على الملا العالين فى كل ميدان
سرى من فناء البيت ليلا بجسمه * تجاوز كيواناً ومافوق كيوان[٢]
وقبل انصداع الفجر قد عاد صادعاً * بثاية تصديق واوضح برهان
لدعوته كل الاحاليف اذعنت * وبعد اباء منهم أى اذعان
وهيهات لايعلوا الضلال على الهدى * وكيف يضاها الحق يوماً ببهتان
له انشق بدرو الجمادات افصحت * واخرس عن دعواه فرسان تبيان
له شهدت عفر[٣] الظباء واقبلت * له شجرات ساجدات بافنان
له معجزات ليس يبلغ حدها * من النفر المداح قاص ولا دانى
الا يارسول الله ياخير شافع
اذا اسودت النيران للمسرف الجانى

١» الذؤابه من العز والشرف وكل شيء اعلاه اي اعلا بني هاشم ٢ زحل ممنوع من الصرف
٣» الاعفر من الظباء ما يعلوا بياضه حمرة

ويا ذاخراً دون النبيئين دعوة * لامته كيما تفوز برجحان
ويا من جرى من كفه وبنانه * زلال[١] تروى منه ءالاف ظمئان
بمولدك الاجلى الاناجيل بشرت * واخبار احبار ومهان[٢] كهان
وكم ءاية فيه بدت وعلامة * كاخماد نيران وزلزال ايوان
اسيد كل الكون يادعوة الهدى * ومنقذ كل من عبادة اوثان
مدحتك ياخير البرية راجياً * لغفران اوزاري ورجحان ميزان
فقد هالني يارحمة الله انني * نزيح تناءت عن جوارك اوطاني
وقد عاقني دون ازديارك عائق * وخص به حكم السعادة اقراني
عسى منك يانور الوجود عناية * تعمم جسماني وتختص روحاني
وتاخذ في الدارين في كل حالة * يدي الى حيث السعادة تغشاني
على ان لي ياصفوة الرسل ذمة * كذمة كعب او كذمة حسان
واني ما فارقت بابك خادماً * ءالالك ءال المجد غاية امكان
بدولة من اعلا بعليا جلاله * لملتك الغراء اعظم سلطان
امام تولى اليمن رفع لوائه * فما ان له في رفعة الشان من ثاني
اقام عمود الدين بعد ازوراره[٣] * وطهره من كل ظلم وعدوان
فاصبح منصور البنود[٤] مهنئاً * بخير كفيل من ذوائب عدنان
قريع[٥] العلا يجلي الخطوب اذا دجت * اغر وجيه الوجه ينمي لغران
هو البحر جوداً لا بل البحر دونه * هو البدر بدر التم من غير نقصان

---

١ الماء الزلال سريع المر في الحلق بارد عذب صاف سهل سلس ٢ مهان ج ماهن خديم الكاهن ٣ الازورار الميل ٤ البنود ج بند العلم الكبير ٥ القريع السيد

ترنحه الأمداح عندسما عها * له المثل العالى ترنح نشوان
تضيق فجاج الارض عند بروزه * وترتج رجاً من صهيل وارنان
له هيبة تسرى لكل مساور[١] * فتتركه فى زى اضعف نسوان
واسيافه فى المعتدين فواتك * وهن خواف فى غمود واجفان
لقد رضى الرحمان عنا لاننا * رعايا لمن يرضيه عابد رحمان
فيا مالكاً احيا الانام بعدله * وطوقهم حكمى حديث وقرءان
هنيئاً بميلاد الرسول ويومه * وليلته هذى المعظمة الشان
هنيئاً امير المومنين بمولد * اضاء له باقى العوالم والفاني
بمولد خير المرسلين تواترت * بشائر حور فى الجنان وولدان
واصنام اهل الشرك فى الارض اصبحت
منكسة خرت صغاراً لاذقان
فلا زلت يا فخر الملوك مجدداً * لموسم هذا اليوم فى كل ماءان
تقيم لنا فيه عوائد انعم * ذوات صنوف طيبات والوان
وتجلى علينا للشموع عرائس * متوجة اعرافهن بتيجان
بحضرتك العليا التى تم حسنها * بابلغ امداح واطيب الحان
فيماحسنهامن حضرة قدتكفلت * بنزهة الحاظ هناك وءاذان
فيا وارثاً هدى الاشج وحكمه * وحكمة لقمان وعزة نعمان
هنيئاً امام المسلمين وكهفهم * باولادك الاعلام اعيان اعيان
نجوم تسامت فى العلا ومحمد * لهم قمر فاخصصه منك برضوان

١» المساور المواثب

فذاك الذى زانته منك مهابة * كما زانت الازهار اوراق اغصان
فزده دعاء الخير فى كل ساعة * فالسنة الداعين احسن خزان
ودم لتعز الدين ياكعبة العلا * منوطا بك الاشبال اشباه اركان
ودونك من صافى الثناء وحره * قلائد در لا تنال باثمان
يزينها مدح الرسول وءاله * فمدحهما فى لبة الحسن سمطان
عليه صلاة الله ما نضح الندى * ذيول الصبا ما بين ورد وريحان

انتهت وقد نسبت للوزير ابن ادريس . وحكم الذوق لا يخرجها عن نسب نفسه النفيس. سيما ممن استروح من شعره نواسمه . وقبل بفم فكره مباسمه . ولعله قالها على لسانه . لما كان متزملا بسوابغ احسانه . والله اعلم ومن شعره ما كتبه للفقيه الكاتب ابى عبد الله محمد بن محمد بن محمد غريط وهو

الا مرحباً اهلا بفرع سيادة * يقل له عند التزاور مرحب
ويا مرحباً بابن الوزير محمد * امام له حسن الشمائل مذهب
محمد غريط المبارك فرعه * ووارثه النجل الكريم المهذب
ازائرنا ماذا اثرت من الجوى * به كادت الأرواح بالشوق تذهب
واهديت من روض البيان بدائعاً * قريضاً كما يعطوا [1] الى الزهر ربرب [2]
والا فاكواباً من الراح روقت * يهز بها عطف الذى ليس يشرب
يميناً بالحاظ المها [3] ومباسم * تغادر قلب الصب وهو معذب

---

[1] يعطوا يتطاول الى الشجر ليتناول منه [2] الربرب القطيع من بقر الوحش [3] المها ج مهاة لبقرة الوحشيه

لقد حدثت عندى للقياك فرحة * من الوصل بعد الهجر للقلب اعذب
واطربنى مرءاك عند طلوعه * ومن ابصر الاحباب لاغرو يطرب
عليك سلام يغبط الروض عرفه * ولاكنه اذكى اريجا واطيب
وسياتي جوابها ان شاء الله في ترجمة الكتاب المذكور ومما ينمى لنفسه الاسمى . من النثر الذى يفعل بالافكار . فعل كؤس العقار ما كتبه عن امير المومنين المقدس مولانا سليمان تهنية لمولاى التهامي بن سيدى علي الوزاني وهو . يهني السيادة اذ جلوت صباحها . ومددت من نور الهدى اوضاحها [١] . وعقدت عهدك في الوفاء وعهدها . ووصلت راحك في العلاء [٢] وراحها . ووفرت من حظ الوراثة حظها فحميت جانبها ورشت جناحها . الولد الذى اختاره الله لبابه الحافظ الواقى . والعلم السمى المراتب والمراقى [٣] . والحلى المقلد فوق الترائب والتراقى [٤] . والكنز المؤمل والذخر الباقى . ذو الخلق السمى . والخلق السنى . والمجد العلى . ابو محمد سيدى التهامى بن حبنا في الله سيدى علي حجب الله عن السوء عين كمالك . وصير الفلك الدوار مطية ءامالك وجعل اتفاق اليمن مقرونا بيمينك وانتظام الشمل معقوداً بشمالك ولا برح ثوب سيادتكم سابغا . وقمر سعادتكم كلما أفلت الاقمار بازغا اسلم باتم السلام عليكم . وقلوبنا شيقة اليكم . من حضرتنا العالية بالله حرسها الله عن ذكر لكم يتضوع [٥] طيبه . وود لا يذوى وان طال

---

١ الوضح بياض الصبح والقمر ٢ العلاء كسماء الرفعة ٣ المراق ج مراقاة وبكسر الدرجة ٤ التراق ج ترقوة وهى مقدم الحلق في اعلا الصدر حيثما يترق فيه النفس ٥ يتضوع يتحرك فتنتشر رائحته

الزمان رطيبه . وبعد فانى احمد الله الذى لا اله الا هو واصلى على خاتم انبيائه . ومبلغ انبائه . واصحابه الكرام وابنائه . وانهي اليكم انه وصلنا السادة الاخوة . والعشيرة [١] الحائزة قصب السبق في حلبة المروة [٢] . وكتابكم . وانتهى الينا جوابكم وخطابكم . وماذكرتم في شأن كتابنا المتضمن رعى الاخاء الحافظ . المشتمل على سنى الفوائد والمواعظ . وغير خاف عليكم ان والدكم سقاه الله من صوف الرحمة اغدقه [٣] . واهدى الى روحه الكريمة من نسيم المغفرة اعبقه . كان لنا في هذا الامر الذى تحملنا امره [٤] . وتسوغنا مره . اعذب معين . وافضل ناصر ومعين . حاز رحمه الله من مكارم الاخلاق ما لو مزج بالبحر لنفى ملوحته . وصفى كدرته . اخلاف جمعت المروءة اطرافها . وحرست التقى اكنافها [٥] . الى أن قبضه الله اليه . واختاره لما لديه . ونحن في خلال هذا نتامل احوالك ونستبريها . ونتتبع شيمك [٦] من بين اخوتك ونستقريها . حتى اتضحت لنا فيك المخائل . واعربت عن فضلك قواطع الدلائل . فرشحناك لهذا الامر فى حياته . وقلدناك سني موحشاته [٧] . ورجونا بحول الله ان تكون الخليفة من بعده . وسادا ثلمة [٨] فقده . اذ تلوح مخائل الليث فى شبله . ويكون النجيب فرعاً تابعاً لاصله . حقق الله رجاءنا فيك . وخولك من خير الدارين ما

---

١ عشيرة الرجل بنوابيه الادنون اوقبيلته ج عشائر ٢ المروة الانسانية ٣ الغدق محركة الماء الكثير ٤ امر امر بالكسر منكر عجب ٥ الكنف الجانب ٦ الشيم ج شيمة الطبيعة ٧ الوشاح بالضم والكسر كرسان من لؤلؤ وجوهر منضومان يخالف بينهما معطوف احدهما على الاخر ٨ الثلمة بالضم فرجة المكسور والمهدوم

يشفيك . وجعل الحكمة صادرةً ابداً عن فيك . حتى يكون من خلفك فى حكم الخالد وان اصبح فانيا والمقيم باهله وان امسى بالعراء[١] ثاويا . وانك بحمدالله وان جمعت الى شرف الاعراف . شرف الاخلاف . فلا تقف عند ما بنته الاوائل . وتكسل عن الاستكثار من حسن الفواضل[٢] والفضائل . وانضر الى قول القائل

اذا اعجبتك خصال امرئ * فكنه يكن منها ما يعجبك
فليس على المجد والمكرمات * اذا جئتها حاجب يحجبك

والى قوله .

لسنا وان احسابنا كرمت * يوماً على الأحساب نتكل
نبنى كما كانت اوائلنا * تبنى ونفعل فوق ما فعلو

وفرق بين من تناهى فى الفضل امره . وعلم بالضرورة مجده وخيره . وبين ذوى البدايات . ومن يروم حصول النهايات . وحافظ فانك اليوم ذو المقام المعلوم . وءاسى الكلوم[٣] . تحملت امراً امرا . وارهقت[٤] فيما تعينت له عسرا . فاستعن على ذلك بقول خير القائلين واذ قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين . وبالشكر فانه ترجمان النية . ولسان الطوية . وشاهد الاخلاص . وعين الاختصاص . وللاخوان عدة تشدهم وتقويهم . ونوراً يسعى بين ايديهم . وبالحلم على العشيرة

١) العراء الفضاء لايستتر فيه بشيء وثوى اطال الاقامة ٢ الفواضل الايادي الجسيمة ٣ الكلوم ج كلم الجرح ٤ رهقه كفرح غشيه ولحقه

والاخوان . وقابلهم وان اساءوا بجميل البرور والاحسان .
ولله در من قال .

اذا[1] ادمت قواضبهم[1] فؤادى * كظمت[2] على اذاهم وانطويت
ورحت عليهم طلق المحيا * كانى ما سمعت ولا رأيت

وعلى كل حال فان تكن ايدينا بالامس امسكت على القلوب خوف انصداعها وانزعاجها . فقد مسحت اليوم باعلا الصدور عند استراحتها وانفراجها . وان عظمت البلوى بمصرعه فقد سددها الله منكم باعظم خلف . ومنتهج نهج صالح السلف . ولله در من قال فانصف.

لئن فجع[3] الاحشاء منا بفقده * فما فاته من انت تعقبه خير
وان فقدته الخلق شيخ هداية * فقد طالما اضحت وانت لها ذخر
جلا وجهك اليل البهيم لفقده * كذاك غروب الشمس يعقبه

ولله اسئل ان يحقق فيك الرجاء . ويعطر من شذا[4] نشرك الارجاء ويبقى مجد كم يانعة بالفضل ادواحه . مؤيدة بروح الله ارواحه آمين والسلام فى سابع عشر ربيع الثاني عام ستة وعشرين ومائتين والف وقوله العلم السمى المراتب الى قوله الباقى وقوله حجب الله الى قوله معقوداً بشمالك هو من فرائد ابن الخطيب وفواصله . المحلى بها جيد بعض رسائله . وهاهى الرسالة خافضة الطرف . منشدة بلسان الظرف.

يا للرجال لخود نحل جوهرها * بجيد غيداء ما كانت توازيها

---

١) قواضب ج قاضب السيف القاطع ٢ كظم غيظه بكظمه رده وحبسه ٣ فجعه كمنعه اوجعه ٤ الشذا قوة ذكاء الرائحة

قد نزه الفكر فى حسنى مقلدها * وما حبانى توقيراً وتنزيها

قال ابن الخطيب ومما خاطبت به المذكور يعنى الوزير عمر وانا ساكن بسلا

ايا عمر العدل الذى مطل المدى * بدعوى الهوى حتى وفيت بدينه
ويا صارم الملك الذى يستعده * لرفع عداه ان لمجلس زينه
هنت عينك اليقظى من الله عصمة * كفت وجه دين الله موقع شينه
وهل انت الا الملك والدين والدنا * ولا يلبس الحق المبين بمينه
اذا نال منك العين ضر فانما * أصيب به الاسلام فى عين دينه

الوزير الذى هو للدين الوزر الواقى . والعلم السامى المراتب والمراقى والحلى المقلد فوق الترائب والتراقى . والكنز المؤمل والذخر الباقى حجب الله العيون عن عين كمالك . وصير الفلك الدوار مطية ءامالك . وجعل اتفاق اليمن مقرونا بيمينك وانتظام الشمل معقوداً بشمالك . اعلم ان مطلق الثناء والمنتضىء على البعد بنور سعدك . ومعقود الرجاء بعروة وعدك . لا يزال فى كل ساعة يسحب الفلك فيه ذيلها . ويعاقب يومها وليلها . مصغى الاذن الى نبإ يهدى عنك لله دفاعا . اويمد فى ميدان سعدك باعا . فانت اليوم النصير على الدهر الظلوم . وءاسى الكلوم . وذو المقام المعلوم فتعرفت ان بعض ما يتلاعب به بين ايدى السادة الخدام . وتتفكر فيه المثاقفة والاقدام . من كرة مرسلة الشهاب . اونارنجة ظهر عليها من اسمها صبغة الالتهاب حومت حول عينك لا كدر صفاؤها ولا عدم

فوق مهاد الدعة والامن اغفاؤها[1] فرعت حول حماها ورامت ان تصيب فخيب الله مرماها

نرى الشيء مما يتقى فنهابه * وما لا نرى مما يقى الله اكثر

فقلت مكروه اخطا سهمه وتنبيه من الله لمن نبل عقله وفهمه ودفاع قام دليله وسعد اشرق جليله وايام اعربت عن اقبالها وعصمة غطت بسربالها[2] وجوارح جعل الله الملائكة تحرسها فلا تغتالها[3] الحوادث ولا تفترسها والفطن يشعر بالشيء وان جهل اسبابه والصوفي يسمع من الكون جوابه فبادرت اهنيه تهنية من يرى تلك الجوارح الكريمة اعز عليه من جوارحه . ويرسل طير الشكر لله فى مساقط اللطف الخفى ومسارحه. وسألته سبحانه ان يجعلك عن النوائب حجراً[4] لا يقرب. وربعك ربعاً لا يخرب . ماسبحت الحوت ودب العقرب . ثم انى شفعت الهناء ووترته . واظهرت السرور ثما سترته . بما سناه لتدبيرك من مسالمة تكذب الارجاف[5] .وتغنى عن الايجاف[6] . وتخصب للابل العجاف[7]. وتريح من كيد . وتفرغ الى مجادلة عمر وزيد . وكأن بسعدك قد سدل الامان.وعدل الزمان.واصلح الفاسد.ونفق الكاسد.وقهر الروع[8] المستاسد . وسر الحبيب وساء الحاسد . والسلام ووقع مثل هذا للفقيه الاديب الكاتب ابى محمد العربى بن محمد الدمناتى فى

١» الاغفاء النوم ٢ السربال بالكسر القميص اوالدرع او كل ما يلبس ٣ اغتاله اهلكه ٤ الحجر الحرام ٥ الارجاف الخوض في اخبار الفتن ونحوها ٦ الايجاف من اوجف الخيل والابل سيرها
٧» العجاف ج عجفاء ذاهبة السمن ٨ الروع الفزع

جواب له للشيخ الفقيه العلامة ابى علي العطار ونصه كتب الى سيدى ابو علي العطار والخجل قد صبغ وجه يراعى . وعقم ميلاد انشاءى واختراعى . لمحاسنه التي اعيت فضاء ذراعى . وعجز فى خوض بحرها سفينتى وشراعى . فلو كان فضله فنا محصورا . لكنت على المدح والثناء معانا منصورا . او على غرض وقتى مقصورا . لزأرت[١] اسداً هصورا[٢] . ولم يرفكرى عن عقائل البيان حصورا . لا كنه بحر تدفق بكل ثنية[٣] . وفكر سبق الى كل أمنية ونفس بلوغ غايات الكمال معنية . فحسبى الالقاء باليد لغلبة تلك الايادى . وسمو ذلك المجد السيادى . واعفاء يراعى ومدادى فان كانت الغاية لاتدرك . فالاولى ان يلقى الكد ويترك . ونعرج عن الادعاء . ونصرف القول من باب الخبر الى الدعاء . هذا وأقسم بمن فلق الحب . وخلق الاب[٤] . وذرا[٥] من مشى ودب . وسوى واكب . وسمى نفسه الرب . لوان امرى بيدى . او كانت اللامة[٦] السوداء من عددى . لاثرت مجالستك على اهلى وولدى . وأخترت بلدك على بلدى . ولما اقلتك اشراكى المنصوبة لامثالك . حول المياه وبين المسالك . لا كنك ابقاك الله طرقت حمى كسعته[٧] الغارة الشعواء[٨] . وغيرت ربعه[٩] الانواء . فخمد بعد ارتجاجه . وتلاعبت الرياح الهوج[١٠] فوق فجاجه . وطال عهده بالزمان الاول . وهل عند رسم دارس من معول . والى الله اضرع ان يشنف اسماعنا

١» الزئير صوت الاسد من صدره ٢» الهصور الكسور ٣ الثنية العقبة ٤ الاب ما انبتت الارض ٥ ذرا خلق ٦ اللامة الشعر المجاوز شحمة الاذن ٧ كسعته ضربته ٨ الشعواء المتفرقة ٩ الربع الدار ١٠ » الهوج ج هوجاء الريح التى تقلع البيوت

غيرهم . ويتشكل في مرءاة فكرهم . فيحسبونه من مستخرجات بحرهم .
والافاليد الطولى لاتخطف ولا تسرق . سيما ممن روض معارفه مخصب
وغصن بلاغته مورق . وقد يقال في الشيء النادر وقع الحافر على الحافر .
والله اعلم بالسرائر . وكنت رفعت سؤالا الى الشريف الفقيه العلامة
الاديب المشارك النفاعة الحسيب ابي العباس مولاى احمد بن المامون
البلغيثي حفظه الله . نصه الحمد لله سيدى ابقاك الله لفصل تبديه . وفضل
تسديه . وضال تهديه ومشكل تحله . ومتعطش تنهله وتعله . ولا زال
علم علمك شامخا ونور فهمك للاوهام المبتدئين ناسخا . جوابك ادام الله
مجدك واسعد جدك . عن مسئلة تعلقت المذاكرة باهدابها . ولم
تطل يد التحصيل لكشف نقابها . وهي ان علماء البديع تعرضوا
لذكر السرقات الشعرية . وسكتوا عن النثرية . وان بعض المشايخ .
ممن لهم في التحقيق قدم ارسخ . اخذوا جملا عديدة من كلام غيرهم .
وادرجوها في نثرهم فوسمهم بالسرقة اهل عصرهم . حيث لم تكن
شبهة تدرأ عنهم حد الملام . كما تدرأ بالشبهات حدود الاحكام . فان
كان الوصف بالشعرية للتخصيص . فهل يباح اخذ النثر حيث لم يرد
عليه في مذهب الادب تنصيص . اويبقى الامر على العموم . وهل به
قول معروف اونقل مرسوم . وفي سعة افكاركم الرشيدة .
ومعلوماتكم المامونية . ما يظهر صبح الفرق ويهدى الى جادة الصواب .
ولسيادتكم الاجر ومزيد الثواب

ياسيدى ابقاك ربي هاديا * وساقيا لمن أتاك صاديا

جواب سيدى ابقاه ربي * عن مشكل فهمه عنه ينبي
تعلقت بهدبه مذاكرة * ولم تكن فى جلبه مناكرة
وهو ان علما البيان * الحائزين نصب الرهان
تعرضوا لسرقات الشعر * وسكتوا عن سرقات النثر
وان بعض جلة الشيوخ * وزمرة التحقيق والرسوخ
قد اخذوا بعض كلام غيرهم * وزينوا به صدور نثرهم
فوسموا لأجله بالسرقة * اذ لم تكن معذرة محققة
فان يكن وصفه للتخصيص * هل يخرج المنثور للتنصيص
اويبق امره على العموم * وهل اتى فى مبحث معلوم
فافتنا يا نور عين الادب * دمت مظفرا بكل مطلب

فاجاب بما نصه الحمد لله وصلني ايها الاديب . واتصل بى ايها الحبيب اللبيب . خطابك البهى الندى . وكتابك الشهى الشهدى بزغت به منى شموس الادب بعد انطماسها . وتجددت منه رسوم اريحتى[1] بعد اندراسها . اهديت فيه من عاطر التحيات ما احييك عليه بالاحسن . وابديت فيه من اسرار البلاغة كل بديع مستحسن . تسترشد منى ولازلت للرشد اهلا . وتستفيدنى ولا برحت ترد موارد الافادة علا[2] ونهلا . عن اخذ نثر غيره فى نثره هل تجرى فيه احكام سرقات الشعر . اومنتحل ذالك لايلام ولايسام بذلك السعر . وحيث لم اجد من جوابك بدا . ولااستطعت لسؤلك ردا . اجات الكفرة لمطلبك

---

(١) الاريحية الخفة للشيء (٢) العل والعلل محركة الشربة الثانية والنهل محركة اول الشرب

وصلصل الحديد وبلغت الأنفس الوريد . اعتصمت بحقوه الابطال . اعتصام العصم يذرى القلال . قد داهمتهم الابطال ذياذ القروم عن الاشوال . واما مالك . فكان عصمة الهوالك اذا شبهت الاعجاز بالحوازك . يفرى الرعيل فرى الأديم بألازميل ويخبط البهم خبط الذئب نقاد الغنم . واما عمرو فكان اذا عصبت الافواه وذبلت الشفاه . وتفادت الكماه . خاض ظلام العجاج . واطفأ نار الهياج . والوى بالاعراج . واردف كل طفلة مغناج ذات بدن رجراج ثم قال لاصحابه عليكم النهاب . والاموال الرغاب . معطاء لا ضيق شكس ولا حقد عكس . واما مسهر فكان الذعاف الممقر . والليث المخدر يجيء الحرب فيسعر . ويبيح النهب فيكثر . ولا يحتجز فيستاثر . فقال له الملك لله ابوك مثلك من يصف اسرته قال وهنا فوائد قال ابو علي الحدث بالضم الحسن الحديث . والحديث بكسر فتشديد الكثير الحديث . والحدث الشاب . والجثمان الشخص والجثمان جماعة الجسم والنجيد[1] الحمائل . وصلصل بمعنى صوت . والوريد حبل العاتق . والاشوال جمع شول وهو جمع شائلة بمعنى ناقة ارتفع لبنها . والرعيل جماعة الخيل . والازميل بزاى معجمة الشفرة . والبهم جمع بهمة وهو الشجاع الذى لايدرى من اين يوتي . والنقاد جمع نقد وهو صغار الغنم . وعصب بمعنى غلظ ريقه ولصق بفمه . وتفادت استتر بعضهم ببعض . والوى بمعنى ذهب . والاعراج جمع عرج من الابل نحو خمسمائة والطفلة الناعمة والحقد السيء

[1] النجيد المناسب تفسيره هنا بالاسد

الخلق كما قاله يعقوب والعكس والعكص بالسين والصاد العسر الاخلاف والذعاف سم سريع القتل والممقر الشديد المرارة اوالحموضة ويحتجز بمعنى يختفي والحقلد لغة يمانية وقعت فى شعر زهير بن ابي سلمى فى قصيدته التى مدح بها هرم بن سنان اولها

غشيت الديار بالبقيع فثهمد * دوارس قد اقوين[١] من ام معبد
أربت[٢] بها الارواح[٣] كل عشية * فلم يبق الا آل[٤] خيم[٥] منضد
اذا ابتدرت قيس بن عيلان غاية * الى المجد لم تسبق اليها بسودد
اليس بفياض نداء غمامة * ثمال[٦] اليتامى فى السنين محمد
سبقت اليها كل طلق مبرز * سبوق الى الغايات غير مجلد
تقي نقي لم يكثر غنيمة * بنهكة ذى قربى ولا بحقلد

وهذا مما لم يسئل عنه وعن اعرابه ومعناه تقدم وقد قيل انه من عطف التوهم وتقديره ليس بمكثر غنائمه بالغارة على اقاربه او من هو بجواره فعطف بحقلد على بمكثر المتوهم ولو قيل انه معطوف على قوله بنهكة وفسر بالخلق السيء والمراد انه لم يكثر غنائمه بجوره على اقربائه وجيرانه ولا بسوء خلق يحمله على التعسف والشح لم يبعد من غير تكلف وفي لسان العرب بحفلد بالفاء والمشهور خلافه اهـ ما نقله الشهاب و كثيراً ما يقع مثل هذ الحفاظ الادباء. ورواة الشعراء ولعل منشأه أنهم لبداهتهم[٧] وانطباعهم. وسعة حفظهم واطلاعهم ربما يسنح[٨] لهم قول

١ ٭ اقوين خلين ٢ أربت أقامت ٣ الارواح ج ريح ٤ الال عمد الخيمه ٥ خيم ج خيمه ٦ الثمال الغياث الذي يقوم بامر قومه ٧ البداهة اول كل شيء وما يفجأ منه ٨ يسنح يعرض

بحسن ثنائكم . ويسعف اطماعنا برشح من كوثر انائكم . ويقضي لنا ولكم بالعافية الدائمة . واللطف الشامل وحسن الخاتمة . اخذ بعض هذا الجواب من جواب ابن الخطيب لأبي جعفر بن خاتمة نص المراد منه

لم في الهوى العذرى اولا تلم * فا لعذل لا يدخل اسماعي
شأنك تعنيفي وشأني الهوى * كل امرئ في شأنه ساعي

اهلا بتحفة القادم . وريحانة المنادم . وذكر الهوى المتقادم . لايصغر الله مسراك . فما اسراك . لقد جبيت الى من هموى ليلا وجلبت رجلا وخيلا . ووفيت من صاع الوفاء كيلا . وظننت بي الاسف على ما فات . فاعملت الا لتفات لكيلا . فاقسم لو ان امرى اليوم بيدى . او كانت اللمة السوداء من عددى . ما انلتتك اشراكى المنصوبة لامثالك . حول المياه وبين المسالك . ولا علمت ما هنالك . ولا كنك طرقت حمى كسعته الغارة الشعواء . وغيرت ربعه الأنواء نخمد بعد ارتجاجه . وسكت انين دجاجه . وتلاعبت الرياح الهوج فوق فجاجه . وطال عهده بالزمن الاول . وهل عند رسم دارس من معول ووقع مثله لشيخ الاسلام بممالك الدولة العثمانية الشيخ حسن خيرالله في رسالة نص الغرض منها بسم الله الرحمان الرحيم . واصلي واسلم على نبيه الهادى الى سواء السبيل المستقيم . اما والذى اولاك الرأى المستقيم والفكر المصيب القويم . وولاك الوزارة التى اذا حملق النجيد . وصلصل

الحديد . وبلغت الانفس الوريد . اعتصم بحقوها [١] من فى الممالك المغربية من الابطال الصارخة . اعتصام الوعول [٢] بذرى القلال [٣] الشامخة . وذدت عنهم كماة الرجال . ذود العوزم [٤] عن الاشوال وصرت بها عصمة الهوالك . اذا شبهت الاعجاز بالحواوك . وافريت [٥] اديم كل كمى احتقاراً له بالازميل . وخبطت البهم خبط السرحان [٦] نقد الغنم الذليل . وحفظت كلام العجاج [٧] واطفأت نار الهياج . اذا غصت الافـواه . وذبلت الشفاه . فما استللت سيفك الا اغمدته فى جثمان بطل [٨] . اوسوامت [٩] جمل . فكنت للشانئين الذعاف الممقر . والليث المخدر . قد انقطع لسان قلمى عن تحرير مزاياك . وقصر فكرى عن النظر الى صور فضائلك المصورة فى مرايك فلويت زمام يراعي الى المطلوب . عجزا عن ذلك الوصف المرغوب امابعد اه اخذ جلها مما يا تى قال الشهاب الخفاجي رحمه الله فى كتاب ريحانة الالبا قال الغا . كان ذو فائش [١٠] يحب اصطناع سادات العرب ويقرب مجالسهم ويكرم مجالسهم فجاءه علية و كان شاعراً احدثا فقال له الاتحدثنى عن ابيك واعمامك فقال بلى ايها الملك هم اربعة زياد ومالك وعمرو ومسهر ولذلك قيل لهم الارباع . فاما زياد فما استل سيفه مذ ملكت يده قائمه الاغمده فى جثمان بطل اوشوامت جمل وكان اذا حملق [١١] النجيد [١٢]

١» الحقو الازار ٢ الوعول ج وعل تيس الجبل ٣ القلال ج قلة قنه الجبل ٤ العوزم الناقه المسنه ٥» افراه كبراه شقه فاسداً والاديم الجلد ٦ السرحان الذيب ٧ العجاج ابن رؤبة الشاعر ٨ البطل الشجاع الذى تبطل جراحته فلا يكترث بها اوتبطل عنده دماء الاقران ٩ الشوامت قوائم الدابة ١٠ ذو فائش سلامة بن يزيد اليحصبى كان يظهر لقومه فى العام مرة مبرقعاً وفائش واد كان يحميه ١١ حماق فتح عينيه ونظر شديداً ١٢ النجيد الاسد وهو المناسب هنا

فى سويعات اختلستها من بين تراكم اغراض . وتفاقم[١] امضاض[٢] وامراض . اعانني على قصدك ارتياحي للادب وذويه . وامتياحي[٣] معينه ممن يرويه ويرويه

فذوا الشوق القديم وان تسلى * مشوق حين يلقى العاشقينا

فبان لى أبان الله لى ولك معالم الهدى . ونكبنا بنيات[٤] الطرق الموصلة للردى . ان الاقسام العقلية فى المقام اربعة ومناهج احادها فى أستعمالاتهم مطروقة متبعة . وهى اخذ شعر من شعر اوشعر من نثر اونثر من شعر اونثر من نثر وحصرنا الاقسام فى الاربعة انماهو باعتبار مقام سؤالك . ليتبين به حكم محط املك وا . فالاخذ يكون مع غير هذه الاقسام كالاقتباس والتضمين والتامليح وربما لاتخفى عليك ان راجعت التلخيص والمفتاح والايضاح والتلويح . أما أخذ الشعر من الشعر فقد قسموه للاقسام المعلومة لديكم واحكامها وشروطها لاتكاد تخفى عليكم . واما أخذ الشعر من النثر فهو المسمى عند أرباب البديع بالعقد . ولا يخشى صاحبه من تعقب ولانقد . بشرط ان لا يكون على طريق الاقتباس والا كان له به اشتباه والتباس واحكامه كشروطه لاتخفى ايضاً عن امثالكم . اذ ليس هو محط تسئالكم . واما اخذ النثر من الشعر فهو المعروف لديهم بالحل ونصوص حكمه وشروطه لايعزب عن علمكم منها المحل . واما اخذ النثر من النثر وهو ضالتكم المنشودة . وحاجتكم

١» من تفاقم الامر اذا جرى على غير استواء ٢ امضاض من امضه الشىء بلغ من قلبه الحزن به
٣» الامتياح هنا هو ان تدخل البير فتملا الدلو لقلة مائها ٤ بنيات الطرق بالضم الترهات

القصودة . فلم يتكلمو عليه بالخصوص فيما وقفنا عليه من ظاهر ومنصوص . غير انه لا يرتاب ذو ذوق سليم وطبع مستقيم . ان انواع السرقة الشعرية تجرى فيه قطعا . ويعد الحاكم فيه لفاعله سيفاً من اللوم ونطعا [1] . ان لم يحمه من الحد ما حمى صاحب السرقة الشعرية . من نحو تنقيح او تحسين او حسن تورية . وكأن سكوتهم عن السرقة النثرية . واهتمامهم بالنص على الشعرية لأن الشعر أشرف من النثر . والنثر من الشعر قل [2] من كثر . وقد كان للعرب العرباء [3] وهم معدن الفصاحة والبلاغة فى القديم . مزيد الاهتمام بالمنظوم وكمال التقديم . وما كنت ترى فى كلامهم نثرا . الاندوراً ونزرا . ثم هذا النزر وان كان فى نفسه كثيرا . فما نقل من بعدهم منه الا نزراً يسيرا . وما تفننوا الا فى الشعر وبه كانوا يمدحون ويعيبون كما قال تعالى حكاية عنهم الم تر انهم فى كل واد يهيمون . ثم جاء المخضرمون [4] وهم الطراز الاول . فما كانت عنايتهم الا بالشعر وعليه عندهم المعول . ثم تراسلت الاحوال . على هذا المنوال . فكان الشعر هو الاغلب وبه العناية . فى جميع طبقات الشعراء بدءاً ونهاية . فلا غرو [5] ان خص الكلام بسرقات المنظوم من الكلام . فلا يدل التخصيص على بعد سارق النثر عن الملام . وقد تصفحت غير

---

١) النطع بالكسر وبالفتح وبالتحريك و كعب بساط من الاديم كانوا يجلسون عليه من ارادوا ضرب عنقه ج انطاع ٢ القل بالضم القليل والكثر بالضم الكثير ٣ العرباء الصرحاء والمتعربة والمستعربة الدخلاء ٤ المخضرم بفتح الراء من لم يختتن والماضى نصف عمره فى الجاهلية ونصفه فى الاسلام او من ادركهما او شاعر ادركهما كلبيد ٥ لاغرو ولاغروى لاعجب

﴿بواصل ٦﴾

كتاب من الكتب المعتبرة فى هذاالفن ودرست أقوال كل مكثار منه ومفن [١] فلم أعثر على من ابدى مسئلتكم بتصريح . أو أومى اليها بتلويح . ثم بعد تسويد هذه العجالة والجزم بما أبديناه فى الوجه الرابع استظهاراً . راجعت شروح التلخيص وقد كنت اكتفيت عنها بمن خاض فى الفن بحاراً بعد ان ورد أنهارا . فإذا فى الاطول على قول التلخيص خاتمة فى السرقات الشعرية ومايتصل بها مانصه وخص السرقة الشعرية بالذكر لأن أكثر السرقة يكون فيه فلا ينافى أن السرقة تكون فى غير الشعر ايضاً ولعله أدخل ذلك فى قوله وما يتصل بها اه فدل على ما قلنا من انه لا يعتبر مفهوم للتخصيص بالمنظوم وإن علل بغير ما قلناه من اشرفية المنظوم فى جميع طبقات الشعراء . فهى نكتة أخرى والنكات لا تتزاحم كما تقرر بين العلماء. ثم بعد جواب صاحب الاطول وهو بالقبول أجدر . يقال عليه لم كانت السرقة فى الشعر اكثر. فلم يكن بد من جوابنا بان أفضلية الشعر وأكثريته اوجبت أولويته بالسرقة وأوكديته . فكان جوابنا لب اللباب والحمد لله على توافق الالباب . وهذا ماظهر للعاجز القاصر المستعين بربه القادر الناصر . احمدبن المامون الحسنى العلوى البلغيثى الله وليه ومولاه.

أيا اديباً نثره معسول * ونظمه من رقة معمول
سألت عن سرقة فى النثر * هل حكمها كحكمها فى الشعر
لأن أرباب البيان خصوا * أحكامها بالشعر حيث نصوا

---

١ كرجل مفن كمسن يأتي بالعجائب

فالحكم لاشك على العموم * كما به يحكم ذو الفهوم
فما جرى فى سرقات الشعر * فاحكم به فى سرقات النثر
وانما خص النظام النص * لما غدا بشرف يخص
فالنظم أبدع من المنثور * وفضله صار من المأثور
والنثر في جنب النظام نزر * ان يعتورهما[1] لديك حزر
فالنثر مفضول وذو ندور * لاغروان لم يك بالمذكور
وحكمه يعلم بالمقايسة * عند أديب دأبه المكايسة
خذه جوابا محكما مسلما * والحمد لله على ما علما

اه وبالجملة فقد كان المترجم له مؤيدا بروح التسهيل ان نحا نحو النظم والترسيل . فشعره لا يعد . ومدده لا يحد . أخبرني من سمع من رفيقه . وتوأمه فى تحقيقه . الفقيه العلامة المتبرك به أبي العباس احمد كلا بناني رحمه الله أنه كثيراً ما ضمهما عقد المسامرة . واشتمل عليها برد المذاكرة . بزاوية الولى الصالح . المربي الناصح . القطب الواضح . ابى العباس سيدى احمد التجاني . قدسه الله وسقانا من مدده العرفاني . فتلقى عليه اقتراحات متمنعة . فيقيد القافية والمعنى ثم ينجز للطالب ما تمنى . فى مثل غفية[2] معنى . واخبرني ان الوزير الكاتب ابا عبد الله محمد بن ادريس . كان يجمع بينه وبين الوزير الكاتب ابي عبد الله محمد غريط فى كل يوم خميس . ويحتفل لهما احتفالا جميلا ويوسعهما مبرة وتبجيلا . فى روضته الزهراء . بمراكشة

[1] اعتور الشيء تداوله [2] غفي كرمي غفية نعس

الحمراء . فينفض مجلسهم عن نظام . انضر من زهر الاكمام .
واطيب من مسك الختام .

الكاتب الوزير

ابو عبد الله محمد ابن ادريس العمراوى

رحمه الله

علم علم وذكاء . شعلة فهم وذكاء . كاتب على الحقيبة [1] . ميمون النقيبة [2] .
سريع اليد والخاطر فى أبراز كل عجيبة . شاعر طلع فى عكاظ [3] المجد
نابغة [4] . وتدرع من ملابس الفخر سابغة . امتزج الادب بطبعه .
واخذ السعد بضبعه [5] . فاستكتبه أمير المومنين مولانا عبد الرحمان
قدسه الله زمن استخلافه عن عمه مولانا سليمان باشارة ابى القاسم
الزيانى اذ كان ينسخ تآليفه ويتحمل تكاليفه ولما استقل بالامارة .
ولاه الوزارة . واعتمد على سعة من ادبه وغزارة . فجرى فيها على اقوم
سنن . ووسع الناس بصدر رحيب وخلق حسن . وكف تنهل [6] منه
ديم [7] المنن [8] . سيما على الواقفين بباب الملك وبابه والملغين شباك
الامل بعبابه [9] . وبلغ من السلطان مبلغ جعفر من هارون . وابن اكثم

---

(١) الحقيبة كل ما شد فى مؤخر رحل اوقتب وهو هنا كناية عن الحافظة ٢ النقيبة النفس والعقل والمشورة اونفاذ الرأى والطبيعة وكلها مناسبة هنا ٣ عكاظ كغراب سوق بصحراء بين نخلة والطائف كانت تقوم هلال ذى القعدة وتستمر عشرين يوماً تجتمع فيها قبائل العرب فيتعاكظون اي يتفاخرون ويتناشدون ٤ النابغة من قال الشعر واجاد؛ ولم يكن في ارث الشعر والرجل العظيم الشان وكلهما مناسب هنا ٥ الضبع العضد كلها ٦ تنهل تسيل ٧ ديم ج ديمة بالكسر مطر يدوم فى سكون بلا رعد ولابرق ٨ المنن العطايا ٩ العباب الموج

من المامون . وحل منه محل ابن أبي دؤاد من المعتصم . واستمسك
بعروة ظنها لا تنفصم [١] . ثم اظلم الجو بينه وبين مخدومه . واشتبه
محمود سعيه بمذمومه . لوشايات تنكر . واذايات تذكر . فانزله عن
مرتبته . واقصاه عن عتبته . واعتقله في سجنه . اعتقال الصارم في
جفنه [٢] . ثم سرح بعد افقاره . والتحجير على متاعه وعقاره . حكى
انه بعد تسريحه توجه مع بعض انداده . لزيارة مولانا عبد السلام بن
مشيش واستمطار امداده . فانذر السلطان بانه ذهب بماله للاحترام .
بذلك المقام . فامر باشخاص الجميع الى حضرته فارجعوا بعد ان دقت
في اقفيتهم نوبة الصفع . ودخلت على ظهورهم عوامل النصب والرفع .
وكان ذلك تعدياً وتشفياً من الموجهين لاشخاصهم . لما لم يظفروا
بغير اشخاصهم . ثم نفي عنهم بعدعصب الريق . واذاقة التنكيل
والتضييق . وبقي المترجم له منبوذاً من يم اليسار بالعراء . متقلباً في ثوب
الضراء . الى ان بلغ الزبى [٣] سيل اضطراره . وحال بينه وبين
استقراره . فجعل يتطارح على الولي الانور . الصالح الاشهر . ذي الكرامات
الجلية . والمقامات العلية . مولاى الطيب الكتاني قدس سره فامره
يوماً بالتوجه الى مكناسة الزيتون . فاختلجت [٤] في صدره الظنون .
وجبن عن امتثال امره . واعتذر بعدم اذن السلطان وخوف زجره .
فاعاد عليه امره الاول . وصرفه عما عليه عول . بحال قارنته سطوة جلاله .
وظهرت ملامح العناية من خلاله . فاعمل الى مكناسة السفر . مترددا

١» تنفصم تنكسر ٢ الجفن الغمد ٣ الزبى ج زبيه الرابيه ٤ اختلجت تحركت

بين الخيبة والظفر . واناخ بمقام السلطان الجليل . مولانا اسماعيل . مطية رجائه . واستنشق أرج القبول من أرجائه . ومن سعود حظه الذى انتبه ملو هجوعه . ودنى بعد نزوحه ونزوعه . ان اخبر السلطان بعض خدامه . بما رءا من تذلله واحترامه . وهيئته التى لا تليق بمقامه . فامر بايفاده الى عتبته . وادراجه فى سلك كتبته . فوفد لها كانما نشر من صعيد . وحشر الى عالم جديد . ثم اعيد الى الوزارة بعد وفاة الوزير ابي الصفاء المختار الجامعي وتصرف فيها على مقتضى ما خبر من عثرات الزمان . وسبر من غدرات الاعوان . الى ان طرقته حمى تجرع بها كأس الحمام [١] . وانتثر عقد مجده من جيد الايام . ويحكى ان بعض من انكروا معروفه . وتطوروا مع الزمان فاشبهوا صروفه . كان اماماً بمسجد درب السعود . فابطا في بعض الاوقات حتى طال بالناس القعود . فقدموا صاحب الترجمة للائتمام . فلما رفع يده للاحرام . جاء الامام في غضب واضطراب . فاخرجه من المحراب . واغلظ له في الكلام واغاظه بشديد الملام . وحملته سورة غضبه . على ان قال ان منكوب السلطان لا يؤتم به . ولما قضيت الصلاة انصرف المترجم له وهو يقول في نفسه . لئن اقدرني الله عليه لاجازينه بحبسه . فسمع صبياً يقرأ قوله تعلى (ان يعلم الله فى قلوبكم خيراً يوتكم خيراً مما اخذ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم) فاعتبر وعدل الى افضل النيتين . ودخل جامع الاندلس وركع ركعتين . وعاهد الله على ان

---

١) الحمام الموت

يحسن لمن اساء اليه • ويحلم على من جهل عليه • فكشف الله غمته ورد عليه نعمته • فنال من اساء اليه احسانا • ولم يعمل في اذاه يداولا لسانا • وقال في حقه شيخنا العلامة الاظهر • البركة الاشهر • الزاهد الخاشع • الواصل القاطع • ابو عبد الله سيدى محمد بن جعفر الكتاني حفظه الله في كتابه سلوة الانفاس بعد ذكر سيدى ابي زيان الاغريسي مانصه وهي التي دفن بها يعني روضة اولاد ابن ادريس قبله الوزير الاسعد • الرئيس الامجد • الفقيه الاديب الاشهر • الناظم الناثر الابهر • ابو عبد الله سيدى محمد بن ادريس بن محمد بن عبد الله العمروى الفاسي الشهير بابن الحاج قال فيه في رياض الورد ما نصه رقيق الاشارة • حلو الحكاية • له في النظم والنثر القلم الاعلى • والمورد الاحلى • لازم الجثو للتعليم بين يدى أكثر أشياخنا فمن فوقهم ثم اتصل بمولانا السلطان • مولاى عبد الرحمان بن هشام وأنشده قصيدة منها

رفعت لمجدك راية الاحسان * وبدا بعصرك ساطع البرهان
وسرت بسرك في الانام سريرة * سر المحب بها وغص الشاني
يامفرداً في الفضل غير مشارك * أقسمت ما لك في البرية ثاني

فاشتملت عليه دولته اشتمال الاكمام على الزهر • والهالة على القمر • حتى انتظم في سلك الرياسة وارتبط • وحل ما شاء بحكم اختصاصه بها وربط • وكانت له رحمه الله معرفة ببعض العلوم كالحساب والتعديل أخذها عن الشيخ أبي عبد الله سيدى محمد بن الطاهر بن احمد الحبابي

رءيس الموقتين بمنار القرويين من فاس و كالنحو واللغة والعروض والادب أخذهما عن غير واحد وكانت له أمداح عديدة سلطانية وأخرى نبوية وغيرها واشعار كثيرة ومقطعات وله ايضاً صحبة كبيرة لاولياء عصره ومحبة فيهم وأخذ عن بعضهم كالشيخ سيدى الطيب الكتاني والشيخ سيدى عبد القادر العلمي دفين مكناسة الزيتون وغيرهما ممن يكثر وانتماء الى الخير وأهله ويد بالغة في الادب رحمه الله تعالى بمنه وكرمه توفي يوم الاثنين رابع محرم الحرام فاتح عام أربعة وستين ومائتين والف ترجمه في رياض الورد الأأنه لم يذكر فيه وفاته لكونه والله أعلم كان حيا زمن تاليفه اه وما شاع من أن السلطان عثر على كتب لعدوه كتبها. وخيانة ارتكبها. فاوسعه عتباً وسبا . وقتله بالعصى ضربا . لم يصح له سند . ولا اعتبره من المحققين أحد . وانما أفواه الاعداء لاقلام الكذب محابر . وءاذان العامة لخطباء الزور منابر . فما ثبت أن أحداً من عظماء ملوك هذه الدولة الكريمة . ذات الاحلام العظيمة . نقل الوزير الى العدم قدما . او أراق لكاتب دما . بخلاف من تقدمهم من ملوك هذه الديار . وغيرهم من سلاطين الأقطار . فكم من وزير سمح في رضاهم بنفسه ونفيسه . وهد بناء راحته في تشييد ملكهم وتاسيسه فما رعوا له ذلك السماح . بل جازوه جزاء التمساح . وصبغوا بنجيعه خدود الرماح . وقد سئل بعض رفقاء هذا الوزير وخيار أصحابه . عما تقول في جنابه . وكان له على الملك ادلال . ولديه حظوة واجلال . فقال لو كان محبوب يفدى

لفداء السلطان من الردى ، اذ كان معنى ارتيا حه . ومغنى اقتراحه . وزند اقتداحه . وبلبله المترنم على أدواحه . ببدائع أمداحه . وأما ما فعله المولى يزيد المحذور البوادر . الاسد الخادر . الكثير النوادر . من الاهانة والتنكيل . والقتل بعد التمثيل . بالوزير قادوس . فسببه أنه كان لبساط حرفته يدوس . حين كانت له فى وزارته لابيه الكلمة الرفيعة النافذة . واليد الدافعة الاخذة . فكان يواجهه بالملامة . ويشافهه بعدم صلاحيته للامامة . فيغضى له عن تلك الخطية . حتى يجزيه جزاء ابن عطية . ولما بويع وتاطد نصره . وساعده عصره . واحتل مراكشة . وظفر بالفرقة التى كانت لسهام العداوة بارية ورائشة . سيق الوزير اليه . فمدد من الاوزار ما أحصاه عليه . واستفهمه عن أموال معلومة لديه . فتعرض لاثارة غضبه . باساءة أدبه . ووسمه بالعقوق ووصمه باضاعة الحقوق . ففعل به ما فعله . وتركه منبوذا بالمزبلة . وبمثل تلك الافعال . قذف الزيانى من شاهق عال . فانكسرت هامته . الا أنه رجيت سلامته . فصنع له أحد الاطباء . دماغا من الدباء . وعاش بعد ذلك مدة . ازداد فيها جرأة وحدة وألف ما لان ذيه وقسى . وأحسن وأسى والله يطهر ألسنتنا من وضر الزور وأدرانه . ويتولى الكل بعفوه وغفرانه . ومن شعره الوسيم . السارى مسرى النسيم . الجامع بين رقة النسج وحلاوة النسيب . وحسن التخلص وجودة التركيب . قوله يمدح القاضي أبا الفضل العباس بن احمد ابن سودة رحمه الله

زمان الحمى عيشي بقربك عيد * ويوم الرضى يوم على سعيد

اذا نلت من حى الأحبة قربة * فان العنا والعسر منى بعيد
ذكرت زروداً بالعقيق تولعاً * وهيهات من وادى العقيق زرود
مرابع أنس للظباء مراتع * بها للتصافى معهد وعهود
أهيم بهاتيك الديار وأهلها * ويبدئ وجدى ذكرها ويعيد
غرامى بها يحيى ووجدى خالد * وشوقى لها طول الزمان يزيد
فيارب يوم قد قطعت بظلها * بوصل وظل المكرمات مديد
وريم رمت قلبى بسهم لحاظها * لها اليل فرع والصباح خدود
أغارت على قلبى بجيش من الهوى * فقلبى على حكم الغرام عميد
تصيد الاسود الضاريات بلحظها * وعهدى بالغزلان ليس تصيد
أعارت ظباء الرمل جيداً وناظراً * وعلمت الاغصان كيف تميد
اذا ما سرت نم النسيم بعرفها * ودل عليها مبسم وعقود
ولا در الا ما حدته مباسم * ولا ورد الا ما جلته خدود
ولا مثل عرف المدح طيب لناشق * ولا مثل أبيات النسيب فريد
ولا كابى الفضل ابن أحمد فاضل * اذا عد فى الفضل المبين وحيد
امام نمته الاكرمون الى العلا * وخصته بالفخر الاثيل جدود
هو العالم العلامة العلم الذى * له فوق أعلام السماء صعود
أفاض بحور العلم والحلم والندى * فللكل منه منهل وورود
وأهدى فريد العلم غواص فكره * ولاغرو أن يهدى الفريد فريد
ونور أرجاء البسيطة عدله * فللحق والدين الحنيف سعود
وللعدل فى كل البلاد مظاهر * وللجور فيها ذلة وخمود

له مذهب فى الحكم بالحق مذهب * ورأى على نهج الصواب سديد
له همة تستصغر الدهر رفعة * وباع لدى كل العلوم مديد
له هيبة تستوقف الطرف دونه * وبشر لجاش الناظرين يعيد
له خلق كالزهر نشراً ورقة * وخلق على البدر المنير يزيد
ولا غرو أن فاحت صفاة كماله * فقد طاب أغوار بها ونجود
فعال كاسراب النجوم منيرة * حبيب بها يهدى ويردى حسود
تأصل من قوم سراة أماجد * لهم فى المعالى طارف وتليد
هم القوم أما جاهم فمنع * رفيع وأما نهجهم فحميد
فمن يعتلق يوماً بحبل علاهم * له الدهر طوع والأنام عبيد
وواسطة العقد النفيس امامهم * أبو الفضل بالفضل المبين وحيد
أبا الفضل عاد العيد بالسعد والمنا * وباليمن والاقبال سوف يعود
أهنيك بالعيد السعيد وانما * بكم تفخر الدنيا ويهنا عيد
محبك قد أهدى اليك خريدة * لها الحمد حلى والثناء برود
أتاك بروض الحمد يعبق نشره * وأهدى اليك الدر وهو نضيد
وقد زعم الجهال أنى لاحن * وأنت ترى فى الشعر كيف أجيد
وكيف يروم الجاهلون تنقصي * ولى النظم عبد والمعاني جنود
أصرفه فى كل معنى أريده * فيطرب ترديد له ونشيد
وقد صنته عن وصل كل مهجن * ولست به الا عليك أجود
فشم عيد الحمد واقتطف الثنا * فروض ثناءى من نداك مجود
طويل ثناءى فى كمالك قاصر * لان علاك فى الانام مديد

ولاعتب فى تاخير اهداء مدحتى * ففى كل يوم من زمانك عيد
عليك سلام الله ما ذر شارق * وما لاح نجم فى السماء سعيد

أنشأها يوم عيد الفطر عام خمسة وثلاثين ومائتين والف وهى كالمعارضة لقصيدة الفقيه الاديب أبى عثمان سعيد التلمساني مخاطباً الرئيس أبا العباس احمد بن عبد الله الدلاءى على لسان السلطان المقدس مولانا اسماعيل وهى

تاهب ليوم العيد فالحرب عيد * لنا وعليكم محنة ووعيد
ستعلم أشقى الناس يوم لقائنا * اذا قهقهت فى الحرب منا رعود
دعوت مجيباً فارتقب ما طلبته * فانا بما تبغى عليك نجود
أتجهل قبل اليوم ما قد علمته * وأنتم لنا تحت السيوف عبيد
أسأتم وكنا المحسنين وعدتم * الى السيئات بالعقاب نعود
تذكر بنات العم ويحك بالقرى * على كل باب للسؤال قعود
قطعت بهن الحبل من بعد وصلة * الى كم لهن مهبط وصعود
أتطلب دار العز من بعد غدوة * وأنت من المجد الاثيل بعيد
عدمنا عتاق الخيل أن لم تصلكم * عليها من الابطال منا أسود
تخطف كالعقبان خزان ارضكم * وفى الحرب منهم قائم وحصيد
أغرك منا الحلم أول مرة * فهذا لعمرى اليوم أمر جديد
عفونا وكان الظلم منك سجية * ستبلغكم عنا الصبا[1] ما نريد
نظمت عقيق الخلف من بعد نثره * على جيدك المقطوع منه عقود

---

[1] الصبا ريح مهبها من مطلع الثريا الى بنات نعش

وما ذاك الا الدمع فى كل لحظة * عليك به ذات الحجال [١] تجود
فسل ان جهلت الناس عنا وعنكم * متى قابلت جيش القرود أسود
أيا أحمد المغرور ما أنت بالذى * تخفق فى الهيجا [٢] عليه بنود
ولا أنت ممن يصلح الناس رأيه * له نظر فى الصالحات سديد
كانى أراك فى البغال مسلسلاً * على الرجل واليدين منك قيود
بجيرك يا ابن البربرية غائض * وبحرى بموج الصافنات [٣] يجود
عليك من الطود [٤] الحديد سلامه [٥] * متى ساد أهل الغرب مثلك سيد

ومن شعر المترجم له هذا التخميس

الشوق نحو مقام الانس يصعدني * وفوق هام [٦] ثريا السعد يقعدني
يامن يريد من اللذات يبعدني * لو كان لى مسعد للراح يسعدني
لما انتظرت لشرب الراح افطارا
فشرق الحب فى قلبي مغاربه * قد لاح طالعه منه وغاربه
فقل لمن قد صفت مثلى مشاربه * الراح شيء شريف أنت شاربه
أشرب ولو حملتك الراح أوزارا
نليست الراح للعليا بنائية * ولا رسوم الهوى منها بعافية
فاترك ملامى وعاملنى بعافية * يامن يلمنى على صهباء صافية
خذ الجنان ودعنى أسكن النارا

اه وقد اذكرني هذا التخميس أبياتاً خمست بها بيتى الحباك المفردين

---

[١] الحجل الخلخال ج حجال [٢] الهيجا الحرب [٣] الصافنات القائمة على ثلاث قوائم وطرف حافر الرابعة [٤] الطود الجبل [٥] السلام الحجارة [٦] هام جمع هامة رأس كل شيء

المذكورين فى حكايته ألاول

حل الربيع نحل اللهو والمرح * فالجو منبسط والصدر منشرح
فقل لمن عذلوا في الزهو فانتصحوا * طاب الزمان وجاء الورد فاصطبحوا
ما دام للورد أزهار وأنوار

والثاني

جاء الربيع وأبدى كل خافية * من الزهور وأهدى كل عافية
ياسيدى دمت في نعماء ضافية [1] * أشرب على الورد من صهباء صافية
خمساً وستا وعشراً بعدها عددا

والحكاية ذكرها صاحب حلبة الكمية قال رفع الى المامون ان حباكاً يعمل سنته كلها لا يبطل في عيد ولا جمعة فاذا ظهر الورد طوى عمله وغرد بصوت

طاب الزمان وجاء الورد فاصطبحوا * ما دام للورد أزهار وأنوار

فاذا شرب مع ندمائه غنى

أشرب على الورد من صهباء صافية * خمساً وستاً وعشراً بعدها عددا

ولا يزال في صبوح وغبوق ما دامت وردة فاذا انقضى الورد عاد الى عمله وغرد بصوت عال

فان يقضى ربي الى الورد اصطبح * وان مت والهفي على الورد والخمر
سألت الاه العرش جل جلاله * يواصل قلبي في غبوق [2] الى الحشر

فقال المامون لقد نظر هذا الى الورد بعين جليلة وأنعم عليه اه

[1] ضافية كثيرة سابغة [2] الغبوق شرب العشية

ومن شعر المترجم له قوله

بين الجوانح نار الشوق موقدة * ونظرة في جمال الحب تطفيها
في وجهه جنة للحسن جامعة * فانظر اليه تجد ما تشتهى فيها
وفي الفؤاد جراح من لواحظه * ومرهم[1] من رضاب[2] الثغر يشفيها
والنفس في حسنه الوضاح هائمة * والوعد ان عز منه الوصل يكفيها

ومن شعره قوله

الا حي عني جسر سبو * وماحوله من مكان بهيج
فلله من منظر معجب * ونهر أنيق[3] ومغنى[4] فريج
تذكرت أيام أنسي به * فصار لساني بذاك لهيج

وللفقيه الاديب سيدى محمد الشرفي في هذا النهر مقطعات رقيقة الاطراف. مائسة الاعطاف. كأنها من مدينه أحتست. وبعرف نسيمه تنفست. اذا أتحفه الوسمى[5] والولى[6] بالدرر. وجر الربيع بشطيه ذيول الحبر[7] واحمر خده فحكى لون العقيق. وخفقت له اعلام البهار والشقيق. وبنى الانس بمجازه على التحقيق فمنها قوله

كأن سبو اذ جاء يسحب ذيله * على فرش من سندس نظمت درا
زرود[8] لجين احكم القين[9] سردها[10] * تسلسل في أحشاء ياقوتة

وقد خمس هذين البيتين الاديب البارع الحاج ادريس بن علي السناني بقوله

---

(١) المرهم دواء مركب للجراحات ٢ الرضاب الريق ٣ أنيق معجب ٤ الغنى المنزل ٥ الوسمي مطر الربيع الاول ٦ الولى المطر بعد المطر ٧ الحبر ج حبرة ضرب من برود اليمن ٨ زرود ج زرد الدرع ٩ القين الحداد ١٠ سردها نسجها

رأينا سبو قد أحرز الحسن كله * فلم يك نهر في المغارب مثله
فقل ان ترد تشبيهه مادحاً له * كأن سبو اذ جاء يسحب ذيله
على فرش من سندس نظمت درا
حسام وهاتيك الجوانب عدها * حمائله اذ كالزمرذ مدها
ولاكنه والريح تجهد جهدها * زرود لجين أحكم القين سردها
تسلسل فى أحشاء ياقوتة خضرا

ومن تلك المقطعات قوله

اذا شئت انشراحاً فى انشراح * بنهر سبو انزلن عند الصباح
وصب من الاتاى مذاب تبر * باقداح اللجين مع الصباح
وقل طرباً اذا استروحت راحاً * على اللذات ذا يوم[1] الصباح

ومنها قوله

جر الذيول وسارا * سبو وقال افتخارا
أنا على كل نهر * فى الارض نلت الفخارا
وصدقته شهود * فيما ادعاه جهارا
حصباؤه كاللئالى * والماء يحكى العقارا[2]
والعرف مسك ذكى * والجسر زاد وقارا
فاشرب عليه صباحاً * عتيق كسرى ودارا[3]
ما بين نغمة عود * وشاذن[4] وعذارى
واقطع زمانك لهواً * لاتخش اثما وعارا

---

١ يوم الصباح يوم الغارة ٢ العقار الخمر ٣ دارا بن دارا ملك الفرس ٤ الشاذن الظبى

ولا تعرج على من * للنسك شاد المنارا
تكفيك ذمة فرد * شفيع قوم حيارى
فهو خير رسول * وخير من قد أجارا

ومن شعر صاحب الترجمة قوله

كانما الياسمين في خمائلها * زهر النجوم تلوح فى دياجيها
لما بدت فى سرير الروض ناظرة * أبدى لها الحكم السنا تناجيها

ومنه قوله

يا كوكبا بسما الجمال شريقا * قد صرت للبدر التمام شقيقا
نسرين [1] وجنتك البهية ما له * أرنوا اليه فيستحيل عقيقا
ورحيق ثغرك ما له أبغى به * نقع الاوام [2] فيستحيل حريقا
يامن حوى رقى برقة حسنه * نفسى فداؤك كن على رفيقا

ولو قال أرنوا اليه فيستحيل شقيقا . لكان بالمناسبة حقيقا
وهذا الشعر شبيه بقول ابن عبد ربه

يالؤلؤاً يسبي العقول أنيقا * ورشاً [3] بتقطيع القلوب خليقا
ما ان رأيت ولا سمعت بمثله * درا يعود من الحياء عقيقا
واذا نظرت الى محاسن وجهه * الفيت شخصك فى سناه غريقا
يا من تقطع خصره من رقة * ما بال قلبك لا يكون رقيقا

ولو قال درا يعود من الحياء شقيقا . لم يكن بالمناسبة خليقا
ومن شعر صاحب الترجمة ما هنا به أمير المومنين المقدس مولانا

---

١ النسرين بالكسر ورد معروف ٢ الاوام العطش ٣ الرشا الظبي اذا قوى ومشي مع أمه

عبد الرحمان ببناء منزه القبيبات برباط الفتح عام اثنين وخمسين ومائتين والف

الحمد لله ان الحمد قد وجبا * سبحانه قد أرى من لطفه عجبا
وخص بالنصر والتمكين سيدنا * وعمنا كرماً من فضله وحبا
حل الرباط رباط الفتح مالكنا * فاهتزت الارض من مرأى له طربا
فأشرقت أرضه من نوره وغدا * ثغر البشائر منه باسماً شنبا
وأصبحت أوجه التوفيق سافرة * تملي التهاني على ءاثارنا خطبا
أما ترى البحر قد أبدى الخضوع له * ولم يزل خافق الاحشاء مضطربا
أفواج أمواجه تبدي تطلعها * تقبل الارض من بعد له أدبا
مولاي ياعابد الرحمان يامالكا * به البشارة تمت والبنا وحبا
دم في ذمام العلا والمجد مشتملا * بالسعد للفتح والتمكين مصطحبا
واشرب هنيئاً عليك التاج مرتفقاً * بالتاج فالله سنى القصد والاربا
راعي القبيبة مولانا وألبسها * من حفظه حلة مرقومة وقبا
ما في المنازه أبهى من منازلها * مرأى بهيج يضاهي في العلا الشهبا
أدام ربي مولانا وأيده * وزاده رحمة موصولة وحبا

ومنه

أي بدر تحت ليل قد غسق [1] * وقوام كقضيب قد مشق
ورياض فوق خد قد زهت * من حلاها الورد والآس عبق
ما رأيت البدر الا عاشقاً * منه خداً وقواماً وحدق

---

[1] غسق اظلم

فلذا أنحله طول السرى * كيف لا يفنى نحولاً من عشق

ومنه

رب سهل على فتاتى فتاتى * اترى هل سلا فتاها فتاها

نامته جفونها اى سحر * ما تلاها عن حبها فتلاها

ومنه قطعة بعثها للروضة الشريفة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام وهى

ياخيرة الرسل هذا العبد ناداك من * أقصى المغارب يرجوا منك رضوان

وقد تخير بدر الدين شافعه * وحسبه الآل للاسعاد عنوانا

فامنن عليه باقبال ووالده * عطفاً ولطفاً وتوفيقاً واحسانا

صلى عليك الاه العرش ماملأت * منك المكارم والخيرات أكوانا

والك الغر والاصحاب أجمعهم * ما نال عطفك من ناداك اعلانا

وكتب صحبتها للعلامة أبى المحاسن سيدى يوسف بن بدر الدين يوم سفره فى رابع ذى القعدة عام ثمانية وخمسين ومائتين والف

يا راحلين وقد خلفت عندهم * قلبى وودى وهم فى القلب سكان

فى ذمة الله مسراهم ونجعتهم[١] * والفضل يغشى حماهم أينما كانوا

لا تنسون غريب الدار بعدكم * ما عنده بجميل الصبر امكان

وقد وجهت لكم خمسة أبيات سمحت بها القريحة القريحة. وان كانت صحبتها النية الصالحة الصحيحة. فنب عنى حفظك الله فى ايصالها للروضة الشريفة. ونشرها بتلك السدة المنيفة. كما اقتضاه وعدكم الكريم. والوعد عند الحر دين يقتضيه الغريم. والله يحفظ جلالك. ويحرس

١» النجعة بالضم طلب الكلأ فى موضعه

خلالك ءامين اه وكتب له بعض أدباء وقته هذه الابيات

قل للوزير أبي الفخار محمد * ان النفوس الى جلالك شيقة
لوكنت تشهدنا بساحل لجة[1] * موصولة بجداول متدفقة
ورأيت تمثال الخمائل تحتها * فكأنها باصولها متعلقة
والريح تصقلها فتحسب أنها * مرءاة مجلو الوجوه المونقة
حضر السرور وتممت لذاته * بحضور من منه البسيطة مشرقة
قطب العوالم نجل أقطاب العلا * بحر المواهب ذى الاصول المعرقة
كنا نرجى أن تلوح بافقنا * قمراً فتغتنم النواظر مشرقة
لاكن فعالك عندنا مقبولة * اذ كلها مسعودة وموفقة

فاجاب بقوله

لله درك يا ابن أحمد ما وشت[2] * يمناك فى وصف الرياض المونقة
أظهرت فى علم البلاغة ءاية * ما ان تزال بها اللواحظ محدقة
ونثرت من تيار[3] فكرك جوهراً * بوجوده زان المهذب منطقه
وبعثت من حر الكلام فريدة * من بحر فكرك فى الفصاحة معرقة
فاض البيان براحة هطالة * جادت أناملها بسحب مغرقة
ووصفت مجلس ساداة فى روضة * جمعت ذوى الفضل المؤصل والمقة
لما تلى التالون ءاية سحرها * أضحت رءوس ذوى البلاغة مطرقة
وفضلتهم بالرغم لما فقتهم * سبقاً بمعجزة البيان المفلقة[4]
ماكان أشوقنى لها لو أنني * ألفيت أيامى لحالى مشفقة

١» اللجة بالضم معظم الماء ٢ وشت نقشت وحسنت ٣ التيار الكثير الجريان ٤ المفلقة الاتية بالعجيب

أيروغ عن أهل الجلالة والعلا * صب وحبهم السعادة ملحقة
لا كن عذرى تعلمون وضوحه * ولديكم حجج القبول محققة
لاغرو ان نلت السعود بذكركم * وغدت بحمدكم رياضى مونقة
هناكم رب العلا وحباكم * من فضله غرر الامانى المشرقة
وبقيتم فى نعمة موصولة * بسلامة فى ظل سرا مطلقة

وقول صاحب الابيات المجاب عنها

ورأيت تمثال الخمائل تحتها * فكأنها باصولها متعلقة

أخذه من قول البحترى

قل للامام أبى محمد الرضى * قول امرئ أبلاه حسن بلاء
من حول بركتك الشهية سادة الـ‍ـعلماء والفضلاء والرؤساء
لو أنصفوك وهم قيام أشبهت * أشخاصهم أمثالها فى الماء

ومنه أخذ الارجانى قوله

هذا الزمان على ما فيه من كدر * يحكى انقلاب أعاليه باهليه
غدير ماء تراءى فى أسافله * خيال قوم تمشوا فى نواحيه
فالرجل ينظر مرفوعاً أسافله * والرأس ينظر منكوساً أعاليه

ومن شعر المترحم له قوله

أحب لقاء الله فى كل ساعة * على قبح أفعالى وكثرة أوزارى
وان جميل الظن فى عفو خالق * لافضل عقد ضمه عقد اضمارى
فيا رب عاملنى بما أنت أهله * ولاتخزني يوم القيامة بالنار
فانت غفور والشفيع محمد * وبين شفيع لا أضيع وغفار

عليه صلاة الله ثم سلامه * وءال وصحب تابعين وانصار

ومنه

مولى الورى أنت الكريم ومن دعا * باسم الكريم وان هفا ابناه
نحن العبيد وأنت مالك رقنا * والعبد لا يرجوا سوى مولاه

ومنه

يا نبي الهدى اليك نداءى * والى جاهك العريض التجاءى
فاجرني من الردى وأجزني * بقبول يا أكرم الكرماء

ومن نثره ما كتبه عن السلطان مولانا عبد الرحمان لما أوقع بقبيلة زمور وهو ولدنا الارض الابر الارشد سيدى محمد أصلحك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد فقد كنا أردنا الابقاء على قبيلة زمور رحمة وأشفاقا. وحملهم على الاستقامة بالارهاف من الشدة فى بعض الامور هداية وارفاقا. فلم يرد الله بهم خيراً لفساد نيتهم. وخبث طويتهم. واتكالهم على حولهم وقوتهم. فما رأوا منا لينا وسدادا الا ازدادوا شدة وفسادا. ولا أظهرنا لهم عظة وارشادا. الا أظهروا تطاولاً وعنادا. وما أخرنا المحلة المنصورة عن الركوب اليهم ابقاء والفا. الا ظنوا ذلك عجزاً وضعفا. قد طمس الاعجاب منهم بصراً وسمعا ولم يروا أن الله قد أهلك من قبلهم من القرون من هو أشد منهم قوة وأكثر جمعا.

اذا أنت أكرمت الكريم ملكته * وان أنت أكرمت اللئيم تمردا
فوضع [١] الندى فى موضع السيف بالعلا * مضر كوضع السيف فى موضع الندى

[١] الندى العطاء.

فلما رأينا لجاجهم فى عماهم. وعدم رجوعهم عن هواهم . وأنهم لم يعتبروا بجلائهم عن بلادهم . ولا بما أصابهم من الفتنة فى أنفسهم وأولادهم . ولم يراعوا ما نهب من زرعهم القائم والحصيد. ولاما استخرج من مكنونهم الكثير العتيد . رأينا قتالهم شرعا . وجهادهم ذبا عن الدين ودفعا . فاعتمدنا على حول الله وقوته وأمرنا بالزيادة عليهم فى الاخذ والتضييق. والمبالغة فى النهب والتحريق. وتركهم محصورين فى أوعارهم. ومقهورين فى أوكارهم. اذ رب مطاولة . أبلغ من مصاولة. فتوالت عليهم الغارات. وتتابعت عليهم النكبات لا يجدون الى الراحة سبيلا . أينما ثقفوا[١] أخذوا وقتلوا تقتيلا . ففى كل يوم تثمر العوالى رءوس رؤسائهم . وتتخطف أيدى المنايا أهل باسائهم. وكلما زادوهم اقداماً وطلبا. ازداوا توغلا فى الجبال وهربا . حتى نهكتهم[٢] الحرب . وضرستهم موالات الطعن والضرب وضاع بالحصار الكسب والمال. ولحق الضرر الأولاد والعيال فجعلوا يرحلون لقبائل جوارهم . طالبين حلتهم وجوارهم . وبلغ البوس فيهم غايته . وأظهر الله فيهم ءايته . وهم فى خلال كل حين يتشفعون . ويتذللون فى قبول توبتهم ويتضرعون. ونحن نظهر لهم التمنع والاباية لنبنى أمرهم على أساس الجد . ونجازيهم على ما ارتكبوه من خلف الوعد. فلما أنجزت القهرية فيهم وعدها . وبلغت العقوبة فيهم حدها . قابلنا اساءتهم بالاحسان . ووراعينا فيهم وجه المساكين والنساء والصبيان فولينا عليهم ثلاثة عمال ووظفنا عليهم خمسين الف مثقال.

١» ثقفوا ظفر بهم ٢ نهكتهم أضنتهم وهزلتهم

وشرطنا عليهم تقويم مائتين من الحراك مثل قبائل الطاعة . والتزام الصلاح والخدمة جهد الاستطاعة فقاموا بذلك أحسن قيام . وأعطوا المراهين فى اداء المال بعد أيام وكان أخذهم بعد تقديم الاعذار . وتكرير الانذار . وعفونا عنهم عفو غلب واقتدار ورب عقاب أنتج حسن طاعة. وتوبة نصوح [1] تداركت ما سلف من التفريط والاضاعة. وفى الناس من لا يصلح الا مع التشديد. وربك يخلق ما يشاء ويفعل ما يريد.

وماعن رضى منها عطية أسلمت * ولاكنها قد قادها للهدى القهر
أردنا بها الابقاء فازداد عجبها * وأدبها التشديد والفتك والاسر

ولو قيدوا النعمة بالشكر لأمنوا الزوال. ﴿واذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له وما لهم من دونه من وال.﴾ والسلام فى فاتح رجب عام تسعة وخمسين ومائتين والف

الرئيس الوزير أبو الصفاء

المختار بن عبد الملك الجامعى

رحمه الله

نبيل القدر. جليل الفخر. شديد الشكيمة [1]. مضطلع بالمهمات العظيمة. كان عند المولى سليمان من أقرب خدامه. وأنجب مختار لبعثه فى الاغراض واستقدامه. ولم تزل مكانته تسموا. وحظه ينموا حتى استوزره أمير المومنين مولانا عبد الرحمان قدسه الله باقتراح جيش

[1] الشكيمة الانفة والانتصار من الظلم

الأوداية . بعد مجاوزتهم الغاية . في الانحراف والاذاية . وشقهم العصا. وظهورهم مظهر من بغى وعصا . وتظلمهم من الوزير بن ادريس واتهامه بالأفساد والتدليس . فدبر الامور بعقل راجح . ورأى في بحر الاصابة سابح . وسعد لعنق الخمول ذابح . الى ان انصرم أجله . وانقطع أمله . عام احد وخمسين ومائتين والف وكان هو والوزير أبو عبدالله محمد غريط كنديمي جذيمة . مصافاة وأخوة سليمة . قائمين بشروط التألف . مطرحين كل نفاق وتكلف . لم تكدر الايام صفو ودادهما . الى ان صدع البين برد اتحادهما .

ولده الكاتب الوزير أبو المكارم

(العربي بن المختار)

رحمه الله

سليل السيادة . رضيع خلفى [1] الوزارة والقيادة . جانى ثمرة العز غضة مجتلى وجوه الامال مبيضة . وكنى بمصاهرة السلطان سيدى محمد وخئولة أبنائه . مجداً تنقطع الاطماع دون رفيع بنائه . وفخرا يجر على النجوم ذيلا . ويميل اعناق المعجبين ميلا . مع جمال سمت وأخلاق . وتمسك بالصدق واعتلاق . أستكتب بالصدارة وشبابه في عنفوانه [2] وكرى حظه في ايوانه . وصبح خبرته لم يسفر . وغصن تجربته لم يثمر . الى ان تأدب وتدرب . وجرب من أمور السياسة ما جرب . ففرعت له العدلية من الصدارة . وشارك صدرها في اسم الوزارة . ثم

«١» الخلف بالكسر حلمة ضرع الناقة «٢» عنفوان الشيء اوله

أحله السلطان مولانا عبد الرحمان محل الصدر . واظهره بين الكاتبين كالبدر فاستقبل امره بنجدة وابابة . وهمة تتوق الى كل غاية . وكان مخشى السطوة . لا يبالى في تنفيذ الاوامر بذى رتبة أو نخوة [١] . وقعت له في ذلك وقائع أرضت عمراً وأغضبت زيدا . وجرت له حقداً وكيدا . فلم تزل السنة مبغضيه تسجع بما لا يرضيه سجع المطوق . وصحف الوشاية به تمق وتزوق وسهام الملام . من جلالة الامام . اليه تفوق . حتى ضاق شبر مداراته عن مسير . وانقلب اليه بصر مجارته خاسئاً وهو حسير . فعزل وولى قيادة الجيش . وقيدت بها سهام عزمه عن الطيش . الى ان غربت شمسه وحواه رمسه عام نيف وسبعين ومائتين والف ومن مزاياه المأثورة وأياديه المشكورة . أنه لما بويع السلطان سيدى محمد قدسه الله رام بعض المتعشقين للفتن المغترين بخضراء الدمن [٢] . مبايعة بعض الشرفاء السليمانيين بفاس . وبنوا أمرهم على غير أساس . فسعى فى أبطال حكمهم باله . وابطال رجاله . وفرق فى أهل فاس ثمانية عشر الف مثقال وأمر بالفتك بكل من فعل أوقال . فاحيط بدار رجل يسمى الزمورى بالطالعة . وكان من تلك الفرقة الضالعة [٣] . وقتل أولاده . ونهب طارفه وتلاده فكان أمره موعظة وعبرة . لمن لم تكن له بعاقبة العناد خبرة وطوف ببعض أولائك الشرفاء . حتى سكنت الهيعة [٤] وبرح الخفاء . وانتظم الكل فى سلك

---

١ النخوة الافتخار والتعظيم ٢ الدمن ج دمنة أثر الدار وفى الحديث اياكم وخضراء الدمن قيل وماخضراء الدمن يارسول الله قال المرأة الحسناء فى المنبت السوء ٣ الضالعة المائلة ٤ الهيعة الصوت المفزع

الطاعة . لامام الجماعة . اه

الكاتب الوزير أبو عبد الله

(محمد بن محمد غريط الاندلسى)

رحمه الله

هؤلاء الاغريطيون كانوا ممن هاجروا بدينهم من الاندلس الى المغرب. لما لحقهم من الحادث المكرب بانحاء الاصبنيول عليها . ومدهم يد الوبال اليها . فحلوا بمكناسة الزيتون . واستغنوا بهمم لاترضى بالدون . الى ان اتصل خلفهم بالسلطان الاعظم الجليل . مولانا اسماعيل . فاقتعدوا أريكة [1] العز فى دولته . وبلغوا ما أملوا فى ظل صولته . فكان منهم علماء الباء . وأدباء وأطباء . وتجار أمناء بحضرته . نائلون نضرة العيش بنظرته . ولم تزل أعقابهم عند أعقابه الملوك الكبار . فى مقام التنويه والاعتبار . وشرفوا منه ومن ابنائه الكرام . بظهائر تضمنت مزيد التوقير والاحترام ومنهم صاحب الترجمة وهو رجل الوقار والجد . أصيل السودد [2] والمجد . شاعر تنبع الحكم من لسانه . وتمد أكف التسليم لاحسانه . كاتب حسن الشمائل . ذو رأى لامتاود [3] ولا فائل [4] وحال عن العرض الزائل مائل . وخط تحسده الخمائل . ويحفه القبول عن اليمين والشمائل . تبتهج العيون برونقه . وتنعطف النفوس لنسفه كما قال المتنبى وأبلغ به من قائل .

من خطه فى كل قلب شهوة * حتى كأن مداده الأهواء

وله يد فى الرباعيات والازجال وحظوة بلقاء صاحاء الرجال

---

١ الاريكة كل ما يتكأ عليه ٢ السودد السيادة ٣ المتاود المعوج ٤ الفائل المائل

كالولي الصالح السمي . سيدي عبد القادر العلمي . والولي المجذوب الذي لا زالت كراماته تبدوا . سيدي حفيد بن عدو . قدم من مكناسة مسقط رأسه . ومنبت غرسه . الى فاس مطلع شمسه . بعد أن حصل من العلم قدراً كافيا . وورد من الادب منهلا صافيا . وأخذ عن الفقيه الاستاذ السيد اليمني بوعشرين أصول الخط . أخذ احكام وضبط . فاستكتب لعاملها الوديني مدة ولايته وانتصر على صروف الوقت براية رعايته . الى ان عزل العامل لسيئة اجترحها . وفتنة اقتدحها قيل انه عبث بنسوة بعض الاعيان . وأطاع فيهن داعي العصيان . فاستجار أزواجهن بمن لهم كلمة مسموعة . واسرة مجموعة . من الشرفاء الطاهرين أهل العدوة . واثاروا امالهم من نجدة ونخوة . فخرجوا عن طاعته وتمالؤا على الفتك به . وأعلنوا بعد صلاة الجمعة . بحرم مولانا ادريس نور الله مضجعه . بلعن القائد وسبه . وخشي السلطان مولانا عبد الرحمان ان يتسع الخرق بسببه . فأطفأ النائرة بحبسه . وسد ثلمة العيهة براسه . وحمل الى سجن المدينة . بهيئة مهينة . وولى على أهل فاس القائد الاحمر . فاذاقهم البلاء الاكبر . والوبال الأمر . ونفى بعض اولائك الشرفاء الى مرسى الصويرة . جزاءً على فعلتهم الخطيرة ونقل الوزير المذكور لاعتابه . مؤمنا من ملامته وعتابه . وأدرجه في خاصة كتابه . وأغناه الله بالبحر عن النهر . ومكث على ذلك حيناً من الدهر . ولما كان فذ أهل طبقته في الاختصار والتجافي عن الاسهاب والاكثار . وكان الامام المذكور يميل الى مذهبه ويعرض عن مطال القول ومسهبه . كان يؤثره بتنقيح ما استطوله .

وتوضيح ما استشكله فيرتب فصوله . ويلقى فضوله . ويبقى محصوله
ويغص به من يجر فى مقام التشهير ذيوله . ثم ولاه الصدارة فاوسع لها
ذرعه . واستفرغ في ادارتها وسعه . ولما أيقن بان هذا المنصب محك
العقول ومحط الاهواء . وهدف سهام الوشاة والاعداء . صاحبه على
غرر . وان استخرج منه الدرر . ومقتعده فى هم وتعب . وان افترش السندس
ومشى على الذهب . فهو كراكب الاسد . يخافه الناس وخوفه منه أشد
قرب الملوك يا أخا البدر السنى * حظ جزيل بين شدقى ضيغم [1]
قدم للسلطان طلب اعفائه . واعتذر بانه ليس أهلا لهذا الامر ولا من
أكفائه . لكبره وضعفه عن تحمل أعبائه . فقال له الملك ما معناه مالك
أيه الرجل كلما أردنالك رفعاً ونفعا . أظهرت له اباءً ودفعا أما الكبر
والضعف . فكلنا بذالك الوصف . فاصبر واحتسب . فى مصالح الامة
على ما لا تحب . فاجابه بما معناه يا مولانا اني لاأصلح أن اكون رئيساً
معلما . بل يجب ان اكون مرءوساً مسلما . ثم أعفى بعد مراجعة . وعتاب
فى طيه منازعة . واستشار السلطان فيمن يولى هذا المحل بعده . ويطوقه
عقده . فاشار بجماعة كلهم للتقديم صالح وللانتخاب لائح . ولسماك
تلك المرتبة بسنان أمله رامح . حتى وقع الاختيار . على الفقيه الكاتب
أبى عبد الله محمد الصفار . وهو اذ ذاك متعلق من المسكنة بسبب .
عاطل الامن العلم والكتابة والادب فأتته الوزارة على قدر . تقتاد البدور
وتجر البدر [2] . وبقى المترجم له كاتباً محفوظ الحرمة . موفور النعمة .

---

[1] الضيغم الاسد [2] البدرة كيس كبير فيه الف أوعشرة الاف درهم او سبعة الاف دينار

مستشاراً في كل مهمة. ثم استوزر لامير المومنين سيد محمد زمن
استخلافه عن ابيه ثم لمولاى احمد بناس الى ان خبت ريحه. واشتمل
عليه ضريحه في عام ثمانين ومائتين والف ودفن بالمسجد المجاور لضريح
الولى الاشهر سيدى على ابي غالب رضى الله عنه وكتب على قبره هذا
البيت المضمن تاريخ وفاته وهو

(فرش١٢٨) السعادة في ذا القبر تاريخ * ووزر صاحبه بالعفو منسوخ

ومن مناقبه المحمودة. ومآثره التي هي على هامة الاعتبار معقودة
أن السلطان مولانا عبد الرحمان لما تجرأ عليه رؤساء الاوداية. ونعقوا
بالخلاف نعاق ابن داية [1]. وجمعوا لحربه كل خاسر كنود [2]. ورامـوا
حصاره بأبي الجنود. واستقدم الجيش البخارى من مكناسة الزيتون
فهبوا لنصرته وأسرعوا الى حضرته. اسراع من اجهدته السنون.
لمواقع الغيث الهتون. فآوى من نجدتهم الى ركن شديد. وعزم على
السفر من فاس الجديد. فركن الاوداية الى المكر. وتجلوا في حالة
ظاهرها العرف وباطنها النكر فأنهوا اليه توبتهم ورغبوا الى جنابه.
في عدم مفارقة اعتابه. فلم يسعف رغبتهم ثم عقد معهم صلحاً مشروطاً
بسفره. لقضاء وطره فطلبوا منه المرور بحلتهم. ودسوا في الخداع
ابراء علتهم. وابراد غلتهم. فلما توسط خيامهم. أظهروا للغدر حيامهم.
وأطلقوا عليه نيران المكاحل. وراموا أخذه بالانامل. فخرج من
بينهم وقد جرى على جيشه ما جرى واعترى عبيده من التشريد ما

[1] ابن داية الغراب [2] كنود كفر النعمة

اعترى . بعد ان تفانوا على حماية جنابه ، وتباروا فى التزام ركابه . حتى تغير شكل موكبه . ونهب ما عدى نامه المقدم ومركبه . واشتد عليه الظما . حيث لا ساقى ولا ماء التفت فلم ير سوى صاحب الترجمة فاستدناه وءاواه . فسقاه بخفه حتى ارواه . ودخل صحبته الى مكناسة الزيتون . فاحله حيث تجله العيون . واستنجد بافكاره . على استنتاج أوطاره . حتى ادبر جيش الفتنة بسنان تامه وفيصل [1] رأيه . فاعترف بفضله وحميد سعيه . ولم تزل تلك اليد محفوظة له ندية . متلواً حديثها فى جميع الاندية . وحضر مع أمير المومنين سيدى محمد زمن خلافته . بوصف القيام بوزارته . فى الليلة التى اسفر عن وجه النصر صبحها . وكسر سورة الخسر ربحها . ليلة أجلب الحاج عبد القادر بن محي الدين على محلته برجله وخيله . والقى بكيده وحيله . أخبرني من سمعه أنه ذل لما انسدلت جلابيب الظلام . وتعادل الساهرون والنيام . وابتسم ثغر البسيط لبكاء الغمام . جاء انذكور من انتقام من صحبه المستميتين لاعلاء كعبه . فأطلقوا على سمت المحلة من الرصاص شؤبوبا وعباباً مشبوبا . بعد ان اوقدوا ناراً على متون الركاب [2] . وشردوها بين الاخبية والاطناب . فامتلات الجوانح والقلوب قرحا . والجوانب قتلى وجرحا . وصارت الجيوش السلطانية ترمى بعضها . وتهم ان توسع فى الفلات ركضها . حيث لم تدر للعدو ناحية . ولا شعرت بالداهية . ولسان حال الزعيم يقول رب حيلة . انفع من قبيلة . ثم نودى بالنهى عن الركوب

[1] الفيصل الحاكم [2] الركاب الابل

والصبر على الامر المكتوب . وتراجع الطبجية الى المدافع فتجروا منها بحاراً ذات أمواج . اهتزت لها الجبال والافواج . وتلتها شهب منقضة من افواه المكاحل . كحلت بميل الردى كل مدبر وواحل . وشرق الزعيم . لا يلوى على حميم . واصبح جمعه كسيرا . ووزيره البوحمدى اسيرا . فى جماعة من تلك الفئة . التى كانت نحو الالفين وخمسمائة . ووجد على اصحابه اقبية الحرير . والعمائم الموسومة بالتذهيب والتحبير اغياءً منه فى الترفيه . وزيادة فى الأثرة والتنويه . اه

وكان الاسارى يقرلون عند التطويف بالبلد . ومزج الخوف بالجلد اللهم انصر السلطان وانصر ولده وانصر فرجي عبده وكان ذلك فى محرم فاتح عام ١٢٦٤ وعلى الاجمال ففضل هذا الوزير عند أهل الفضل معلوم واثره فى صحف المفاخر مرسوم . ولولا تمسكه بذليل العفاف وقناعته من الدنيا بالكفاف . وانقباضه عن غير من ترجى بركته وتحض على السكون حركته لسار صيته مسير الشمس واشير الى محله بالخمس . وتغنت طيور الطمع بمدحه . ونمى نتاج النفاق بسرحه وما أحسن قول ابن الحسين

واذا خفيت على العيون فعاذر * ان لا تراني مقلة عمياء

ومن شعره الرفيع . المحتوى على نفائس الحكم والصنع البديع . ما اجاب به الوزير ابا عبد الله كنسوس عن ابيات تهنية وهو

من أوتي الدين غالي القدر مغبوط * وغيره معلواته أغاليط
والنقط ليس يزيد الحرف تكرمة * كم مهمل دونه ما هو منقوط

والجد ليس بجد من مقاصده * يلفى بها عند الانتقاد تخليط

واحمق الناس من قد غره عرض * به الذهاب والاضمحلال مربوط

وليس يسلم في حال القيام به * من ذي قلى [١] قوله بالزور مخلوط

ومن عجائب ما ابداه ذا الوقت ان * يعز شرط ولا يعز مشروط

ومن تحقق فيه الشرط ثمت لم * يفز بمشروطه لا شك مغموط [٢]

يا فاضلا فوق هام انجم أخمصه [٣] * ماذا يكافي به ثناك غريط

البستني منه ابهى حلة فغدا * بها لنفسي تفريح وتنشيط

كانني قد شربت من معتقة * ما ان يمس بها الاعضاء تثبيط

لله من قطعة عني قطعت بها * موصول هم به الفؤاد مضغوط

ما حاك نجل الحسين مثل بردتها * ولا ابن حجر اذاً ما كان تمليط [٤]

كل المسامع تهوى ان يكون لها * من حلي شعرك حر الشعر تقريط

وكل جيد مجيد قد تشوق ان * يرى وهو بعقد منك معلوط [٥]

تنشيه ثم توشيه الانامل من * يمناك من كفها بالخير مبسوط

بمثلكم دولة الاشراف تفخر لا * بمثل من فيه إفراط وتفريط

وانت غرة هذا العصر دمت وما * للدهر يوما على علياك تسليط

ومن شعره قوله

عبيد العصا فاضرب منهم كل من عصا * ولا تغترر منهم بمن لك بصبصا [٦]

وان كنت في شك فجرب تجدهم * كاكمه [٧] فيما قص عنه وأبرصا

١) القلى البغض ٢ المغموط المحتقر ٣ الاخمص ما دخل من باطن القدم فلم يصب الارض ٤ ما لطه قال نصف بيت واتمه الاخر ٥ معلوط العاطه بالضم القلادة ومقلدها معلوط ٦ بصبص الكلب حرك ذنبه ٧ الاكمه الذي يولد اعمى

وقد كنت ظفرت بغير هذا من درر منظومه . مدرجة في سلك رقومه ثم اختلسها من صوانى . بعض أخداني . وإن من الناس من هو أعدى من فار . على الثياب والاسفار . وكالارضة التي لو ألهمت لاحترام . لما أكلت منساة[1] سليمان عليه السلام

الكاتب الوزير

ابو عبد الله محمد بن عبد الله الصفار التطوانى

رحمه الله

هو من مهاجرة الاندلس الذين استوطنوا تطوان . لما أناخ الاصبان عليهم بالعدوان . كان ذا جد وسكينة . ودراية مكينة . وأخلاق في المروأة عريقة ومعرفة بالسيادة خليقة . وحياد وانقباض عن سفساف[2] الاغراض . وكان ورد من تطوان . على السلطان مولانا عبد الرحمان . صحبة عاملها أشعاش فقبض السلطان على العامل . لافعال ضاقت عنها المحامل . وندب المترجم لقراءة العلم مع أولاده . ومن جملتهم مولانا الحسن وسطى عقد احفاده . فحصل له شفوف وانتعاش . ثم شفع له تلك المرتبة . بالنظم في سلك الكتبة الى أن استوزره باشارة الوزير السابق نجرى على وفقه . وشمل الرعية بنصحه ورفقه . وفي أول وزارته كان قائد المشور لما له من كمال الاثرة ونفوذ الامرة . ومزيد الخبرة . قد استولى دونه على مواد النفع . وموارد الاخذ والدفع . ثم أشعر السلطان بما ارتكبه . فوبخه وانبه . واستبد الوزير بتدبير أعماله . وتنفيذ أشغاله . ممتريا ضرعها . منتقيا زرعها . بيد أن ماجمعه

---

[1] المنساة العصا [2] السفساف الرديء من كل شيء

وبتطوان أودعه . نهب لما جر عليها النحس الذيول . في واقعة جيش الاصبنيول . ولما بويع السلطان سيدي محمد قدسه الله وكان لديه الوزير بوعشرين . عديم النظير والقرين . ولاه تلك الرتبة العلية . وصرف المترجم له الى وزارة العدلية . وأبقي عليها الى أن وهن عظمه . ومحي من ديوان الاحياء رسمه . في أواسط ذي القعدة عام ثمانية وتسعين ومائتين والف بدار ولد زيدوح بتادلة ودفن بقبة الولي الصالح سيدي يوسف بن علي رضي الله عنه خارج مراكش ومن شعره رحمه الله في مدح كتاب المصباح

ان مشكلات اتتك ياخليل وقد ⭑ غابت شموس النهي عجل بمصباح
فهو المعين لمن اراد معرفة ⭑ وكاشف عن مخدرات افراح

وله في الاقتصاد

اذا أردت راحة القلب وان ⭑ تسلم من كيد الزمان والمحن
فصن معيشتك بالتدبير ⭑ ودع منافسة ذي التبذير
فحسبك التدبير في الكفاف ⭑ اكفى من الكثير في الاسراف

الكاتب الوزير

أبو محمد الطيب بن اليمني بوعشرين

رحمه الله

تاج مفرق الجاه والثروة[1] شمس سماء العز والنخوة . أستاذ نافذ العزم فقيه نير الذكاء والحزم . كان مهيب الطلعة . محذو الجيئة والرجعة . على اقتصاده في الملبس والمطعم . وتقاله من الاتباع والخدم . عن للسلطان

[1] الثروة كثرة العدد من المال والناس

سيدي محمد زمن خلافته ليقوم بتاديبه • وتهذيبه وتدريبه • ولما جرت واقعة وجدة كان ملازما لحجابته • قائما بكتابته • فنسب اليه والى كبراء الجيش التهاون وسوء التدبير • في ذلك الحادث الكبير • ووضعت يد الاحصاء والتثقيف. على مالهم من تليد وطريف، ولولا الشفاعة لصوت في لحاهم الجلم ١ وصاروا في التنديد أشهر من نار على علم • ولبث المترجم بمكناسة مدة • يزاول عناء وشدة • لم ينفعه احد بنافعة ولا رعى اه حرمة • الا تاجر من اهل الذمة • رعى له يدا سابقة • ومعاملة صادقة • ولله در القائل

يخونك ذو القربى مرارا وربما * وفى لك عند الياس من لا تناسبه

وبعد نحو الخمس سنين أعيد الى تلك الخدمة . وبوئ بعد الشقاء مهاد النعمة . ولما بويع السلطان المذكور نظر الى حقوق قضاها وخدمة في نفعه أمضاها . فأسند اليه أمر الصدارة . فشن دونها كل غارة . وصال بها صولة الليث في غابه واستخرج الحقوق حتى من اهله وأصحابه . ثم زوحم في التدبير . وشورك في الجليل والحقير ، ومكث يراوغ الايام . ويعالج الاسقام . الى ان تخطفته يد الحمام في عام ستة وثمانين ومائتين والف ودفن عن يمين الداخل لقبة القطب الشهير مولاي عبدالله الغزواني رضي الله عنه بمراكشة وولي بعده ولده الفقيه الاديب الكاتب البارع الحسيب علي الهمة أبي المذمة أبو العلاء ادريس باشارة من كان ينافر ولده ويباريه . ويقطع نفعه من مجاريه . وهو الحاجب أبو عمران ولم يكن ذلك عن نصيحة صريحة ولا مودة صحيحة . بل ليلا تخرج سياسته عن مناطها . وتحل

١ الجلم المقص ٢ شن الغارة عليهم اي فرقها عليهم من كل وجه

حيلته من رباطها . وبقي هذا الخلف مقتصرا من الوزارة . على الدست والشارة ، الى ان بويع السلطان مولانا الحسن قدسه الله فازداد امر الحاجب نفوذا وشهرة ، واستتبت له على رؤساء الدولة أثرة وامرة ، فاستقال الوزير المذكور فاقيل ، وجعل في جوار الحرم النبوي الرواح والمقيل . ومما حدث في ايام وزارة صاحب الترجمة ثورة الجيلاني الغربوي المعروف بالمعجاز كانت حرفته الرعاية . متجاوزا في العجز الغاية . حتى قصر عليه تعريفه ومنع به تصريفه . قيل انه استهوته جنة . والبسته من الشيطنة والخداع جنة ١ فقامت على البغت ٢ قيامته ، وكدرت جو الملك غمامته ، وتعدد تابعه : وأحجم منازعه ، وطمت امواجه . وكثر إلجامه واسراجه . والقى العصي والحبال . لاقتناص اهل السهول والجبال . وبدت له خوارق . افتتن بها كل مارق . منها عدم اصابة الرصاص . لمن له به احتماء واختصاص . ومنها ان من اختلس شيئا من خيامه . قيد بمقامه . والسلطان اذذاك برباط الفتح . يجتهد في حل عقدته . وفل حدته ، ويتخذ لرفع مضرته . وكسر سورته . وجزم ثورته . وسائل الظفر والنجح . الى ان ساقته يد الخذلان ، وسقط به العشاء على سرحان ، فقصد مكناسة الزيتون . وقدم الحلول بزرهون . بعد ذب شجعانها . عن معانها . ومدافعة سكانها . عن اركانها . ثم اجترأ وتسور . على الضريح الادريسي المنور . فانصرمت أشطانه . ٣ وتبرأ منه شيطانه ، واظهر الانابة ، وقرع للندم نابه ، فانتزعه بعض الشرفاء العلويين من مقعده . واغمد خنجره

١ » الجنة بالضم الوقاية ٢ البغت بالفتح الفجاة ٣ الشطن محركة الحبل

في جسد ؛ ثم سيق من الضريح . الى الخصة سوق الذبيح . فقطع رأسه ومحي من سماء الوجود نحسه . ولما بلغ خبره لمكناسة صادف الجو مرتديا بسحابه . مادا لاطنابه . واهلها بين حامل سلاح ، متمسك بصلاح ومستنشق اخبار . من وراء جدار . ومتظاهر بجنون ، متشيع للفتون فلما دقت البشائر . وشكلت للفرح الدوائر . افتر ثغر السماء عن برد كبير الحجم كثير العدد ، وارسل النوء غدائده(١) . وانزل بالرحاب غرائره حتى خيف على السقوف الوقوع . والجدرات الركوع . فشيع ضعفة العقول ان السماء تبكي على المقتول . ولم يزل الشيطان يعدهم برجوعه . ويمنيهم بطلوعه . حتى ارتد طرف الفتنة كليلا وحدها فليلا . سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا . وقد اطلعت على خطبة لبعض من اشربهم ضلالا ومخرقة . فجنوا به جنون هبنقة . منها قوله هذ الجيلانى مجدد الدين . هذا قامع المعتدين . هذا خليفة سيدي احمد التجانى هذا الذي بشر به سيدي فلان الى غير ذلك من الاوهام . التي انشدها الواقع قول ابي تمام

السيف اصدق انباء من الكتب * بحده الحد بين الجد واللعب
بيض الصفائح لا سود الصحائف في * متونهن جلاء الشك والريب

وكتب فى ذلك أمير المومنين المقدس سيدي محمد لعمال ايالته ما نصب وبعد فإن فتانا من سفيان مرق من الدين ، وفتن بامور شيطنته من اغتر به من المسلمين . وجمع عليه اوباشا من امثاله . وأضرابه واشكاله . وتقدم

١ * غدائده ذوائبه

بهم لدار خديمنا ابن عودة فقتلوه ثم تقدم بهم للشراردة فقاتلوه ثم تقدم بهم لزاوية مولانا ادريس فقاتلوه قتالا يرضي الله ورسوله ولم يحصل لهم من قتاله ضجر . ثم قبضوا عليه وقتلوه وعلقوه بباب الزاوية المسمى بباب الحجر . وأغلقوا الابواب بعد ذلك على من دخل معه من اتباعه . وانصاره واشياعه . فقبضوا عليهم وجعلوهم في السلاسل والاغلال . ونحن على نية اقامة الحد عليهم ان شاء الله تعلى جزاء وفاقاً على ما ارتكبوه من الفساد وقبيح الاعمال . وما كان منهم حينئذ خارجاً عن الباب تخطفته الايدي وجنوا ثمار ماسعوا فيه من البغي والتعدي . وقطع دابر أجمعهم فالحمد لله حق حمده . وما كل نعمة الامن عنده . وأعلمناكم لتكونوا على بصيرة اذ ربما يبلغ المرجفون على عادتهم النازلة على غير وجهها والسلام في ثامن عشر شعبان المعظم عام ثمانية وسبعين ومائتين والف

الحاجب الوزير

﴿ أبو عمران موسى بن احمد بن مبارك ﴾

﴿ رحمه الله ﴾

كان حليف دين وعفاف ، واليف امانة وانصاف . وميل الاشراف وتوسط بين التقتير والاسراف . ورفق وزهادة . في مقتضيات السيادة ابقى بهما ذكرا جليلا . وثناء جميلا . استصحبه السلطان المقدس سيدي محمد لنصح خبره . وذكاء اظهره . ثم لم تزل الايام تعلي كعبه . والسعادة تزلف له نائي المراد وتلين صعبه . الى ان استقل بمباشرة أمور العمال . وقصر الوزير قبله على خارجية الاشغال . ثم استوزره السلطان مولانا

الحسن لقيامه في بيعته بالواجب ، فدعي بالوزير والحاجب. فسار في أمره احسن سيرة . ودبره تدبير ذي خبرة و بصيرة . الى ان زوحم كما زاحم من سبقه . فمرض لما لحقه . فخان حينه ، وقذيت بالحمام عينه . في عام ستة وتسعين ومائتين والف ودفن بقبة مولانا علي الشريف بمراكشة ومما وقع في ايام وزارته ثورة ابي عزة الهبري . كان بحوز وجدة ساحرا كاهنا مرائيا مداهنا، يظهر الطاعة والزهادة . و يسر معصية عالم الغيب والشهادة فلم يزل يريش في الافساد ويبري . و يستجيش من لايدري أنه لايدري حتى اختبل في حبائله . من عمي عن خبث فعائله ، ممن لايرجون لله وقارا ولا يرون في اتباع الناعقين عارا . اخفاء الاحلام . جفاة الطباع حفاة الاقدام. خدمة الدجاجيل. حملة الاضاليل. ولما تم للمارد ماأراده . واستكمل للوثوب استعداده ، أعان بإجاجه . واطمأن لحكم استدراجه . وقلما سلم ملك من ضد ينازعه . وعدو يقاطعه. طمعا فيما أوثر به من رفاهية معاشه ، ونفاسة رياشه . ونفوذ كلمته ووجوب حرمته ، ولا اشرف من الرتبة النبوية ؛ والخلافة الباطنية والظاهرية . والسلطة القهرية . أما النبوة فلم تكن بعد خاتم الانبياء مرجوة . ومن ادعاها من متحامق اومجنون. نشبت به اظفار المنون ؛ اونكل حتى تنقطع اطماعه . ويمحي ابتداعه . واما الخلافة الباطنية فلا يدركها الا ذوو الاستقامة . المتاهبون لدار المقامة وهم بين طلبة الجاه والظهور . اهل خفاء وندور . فلم تطمح ابناء الدنيا. لرتبتهم العليا . إذ لامشاكلة بين النسبتين . ولا مجمع للغايتين . واما الخلافة الظاهرية . والسلطة القهرية . فكثيرا ماتسموا اليهما همم الجمهور وتدور

حولهما الامال . وتطالبان ببذل النفوس والاموال . وتحمل مشاق الاعمال .
فربما ادركهما بتقدير الحكيم الخبير . من ارهف لهما حد التدبير ، وان لم
يكن من احكامهما في قبيل (١) ولا دبير . ومع ذلك فلا تثبتان الا لمن اخذ
الله بيده . وجعل العون والتوفيق من مدده . ممن يراعي مصالح الخلق .
ويثابر على نصرة الحق . ولما ألم السلطان المقدس مولانا الحسن جاية
امره ؛ وبلية مكره . استجاش جنوده . واستنهض وفوده . لتبديد سربه
قبل اشتداد خطبه . وحسم مادة فسوقه . قبل نفاق سوقه . وخرج من
فاس في كتائب اخذ النصر زمامها . وهز السعد أعلامها . وتقدم الرعب
أمامها ولما حل بـآيت شغروشن جاء القـائم ليلا بفئة من اللصـوص .
فوجدوا المحلة كالبنيان المرصوص . لم تعبأ أسودها بذئابهم . ولا فزعت
لرعود جعابهم ؛ بل احاطت بهم ثواقب الرصاص والكور من كل جانب
وسالت عليهم المقانب (٢) كالمذانب ، وفر رئيسهم فريدا . ولجأ الى الصحراء
طريدا . ووجد منهم عدد كثير . بين قتيل وجريح وأسير . ولمـا دخل
السلطان مدينة تازة بعد ان اوقع بن جاهر بخلافه . من اولياء الفتـان
واحلافه . جيء به اليه يتخلع في قيده . ويتطلع للصفح عن جرمه وكيده
فاكتفى عن قتله بحبسه . الى ان ادرج في رمسه . وكتب في ذلك لعمال
ايالته بما نصه وبعد فلازائد على ماتقدم لكم به الاعلام . الا ماي سره المولى
سبحانه . من باهر الصنع وشامل الانعام . فانا لم نزل نرى من فضله نصرا

« القبيل ما اقتبلت به الى صدرك عند الفتل والدبير ماادبرت به عن صدرك عند الفتل يقال فلان مايعرف قبيلا من دبير ؛ ٢ المقانب ج مقنب كمنبر من الخيل ما بين الثلاثين الى الاربعين او زهاء ثلاثماية

وظفرا واعزازا • الى ان حللنا مدينة تازا • والاحوال متناسقة • والفتوحات مترادفة سابقة ولاحقة • وقد تلقتنا قبائل هذه النواحي بالسرور والافراح ومزيد النشاط والارتياح • متيمنين بطاعتنا • ومتمسكين بحبل طاعتنا • ومتقربين بكل ما أمكنهم لشريف خدمتنا • هذا وان البائس الفتان • الذي خذله الشيطان • بعدما كان فر وأصحر • وافتضح خبث سريرته فيمن اغوى وسحر • لم تزل تلفظه البلاد • وتدافعه الشهاب والوهاد • الى ان ساقته خاتمة النكال • الى بني كلال • وهم من تازا مخيم المحلة السعيدة على أربع مراحل فقبضوا عليه واتوا به لحضرتنا العالية اسيرا • ومثلوه لدينا مصفودا حسيرا • فالحمد لله الذي أظفرنا به • وكفانا مشقة البحث عنه ومؤونة طلبه • نطلب الله ان يجرينا على ماعودنا فيه وفي امثاله • و يلحق بمصرعه الوخيم المعتدين من اشكاله • ويلهمنا شكره المتكفل من نعمه بالمزيد • فانه الوهاب القهار الفعال لما يريد • والسلام

الكاتب الوزير

﴿ أبو عبد الله محمد بن احمد الصنهاجى ﴾

﴿ رحمه الله ﴾

فقيه متقن . نبيه متفنن . اشتغل في عنفوان شبابه . واوان خلو جرابه . بالنسخ والتدريس ، وحصل أدبا لم يكن ربعه بدريس . على خمول ذكر واعمال يد في طلب الظهور وفكر . غير ان نظمه كان دون نثره في الاحسان وقلما يتعادل الاحسان فيهما لانسان . ثم بدا له في خطته . وانف من خفائه

وحطته . وكان فيه إقدام . اذاقه حلو الظر وجرعه مر الملام ٠ فطلب الكتابة للخليفة مولاي اسماعيل فلم يصب حظ ٠ ولم يصوب له التيسير لحظا ٠ ثم طلبها من الباشا الحاج عبد الله بن احمد فاسعف مطلبه ٠ وادناه واستكتبه ٠ بيد انه لم يفز من قصده ٠ بسوى اجهاده في الخدمة ورصده حتى انقشعت غياهب(١) نكده ٠ وسطعت أسارير(٢) سعده ٠ فاستكتبه السلطان مولانا الحسن ثم استنابه ٠ عن خاله الصدر ابي عبد الله محمد بن العربي الجامعي لماطرق السقم جنابه ٠ وأبقي على نيابته الى ان كف الحمام يده وأسكنه ملحده ٠ في عام تسعة وثلاثمائة والف ودفن بروضة الولي الصالح سيدي قاسم بن رحمون رضي الله عنه ومن مختار اشعاره ٠ المشعرة بسلامة أفكاره قوله

لسان الكون يلهج بالثناء * ويسفر عن علا بدر السماء
وينبئ سائلا فتحاً قريباً * وعزاً قد تسربل بالبقاء
بان الله قد اسدى جميلا * وان النصر خيم بالفناء
وان السعد قد أضحى خديما * وكف المجد حاملة اللواء
وأن اليمن ناقلة خطاها * الى ركن السعادة والسناء
أمير المومنين أبي علي * وشمس الدهر في برج الهناء
هو الملك الهمام أخو المزايا * وجماع الخلال بلا مراء
هو الحامي الذمار اذا تولت * ليوث الغاب في يوم اللقاء
هو المعطي الكثير بغير من * هو المسدي الجزيل بلا عناء

---

١ » الغياهب ج غيهب الظلمة ٢ الاسارير خطوط الكف والجبهة

له التبريز في كل العلوم * له الباع الطويل بلا خفاء
له الفهم الذي اضحى شهابا * له الذوق السليم لدى اداء
له العقل الذي ساس البرايا * له الرأي السديد لدى قضاء
له الحزم الذي بالعزم اجدى * له بالوعد انجاز الوفاء
له الحلم الذي للشكر أسدى * له حسن العهود مع الرعاء
له الحسب الذي يسمو سناه * له النسب المسلسل بالعلاء
أبا ابن المصطفى الحسن المفدى * صفاتك كل يوم في نماء
وسمت بسيمة التفضيل حقاً * على كل الملوك ذوي الدهاء
وصار حمى سيادتكم ملاذاً * لكل كسير قلب ذي ذكاء
وعاد ملبي كعبتكم باجر * ومغفرة ووجه ذي بهاء
فلا برحت مناهلكم ورودا * ولا زال عذب مائها في صفاء
بخير الخلق جدكم وآل * عليهم صل بدءاً وانتهاء

الكاتب الوزير

الحاج المعطي بن العربي الجامعي

رحمه الله

فرع من دوحة مجد . وارث رياسة الاب والجد . اشد اسرته عزما . وابعدهم مرمى . في طلب الاثراء . وحب التقدم والارتقاء

واكرلا من ذباب السيف طعما * وامضى في الامور من القضاء

استوزره أمير المومنين المقدس مولانا الحسن فابدأ واعاد . وجبا اليه

الاموال من قاصية البلاد. فلما امضى الدهر عزائه. وقهر ضاهيه ومساهمه واينع في روض الملك غرسه. واشرقت في افقه شمسه خبت ناره. وسكر اعصاره (١) وخذله اعوانه وانصاره. فعزل بعد وفاة السلطان المذكور وسيق الى السجن مدحورا (٢) وكان امر الله قدرا مقدورا. ودخلت اماكنه. واخذت ذخائره واستخرجت دفائنه. ولبث في السجن مدة يسامر افكاره. ويستنزل اوزاره. الى ان طرقه الردى فابعد مزاره في أواسط العشرة الثانية بعد القرن الثالث عشر وكانت فيه رحمه الله غلظة على العمال وجفوة. وحدة لا تسترهفوة. طالما كلمهم بما يحنظ (٣) وكلفهم بما يبهظ (٤) وربما نفذت شرته (٥) وسرت مضرته. لحملة الاقلام. ورؤسا الخدام. فلذلك تباروا في هد اركانه. وتداعوا لتعجيل امتحانه. لما تسهم له وجه زمانه. ولله در القائل

ما دمت حيا فدار الناس كلهم * فانما أنت في دار المدارات

من يدر داري ومن لم يدر سوف يرى * عما قليل قديما للندامات

والقائل

ودارهم ما دمت في دارهم * وحيهم ما دمت في حيهم

وأحسن العشرة مع بعضهم * يمينك البعض على كلهم

وكان أحرص الناس على عزله. ونقض غزله. من كان يحتطب في حبله ويتقلب في نوله

والناس أعوان من واتته دولته * وهم عليه اذا خانته أعوان

---

(١) الاعصار ريح تثير الغبار (٢) مدحورا مدفوعا (٣) يحنظ يغضب (٤) يبهظ يشق (٥) الشر مصدر الشر

وسبب عزله وسجنه ياتي في ترجمة تابعه . الساعي في أخلاء مرابعه والله وارث الملك والارض . ومنصف البعض من البعض . يوم الحساب والعرض

الحاجب الوزير

﴿ ابو العباس احمد بن موسى بن احمد ﴾

﴿ رحمه الله ﴾

قطب رحى الحيل والمكائد . أعجوبة الدهر الذي تخلفت فيه العوائد . شجى حلق كل عامل وقائد . كان له ولوع بالاذكار . وحرص على لقاء الاخيار . وعفة وانابة . لم تحلل عقدهما صبابة . ولم يكن له علم يوثر . ولا يد في الادب تشكر وانما ارهفت حده . وأورت زنده . خطة اقتفى فيها اباه وجده . خطة الحجابة التي امضى فيها نفيس اوقاته . وحبس بها عن لذاته . حتى ازمنت العلل بذاته ، ولما توفى السلطان مولانا الحسن قدسه الله كان له استيلاء على ذخائره ، واطلاع على سيره وسرائره فتهيأت له الاسباب وفتحت له للاستبداد أبواب . ولاحظته عيون السعادة ، فنفذت أحكامه على السادة ، ووجد الدولة الشريفة وافرة اموالها وجنودها . وثيقة مع الدول عهودها ، فابتدأ امره بالتصدي للوزيرين الاخوين الحاج المعطي الجامعي وابي عبد الله الصغير ، وشمر للتحذير والتنفير منهما عن ساعد مغير ، لما اتهمهما به من الاتفاق مع ذوي الصرامة والتمييز ، على غدر السلطان مولاي عبد العزيز . والفتك بالقائمين بدعوته ورد البيعة لمولاي محمد أكبر اخوته ، وقيل انهما صرحا بكلمات

رجحت جانب التهمة ، ورشحت بموجب النقمة . وانضم الى ذلك حزازات اكنها في صدره . وجراحات بسط عليها رداء مكره . اذ كانت المنافاة بينهم قديمة . وأشكال المصافاة لديهم عقيمة . حتى ضايقه اولهما في الجليل والحقير ، وناقشه على القطمير (١) والنقير ورتب العيون والارصاد على من يصله من القصاد . وأرسل عليه زعازع كادت ان تقتلعه من مركزه وتاتى على ظاهر ماله ومكتنزه ، وهو مع ذلك يتربص بهما الدوائر وينتظر لهما الغوائل والغوائر . غير ان الثانى كان يداجيه (٢) في جل اطواره ويناجيه ببعض أوطاره . ويواكله ويشاربه . ويهاديه ويداعبه حذرا من ان تدول له دولة . او تكون له في ميدان النفوذ جولة . فصدق الحق كان يتوقعه . ولم يغن عنه تحريه ولا تصنعه . والسلطان اذذاك تارة يميل الى تعضيد وزيره . ويهم بتشريد الحاجب وتعزيره . وتارة يقبل شفيعه ويظهر تعزيزه وترفيعه . الى ان استراح من تلك الانشوطة . وأصبح في حالة مغبوطة . وتناول زمام التدبير . واستقل بكفالة الامير . فاستعان على المذكورين بكل من في قلبه عليهما احنة (٣) اوصدرت له بتدبيرهما محنة . مع بذل صلات سرية . ووعد بولايات سرية . حتى نفذ عزمه واصاب الثغرة (٤) سهمه ، فعزلا . ثم اعتقلا بعدان استروحا للهم تفريجا واستنشقا للعفو اريجا . وتقدم للصدارة فاقام واقعد . وارق وارعد ووعد واوعد . وجعل يراوغ من بقي من الرؤساء مراوغة الثعلب الى ان خلا له الجو فاستطال وتغلب . واستاثر من المنافع بنفيسها والثمين

---

١) القطمير القشرة الرقيقة التى فى نواة التمر والنقير النقرة التى في ظهر النواة والمراد بهما هنا المبالغة فى التشديد ٢ يداجيه يستر عداوته ٣ الاحنة الحقد ٤ الثغرة بالضم نقرة النحر

ونافس في غثها والسمين . ودفع من شمخ انفه · وانثنى الى الظهور عطفه ، باليسار واليمين . واشتدت وطاته على المامور والامر . وتشبه بالمنصور بن ابي عامر ، في سياسته واستعداده . لتوطيد رياسته واستبداده . وبناء القصور السامية كالزاهية والباهية . وظهرت محدثات حسنت بدايتها . ثم ساءت نهايتها ، وسياسات اساوت [1] مزاحمة الاضداد ونبض لها عرق البغضاء في الحاضر والباد . منها نقل مال الجبابة لداره بدعوى حفظه وادخاره . مع ان للاموال المخزنية بيوتا تحرسها . وخدمة تحوطها ممن يختلسها ، لانها قوام الملك وروح سطوته ، وعمدة ابهته [2] وسياج قوته فنشأ من ذلك اضطرار المخزن الى القرض . وعجزه عن نقل الجبابة والفرض . لما تفرقت تلك الاموال ايادي سبا . وقال لها أهلا ومرحبا من نهب وسبا فالقت عصاها واستقر بها النوى * كما قر عينا بالاياب المسافر وكانت قسمتها بين ستة كانوا من الفقراء ؛ فاصبحوا من اهل الثراء وصار رئيسهم من الكبراء الاعيان ؛ فصدق عليه قول صاحب الحكمة والبيان وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان ؛ ومنها مساواته للامام ؛ بالركوب حيث تسعى الاقدام ؛ الى غير ذلك من امور يطول شرحها وينم بعرف الاحقاد رشحها ؛ ولما تم أمره ، خسف بدره ؛ وحجبه عن الحجابة والوزارة قبره في محرم عام ثمانية عشر وثلاثمائة والف ودفن بقبة مولانا علي الشريف بمراكشة ؛

ومما وقع في أيام وزارته ثورة مبارك بن الطاهر بن سليمان كان عاملا

---

[1] اساوت ابقت [2] الابهة العظمة والبهجة

على الرحامنة إخوانه . مبطنا علة بغيه وعدوانه . ثم نبذ عن الولاية بالعراء ونفى الى السحراء . لسوء سيرته وجوره . ومخائل انبات عن مكنون غدره . ولما توفى السلطان المقدس مولانا الحسن انقلب لبلاده . واذكى بها نار عتوه وفساده . وحشد جموعا من أخلاط القبائل . وأحلاف البطالة والرذائل . واستأسد الرحامنة وعز حقيرهم . وغنى بكنوز الامال فقيرهم . وصاروا يدخلون مدينة مراكشة ويتوعدون اهلها بسلب اموالهم وسبى عيالهم . ان لم يذعنوا للفهم ويدخلوا فى حلفهم . فيصادفون اذانا صما عن هذيانهم . والوبا منكمشة عن طاعة شيطانهم . ولما أخفق مسعاهم ووقف دون باب الاجابة دعاهم . شنوا الغارة على نواحى المدينة وضيقوا باهلها الخناق . وجرعوهم كؤس المخاوف والمشاق . حتى تجافت جنوبهم عن المضاجع . وكاد ان يختل النظام وينعدم الوازع (١) وقام باشا القصبة فى هذه الايام قيام نصحاء الخدام فرتب الحامية ونظم العساكر وبذل المؤن والدخائر وحصن القصبة وملاح اليهود . بالمدافع والجنود . ثم تداركهم الله بكتائب وردت مع عم السلطان . مولاى عبد الملك بن مولاى عبد الرحمان . فانتعشت قلوبهم . وانقشعت كروبهم وجعلوا يخرجون لقتال اولئك الاوغاد (٢) . وينالون المراد . من كل وانح منهم أوغاد . وأغارت الكتائب الواردة على من شايعهم على ضلالهم . ونعق غراب البين على أطلالهم . واتى النهب على ما كانوا يكسبون . وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون . وقبل هذا بيسير قبض الخليفة مولاى العباس على من وجده

١) الوازع الكاف عن الظلم ٢) الاوغاد ج وغد الاحمق

من عمال الرحامنة إرضاء لعامتهم ، واستجلابا لاستقامتهم ، ثم استدعى ولد الزبيرى الرحامنى من داره بالزاوية العباسية وكان عاملا مقداما أبيا متلافا ـ ريا ، طالما ما حضر المعامع ، (١) وكسر الجامع ، فتمنع وتعصب ورأى الموت بين أهله أصوب ، وقال لسان حاله عند التشديد ، وترديد التهديد ، إن المنية عند الذل قنديد ، (٢) فاوعز الخليفة الى عصابة من العسكر بان يسوقوه قسراً ، اويذيقوه الموت صبراً ، فلما اجتمعوا بفنائه وشرعوا فى هد بنائه ، استهون الامر ، وقال بيدى لا بيد عمرو ، وعاجلهم بحربه ، وشردهم بضربه ، فتسرب اليه النهاب من كل فج ، واشتد الكرب والهرج ، فجعل نفائسه المغصوبة ، فخاخا لحياة اكثرهم منصوبة ، فكم من أناس جاءو الى أهليهم بتحف غالية ، ودخائر عالية ، فلم يقنعوا ، ونووا عن العود فلم يسمعوا ، وتوجهوا الى المعركة فلم يرجعوا ، فما انتفعوا بما سلبوا ولا ادركوا ماطلبوا ، وذهبوا فريسة المطامع ، وخلف برق التبسمات ودق المدامع ، ولم تزل رحى الحرب بينه وبينهم دائرة ، والعقول من ثباته حائرة ونسور السلب على الامتعة واقعة وطائرة ، حتى جرح فى يده ، فدهموه فى مقعده ، وقضوا عليه كما أحب بين أهله وولده ، بعد ان اهلك منهم نفوساً ، وأراهم من حربه يوماً عبوساً ، وصنع لقتلاهم من النجيع (٣) لبوساً ثم جاء السلطان من فاس فاحاط بالرحامنة سيل الكتائب ، وسد عليهم المنافذ والمذاهب ، وصب عليهم شئابيب القنابل ، واستنزلهم من الحصون والمعاقل ، وساق الاسرى الى مراكشة سوق الاغنام فى الاغلال والسلاسل

---

١ » المعامع ج معمعة موضع القتال ٢ » القنديد عسل قصب السكر ٣ » النجيع الدم

ولما أحاطت برئيسهم البلايا. استجار ببعض الزوايا. ظناً منه ان الحرم يجير مثاله. وأن الشريعة لا توجب قتله. وان الدماء التى سفكها. والحرم التى انتهكها. ذهبت هدراً ولم يلق السلطان اليها سمعاً ولا نظراً. فاخرج من الزاوية ووضع فى قفص من جعاب المكاحل. وحمل على جمل ليسر ويعتبر به المقيم والراحل. ولقد كان يؤمل ان يدخل مراكشة مؤيداً منصوراً فدخلها مقيداً محصوراً. بين ضحكات الشامتين ورنات الشاتمين. ولولا دفاع الحرس عنه لاهلكته أكف الراجمين. او داسته ارجل الهاجمين ثم زج فى سجن مصباح وجدحت (١) له من النكال اقداح. الى ان مات وابين رأسه. ولقيت ما أسلفته نفسه. وكل امرء بما سقى به يسقى ولعذاب الاخرة أشد وأبقى. وكان الظفر به فى رمضان المعظم عام ثلاثة عشر وثلاثمائة والف

وزير الحرب

ابو عمرو سعيد بن موسى بن احمد

رحمه الله

كان اندى اخوانه كفاً. واطيبهم عرفا. واكثرهم ترفهاً وظرفا. ولى وزارة الحرب تحت مراقبة أخيه الصدر المذكور. ونهج نهجه فى شموخ الانف وتشييد القصور. غير أنه كان معتكفا على خوانه. (٢) مغتبطاً بالتقام الوانه. حتى كثر شحمه. وعظم جسمه. وظهر سقمه. فخارفيه معالجه. وهلك غماً وسط ما هو ناسجه. فى رمضان عام سبعة عشر

---

١ » جدحت خوضت ٢ » الخوان المائدة

وثلاثمائة والف ولم تكن وزارة الحرب . عند ملوك الغرب . بولاية معروفة ولا الى شخص معين بمصروفة . وكان الجيش كله على النهج القديم . ليس له على الطريق الحديث ترتيب ولا تنظيم . الى أن وقع للسلطان سيدى محمد بن مولانا عبد الرحمان . زمن خلافته عن أبيه ما وقع من الكسرة القوية بحادثة أبى هراوة مع العساكر الفرنسوية . فعلم ان ما أصاب جيشه العديد . هو من عدم تنظيمه على الطرز الجديد . ولما رجع الى منصة خلافته . ودفع عنه أنس تامين أبيه وحشة مخافته واستراح مما لقيه فى ذلك القتال من الجهد . ورشح لولاية العهد . وانعقد الصلح بين الدولتين . وحسنت المعاملة بين الجهتين . وصفا جو المملكة من غمامه . وتجلى وجه الهناء بعد التثامه . نظم من أبناء القبائل ثلة ٠(١) وجعل لها وزارة مستقلة . ورتب لها انضباطا . وأبدى بها سرورا واغتباطا فصارت يد قوتها بنحور العصاة دافعة . وبنواصى أهل الزيغ سافعة (٢) وأصبحت دائرة نفوذها واسعة . ممتدة الى الانحاء الشاسعة . (٣) وأسند امرها الى عم المترجم له الباشا الحاج عبد الله بن أحمد وكان من الخدام النبهاء . ذوى الاقدام والدهاء . رحب الصدر والراحة . يرى فى مجالسة العلماء . ومنادمة الادباء ٠ أعظم انس وراحة . وكان له سرفى جلب النفوس والاموال مكين ٠ كانه سحر مبين ٠ ولما بويع السلطان المقدس مولانا الحسن ولاه عمالة فاس ٠ باستحسان منه واستئناس وولى تلك الوزارة خاله الفقيه أبا عبد الله الجامعى الكبير ٠ وكانت له

١» الثلة الجماعة من الناس ٢» سافعة ءاخذة ٣» الشاسعة البعيدة

فكرة خبير . بطرق التدبير . وكان رأيه فوق شجاعته . وذهنه احد من يراعته . ثم احله المقر الاسمى . من الصدارة العظمى . وولى الوزارة الحربية أخاه أبا عبد الله الصغير وكانت له راية منصوره . وراحة ليست بمقصورة . وشجاعة بنيت على الفتح أفعالها . وسياسة قرنت بالنجح أعمالها . الى ان حدث له ما اذهشه وأوجمه . فولى مكانه صاحب الترجمة ولم يزل يتداولها واحد بعد واحد . حتى انحل نظامها . وحلت بيد الدولة الفرنسوية أحكامها . بما اجترحه العسكر من الجرم الوبيل . فى واقعة شهر ابريل

الحاجب

ابو العلاء ادريس بن موسى بن احمد

رحمه الله

كان متشبها بوالده . فى جل أخلاقه وعوائده . يظهر الى الخير ميلا ويذكر ما شاء الله نهارا وليلا . ولى الحجابة عوضاً عن صنوه . ورضى من الجاه بعفوه وصفوه . فلم يبن داراً ولا قصراً . ولم يبد شموخا ولا كبراً بيد أنه كان مملوك نهمه . غير خائف اعياء سقمه . حتى لبس من نسج أضراسه قطيفه . وخشنت بنيته بعد أن كانت لطيفة . ثم مرض اياما قلائل فتوفى والحى الى الفناء ءائل . فى ذى القعدة عام سبعة عشر وثلاثمائة والف ودفن هو وأخوه فى روضة مولاى على الشريف رضى الله عنه فكان هؤلاء الاخوة كانوا على ميعاد أو هبت عليهم ريح عاد وكان لجدهم القائد احمد العرق الوشيج فى الحرمة . والوصف البهيج فى الخدمة . من امانة الخاتم السعيد

والرياسة على جيش العبيد فى دولة السلطان مولانا سليمان قدسه الله
ولما قتلته العبيد عام خمسة وثلاثين ومائتين والف خلط أولاده بأبنائه
وخولهم جزيل نعمائه . ولما ولى السلطنة مولانا عبد الرحمن قدسه الله
خمدت جمرتهم وخفيت إمرتهم . ثم انحاشوا الى ولده السلطان المقدس
سيدى محمد فلم يزل كعبهم فى صعود . وجدهم فى سعود . حتى استولوا
على أنفس الوظائف . واحتووا على أشرف الذخائر واللطائف . وصوبت
اليهم عيون الاعيان وصار ذكرهم سمر المجالس وحديث الركبان . ثم
قلب لهم الدهر ظهر المجن [1] وأنحى عليهم بضروب المكاره والمحن
وأصبحت رياض نعمتهم ذاوية [2] . وقصورهم خاوية . وأبوابهم موحشة
مهجورة . بعد ان كانت بالانس معمورة . وسيرهم بالانتقاد والذم
مذكورة . بعد ان كانت على المدح مقصورة . ولله در القائل

مدحتك السنة الانام مخافة * وتشاهدت لك بالثناء الاحسن
أترى الزمان مؤخراً فى مدتى * حتى أعيش الى انطلاق الالسن

فمن كان ينشد لسان حاله

ومالى الا آل أحمد شيعة * ومالى الا مذهب الحق مذهب

صار يقول لحق ءال موسى بالغابرين . فما بكت عليهم السماء والارض
وما كانوا منظرين .

كان لم تكن تلك المنازل مطلعاً * لشمس العلا محفوفة بالمواكب
وان لم تكن تلك المنازه قبلة * مقبلة من كل راج وراهب

١» المجن الترس ٢ ذاوية يابسة

هوى نجمها فاختل نظم سعودها * وصاح على انحائها شر ناعب
ولاح عليها كل حزن ووحشة * واعقب نسج الخز نسج العناكب
وما عثرات المكثرين ببدعة * ولا غدر دنيانا باحدى العجائب

﴿ الكاتب الوزير ﴾

(أبو الحسن على بن الفقيه القاضى ابى عبد الله) المسفيوي

﴿ رحمه الله ﴾

كنز معارف تفتحت أبوابه . رائد علم ملئ من التحقيق وطابه [1] . فزكى من المجد نصابه . كاتب ألقى اليه السعد الرسن . باقراء سيدنا ومولانا الحسن . عين لتاديب السلطان المذكور . و كتابة ما يعن له فى خلافته من اغراض وأمور . ثم حدش وجه نزاهته بسعاية . من ذوى الاذاية فصرف الى كتابة الشكاية . ولما بويع السلطان المشار اليه لحظ سابق خدمته . فولاه وزارة المظالم وجلله بسوابغ نعمته . ولما استقل الوزير أحمد بن موسى بالصدارة . ودار نفوذه فى كل إدارة . بقى يتقلب بين حالى اقدام ومخافة . ويدارى خطوباً أغرب من حديث خرافة [2] . وكان الوزير المذكور يعامله برفقه . ويقوم بحقه . ويسير فى بعض ما يشير به على وفقه . ولما تحول عما عهد منه أول توليته . وحال بين السلطان وبين وزرائه و كبراء رعيته . نصحه وعذله . فيما

١) الوطاب وعاء التمر ٢ خرافه كثمامه رجل من عذرة استهوته الجن فكان يحدث بما رءا فكذبوه وقالوا حديث خرافه أو هي حديث مستملح كذب ق

فعله . فاغضبه مقاله . وانتقلت الى التنكر حاله . ومن بذل النصح وهو يعلم أنه لايغني . فقد تعرض لما لايعني . ورب كلمة تقول لصاحبها دعني ثم أخذ يقصده بما يكدر عيشه وينغصه . ويضع قدره وينقصه ويجيب أسئلته بالمنع . ويسد عنه مجارى النفع . وهو مع ذلك يخضع لسطوته . ويزداد ضعفه من خوف قوته . ويحييه بتحية الملوك . ويقف بين يديه وقوف المملوك . إلى أن أراقت ماء حياته . راحة مماته . بمراكشة عشية يوم الخميس السادس من رجب عام ستة عشر وثلاثمائة والف

الكاتب الوزير

(ابو محمد عبد الكريم ابن سليمان)

رحمه الله

كاتب رفيع الجناب . من بيت رياسة مديد الاطناب . مليح الخط والشارة مصيب الفراسة والاشارة . الى وقار يوده ثبير (١) ورضوى وتمسك من التقوى . بالسبب الاقوى . كان عمه أبو عبد الله كاتباً مجيدا . فاتكاً نجيدا . وزيراً لابني يزيد . مدلا بقلب جليد . ولسان حديد . أقدم فى دولتهما على العظائم . ولم تاخده فى توطيد صولتهما لومة لائم . فسلب وقتل . وحل ما شاء وفتل . وأطال لنفسه العنان . واستطال على الاكابر والاعيان . خصوصاً من كانت حالتهم محسودة علماء بنى سودة . فقد خرق حرمتهم . و كاد أن يستاصل نعمتهم .

(١) ثبير جبل بمكة ورضوى جبل بالمدينه

وقلد أحدهم رأس قتيل . حتى افتدى بمال جزيل . ولم يزل متهالكاً فى تاييد دعواه . سالكاً سبيل هواه . حتى خمدت تلك النائرة . وركدت ريح الجموع الثائرة . ورجعوا الى طاعة السلطان مولانا سليمان قدسه الله وصار المولى سعيد بن يزيد فى قبضة عمه . فسقط فى يده وفلت شبات عزمه وزعمه . ولما بويع السلطان مولانا عبد الرحمان قدسه الله استدناه واستخصه . وبذل له من أوقات فراغه حصة . وتنزل له حتى كان يواكله . وبيده العالية يناوله . الى أن هدأ روعه . واتسع ذرعه . فوجهه الى الصويرة أميناً وعاملا وفوض اليه أمرها تفويضاً كاملا . ولما دخل مراكشة واستتب سلطانه . وثبتت قواعده وأركانه . ولى عمالة الصويرة أحد خدامه . وكان معروفاً بسياسته وإقدامه . وأمره باعمال الحيلة والتدبير . فى القبض على ذلك الوزير . وأوصاه بأن يكتم أمره حتى يحكم مكره . فورد العامل الجديد على القديم . واحتال عليه حتى صيره أقرب خديم . وأخص أنيس وقديم . ولما تم اتفاقه مع أعيان البلد . وصاروا فى طاعة أمره بمنزلة الولد . هجم عليه وقد أخذ مرقده فغل يديه وقيده وأودعه سجن الجزيرة . مقر أهل الجرائم الخطيرة وأخبر السلطان بما فعله . فرضى عنه وشكر عمله . وبعد مدة أمره بازهاق نفسه . وقطع رأسه فى حبسه . فأنفذ فيه الامر برأى ومسمع ممن ضمه ذلك المجمع . ثم نظر الى بقية رفاقه وقد كاد كل منهم يموت من اشفاقه . وهم جماعة من أهل فاس وتطوان . كانوا لتلك الفتنة من الاعوان . فقال ان الله قد تقبل نداكم . وجعل هذا الذبح العظيم فداكم

فانطلقوا ءامين . واشكروا فضل أمير المومنين .

وكان أبو صاحب الترجمة قد ظهر فى أيام رياسته . وظفر بنضارة العيش ونفاسته . فلما خوى حصن حياته . وذوى غصن أعطياته . رضى بخموله . ورءا حصول النجاة أحسن ماموله . ولما أستشعر الامن على نفسه . قام لسعد الجد أو لنحسه . كما قال أبو الطيب

اذا لم تجد ما يدفع الفقر قاعداً * فقم واطلب الشىء الذى يبتر العمرا
هما خلتان ثروة اومنية * لعلك ان تبق بواحدة ذكرا

فلاذ بالوزير أبى الصفاء المختار الجامعى وتعلق . وتذلل اليه وتملق وطلب منه رفع الثقاف عن داره . واستعماله فيما يحل عقد اضطراره وكان مجلسه أنيسا . وحديثه نفيسا . وله صوت بهيج . يحرك البلابل ويهيج . فتيسر ما طلبه . وألحق بجمع الكتبة . الى ان توفى وترك المترجم له فى كفالة أمه . فنشأ على ما يقتضيه وصف يتمه. الى ان حصل من العلم ما حصل . وتوسل بأدبه فتوصل . فكتب للباشا الحاج عبد الله بن أحمد ثم لابن أخيه أحمد وقت حجابته . ثم استكتبه فى الخارجية عصر وزارته . ولما توفى استقل بوزارة أشغال الاجانب وابدى اضطلاعاً بتلك المتاعب . والاحوال ظاهرة السكون. وبغاث العصيان لازمة الوكون .(١) والاوامر مسموعة . والسبل ليست بمخرفة . ولا مقطوعة . وبعد نحو العام من وزارته وجه لبعض الدول سفيرا فلما رجع أظهر من سيرة العمال تنفيرا . وأشار بترتيب الجباية

١) الوكن عش الطائر

على نهج سوى . ونمط أوربوى . واستحلاف الموظفين على المصحف الكريم . على ان لا يقبضوا رشوة من مدع ولا من غريم . لينقطع تظلم الرعية من عمالها . وتثق بالامن على أموالها . وصدر فى ذلك كتاب شريف نصه وبعد فقد علمتم اننا منذ استرعانا الله تعالى اياكم وكلفنا ان نسوق الى مسالك الصلاح والطاعة مطاياكم ونحن ننظر فيما يكون أساساً لحفظ مصالحكم وتزكية لاموالكم ومكاسبكم وجبراً لاحوالكم وعلاجا لاعتلالكم ودفعا للتعدى من بعضكم على بعض وتامينا على نفوسكم من تخوف الاذاية فى مال او عرض قياما بما أوجبه الله من النصيحة والارشاد والاهتمام بمصالح العباد وعملا بقوله صلى الله عليه وسلم من ولي من أمر أمتى شيئاً فرفق بهم فارفق اللهم به وطال ما تروينا فى ذلك بحسب ما يبدوا تارة من أضطراب أحوالكم بحسب ما تنسبونه لعمالكم فاذا نظرنا لجهة جرائم العامة ومواقع انحرفها وتقاعدها عن الحقوق وعدم انصافها يكون عذر العمال واضحا فى أجرا الاحكام عليهم بما عهدوه واستخراج الفرائض والحقوق منهم على الوجه الذى تعودوه واذا نظرنا الى تظلم الرعية فى تنوع شكاياتها ونسبة الحيف الى أشياخها وولاتها ودعوى الاخرين بها فى استخراج جباياتها يكون لكلام الرعية وجه يقتضى استكشاف حال العمال وكفهم عما ينسب لهم من هذه الاعمال صرفا لكل عامل عن شهوته ومراقبة لقوله صلى الله عليه وسلم أن من اخون الخيانة تجارة الوالى فى رعيته ولم نزل مع هذا كله نتأنى لاصابة المراد عملا بمقتضى قوله صلى الله عليه وسلم

من تأنى أصاب أو كاد وأخذا بادب سليمان عليه السلام فيما حكى عنه في الكتاب المبين حيث قال سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين الى ان شرح الله صدرنا لترتيب قواعد سياسية وقوانين بحفظ المصالح وافية وفي رفع الضرر كافية على الوجه الذى يعود نفعه على بيت المال الموفر بالله وعلى جميع رعيتنا المحوطة بالله وهو توظيف مقدار محصور يكون منكم عطاؤه سنوياً على أنواع البهائم والمواشى وعلى مزارع الحرث والبحائر والسوانى وكذلك الاشجار على اختلاف أنواعها وتفاوت منافع ثمارها حسبما بين ما يعطى على كل نوع بازائه في الطرة يمنته ويكون حكم هذا العطاء عام الاعتبار في سائر القبائل والاقطار بحيث يستوى فيه المشروف والشريف والقوى والضعيف وحتى من كان عاملا أو شيخا أو خليفة أو نحوه يكون فيه كسائر الناس بحيث لا يستثنى أحد من شمول هذا الضابط وعموم هذا القياس وذلك منا ارتكاب لما له أصل في الشرع من نوع السياسة العادلة التى تخرج الحق من الظالم وتدفع كثيراً من المظالم وتكشف الضرر عن الرعية ويتوصل بها الى المقاصد الشرعية لان المفاسد اذا أمكن رفعها بالاخف لا يعدل عنه الى الاعلا ولبناء مذهبنا المالكى على اتباع المصلحة العامة حتى قال الائمة رضى الله عنهم ينبغى ان يراعى فيها اختلاف الاحوال والاعصار وانها من القوانين السياسية التى شهدت لها قواعد الشرع بالاعتبار وانها جارية على مقتضى قوله صلى الله عليه وسلم لاضرر ولا ضرار ويشهد لذلك ما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم من مصالحة اهل سبا

بتوظيفه عليهم سبعين حلة من القطن سنوية وثبت عن معاذ رضى الله عنه نحو ذلك عى أهل اليمن عوضاً عن زكات الحبوب لاقتضاء الحال والمصلحة لذلك على الوجه المطلوب مع ما صح عنه صلى الله عليه وسلم من ان فى المال لحقاً سوى الزكاة وقوله ان الله فرض على أغنياء المسلمين فى أموالهم بقدر ما يسع فقراءهم وهانحن عينا جملته من الامناء والعدول الواردين عليكم لمقابلة هذا الترتيب فى قبيلتكم وكلفناهم باحصاء جميع ما عند كل واحد منكم من الانواع المشار اليها ليكون العطاء المفروض كل سنة على نحو ما رتبناه عليها ومن أخفى من متاعه شيئا ولم يظهر عليه المكلفين ثم ظهر بسبب البحث الذى من ورائه فانه يعاقب بسلبه من جميع ما ستره باخفائه وأما العامل فلم يبق له سبيل على فرض شىء عليكم او قبض شىء منكم ولو قلامة ظفر لاننا عينا له ما يكون يقبضه راتبا من بيت المال عمره الله على ان لا يعود لمد اليد فى متاع أحد من القبيلة أو يتطاول لاخذ شىء بطمع أو حيلة وانما حسبه رد البال وتامين الطرق واجراء الاحكام وشد العضد على الصلاح والطاعة وحفظ النظام واجلاس كل طائش عند حده وحمل كل واحد على اتباع معاشه ورشده عسى الله ان يحقق فراستنا فيكم بحمد هذه النعمة وشكرها والتزامكم الهناء وعمارة البلاد المنتجة لعموم خيرها لان العلة التى كانت سببا فى بسط أيدى العمال فيكم وفى غيركم سالفاً انما هى ركون العامة لكثرة التنافر والاختلاف والتقاعد عن الحقوق والانحراف والا فلو كان التوافق من أول الامر حاصلا مع الهناء

وتامين السبل فى نواحيكم لكنتم أحق بهذا الترتيب من قديم
ولا كننا ءاثرناكم به من الان بقصد اصلاحكم والرفق بكم لعل الله
يهديكم الى صراط مستقيم وعليه فنامركم ان تتمشوا مع الامناء
والعدول المذكورين على ما قرر من غير تفريط ولا تكاسل حتى ينفذوا
ما أمرناهم به من غير توان ولا تساهل ولا كلفة عليكم بشىء من
مئونتهم أو لوازمهم لاننا نفذنا لهم رواتبهم على العمل المذكور الذى
توجهوا لاجله وكتبنا لخدامنا الانجاد قوادكم ببيان هذا كله وأمرناهم
بشد العضد لهم على التمكن من ترتيب ما أسسناه حتى يتم تنفيذه
واحصاؤه على مقتضاه والله المسؤل ان يجعل هذا القصد الحميد سببا
لجبر أحوالكم وصلاح أعمالكم وتنمية أولادكم وأموالكم وموجبا
لالهامكم شكر ما أردناه وثباتكم على تاسيس الخير الذى قصدناه فهو
سبحانه ولى التدبير نعم المولى ونعم النصير والسلام فى ١٠ جمدى الثانية عام ١٣١٩
وأحبب بها من خطة لو أنتج قياسها وأثمرت غراسها . فارتاب العوام
بهذا الترتيب . ولاذ الخواص بالتحذير والترهيب . وتوصلوا بتلك
الضريبة الى التضريب .(١) وقد كان السلطان المقدس مولانا الحسن
رام اجراءه بالايالة . فابتدأ بتجربيه فى قبيلة دكالة . فاشرأبت للتعصب
على رؤسائها . لما انطلقت من عقال بأسائها . فنثر نظامه . وأرجا(٢)
أحكامه . اذ العوائد صبغة يصعب زوالها . والمطامع عقدة يبعد انحلالها
وقبائل المغرب كما يقال اذا رفع عنها المقراض . تفرنمت الى الخوض

١» التضريب الافساد ٢ أرجا أخر

والاعتراض . ولما دخل السلطان . مولانا عبد العزيز لفاس ومكث
بها نحو السبعة أشهر أخذت العلل تسرى . وسيل الافساد لاساس
الاصلاح يجرى . وقصرت المالية عن الوفاء بالصوائر . على الجيوش
والدوائر . فاقترض المخزن من عظماء الدول أموالا جسيمة . وأعرض
عن الجباية الحديثة والقديمة . ثم انفتح سد العدوان . بفتنة جروان
ومحصلها ماذكر فى كتاب شريف نصه وبعد فانا بحول الله منذ حللنا
مدينة فاس المحروسة بالله ونحن اخذون فى ضبط نظام القبائل المغربية
معتمدون على تدبير المولى سبحانه بتفويض الامر وجميل النية . والرعية
مشمولة برداء الهناء والسكينة . مبوأة من الرعاية والتامين باكناف
مكينة . الى ان استفز الشيطان . قبيلة جروان . لاحداث فتنة . كان
ظهورها فيهم عقوبة لهم من الله ومحنة . فكسروا سوق المسلمين باطراف
مكناس وتجمعوا لجمع اللفوف من البرابر والجوار . وارادوا مقابلة
المحلة التى وجهناها اليهم لاستيفاء الواجبات والاعشار . فبمجرد ما بلغ
علمنا الشريف عنهم الركون الى بث هذا الفساد . واستعدادهم
لاضمار قبيح البغى وشنيع العناد . عاجلناهم بمحلة من جيشنا وعسكرنا
السعيد . محفوفة من عناية الله بمظاهر الفتح ومئاثر التاييد . كاملة
العدد والعدة . تامة القوة والشدة . ووجهناها صحبة ابن عمنا سيدى
محمد المرانى للنزول عليهم . واذاقتهم وبال أمرهم . وأمرنا ابن عمنا
مولاى ادريس بن المهدى بأن ينزل عليهم بالمحلة التى معه كذلك حيث
عين له وأمرنا خدامنا قبائل الشراردة وبنى حسن وبنى مطير وبنى

مجيلد وغيرهم بالزحف اليهم من كل جهة ٠ وصرف الهمة اليهم والوجهة فما شعر الفساد المذكورون حتى أحدقت جيوشنا السعيدة بهم من سائر الاركان ٠ وانقضت عليهم صقور القبائل من كل مكان فتناولوهم تناول الاكلة ٠ وجرعوهم غصة التمزيق من غير مهلة ٠ ووردت منهم عدة مساجين مقيدة ٠ وجالت الايدى فى بلادهم بالنهب والتخريب والاحراق مراراً معددة ٠ حتى تفرقوا شذر(١) مذر وصاروا عبرة لمن اعتبر ٠ وأصبحوا يتعلقون بالوسائط من الاعيان وكبراء القبائل ويتشفعون فى قبول التوبة منهم والابقاء على بقيتهم قبل ان يستاصلهم العذاب الهائل ٠ ولما تحققنا ببلوغ العقوبة فيهم غايتها ٠ واحلال السطوة فيهم رايتها ٠ أذنا فى التامين على من تحققت توبته ٠ وانقطعت من الفساد علقته ٠ وتلك سنة الله فى أمثالهم ٠ التى تلحق أهل كل عمل بأشكالهم ٠ ان ينصركم الله فلا غالب لكم ٠ وأعلمناكم بهذا لتعرفوا حقيقة الواقع ٠ وتحمدوا الله على ما سناه لنا من الفتح والنصر الذى ليس له مدافع ٠ وهو المسئول سبحانه ان يغنينا بتدبيره عن التدبير فهو نعم المولى ونعم النصير والسلام ٠ ثم خرج السلطان عقب هذا قاصداً البلاد الحوزية ٠ موثراً المرور بالقبائل البربرية ٠ لتفقد الشئون واصلاح الامور ٠ فلما كان بزمور ٠ تحقق لديه خبر أخ البسوس (٢) مثير النكد والبوس ٠ المتهالك فى هوى نفسه الامارة ٠ المنبوز بابى حمارة ٠ واتصل به تكاثر الذئاب المتنمرة ٠ وتمثل لسان الحال ٠ بما يقال

---

١) شذر مذر ويكسر أولهما ذهبوا فى كل وجه ٢ البسوس امرأة مشؤمة اسرائلية

بال الحمار فاستبال احمرة فرجع الى فاس لتلا فى دائه . قبل إعيائه . وكان ما يأتى بعد هذا من الوقائع التى أتلفت الاموال والنفوس . والحقت الاذناب بالرؤس . وبقى حال المخزن متردداً بين الظهور والخفا . والمواصلة والجفا . والسلطان يقابل باللطف والاغضا . من اظهر وداً وأضمر بغضاً ويسوس الرعية طوراً باللين وطوراً بالشدة . ويدرأ فى نحر الفتان بالرجال والعدة . الى ان صارت أعمال الاطراف مختلة . وعقد الجد منحلة فهاجت الفتنة وطغى طوفانها . وتأججت نيرانها . لما انفتحت أجفانها وتمرض فى الطاعة جل القبائل ومد البغاة لصيد النفوذ الحبائل واستطال ابن اللبون على البازل . وصارت أقلام الكتبة كالمغازل وارتفع الاسافل بهذا الخطب النازل . واتسع الخرق على الراقع . وتعددت الاحداث والوقائع . كحادثة الدار البيضاء وواقعة مراكشة الحمراء . أما حادثة الدار البيضاء فملخصها ان تسعة من الخدمة اصبانيين وفرنسويين قتلتهم طائفة من الشاويين بتدبير من كانت له فى ذلك مقاصد ولمواقيت القاء الشر مراصد ثم هجموا على الثغر فنهبوا وسفكوا وانتهكوا من الحرمات ما انتهكوا وجرى على سبيلهم من تبعهم من قبيلهم ووقع فساد كبير يضيق عن تفصيله التعبير فوجهت كل واحدة من الدولتين باخرة حربية حمية لحقها وحماية للدور الاجنبية فانزلتا عدداً من العساكر ونهتا بافواه المدافع عن تلك المناكر وتوالت زمر الناهبين وترادفت طلقات الضاربين على الجائين والذاهبين حتى امتلات السكك امواتا وأمتعة وأقواتا ولم تزل

الدولة الفرنسوية تواصل الامداد ويموت منها ومن تلك القبائل اعداد حتى جاست العساكر خلال ديارهم وتمكنت من سهولهم وأوعارهم فملت الشاوية وانطفا لهبها واستقام في سبيل الهناء مذهبها وأما واقعة مراكشة فمحصلها ان طائفة من أهلها أغوتهم الشياطين النازغة وأغرتهم الشبيبة والاكف الفارغة بقتل طبيب فرنسوى وجره ونهب محل مباشرته وتجره واشرأبوا (١) الى قتل غيره من النصارى واذاقة من تمنع منهم تضييقاً وحصاراً وأرادوا إفعام (٢) المدينة حربا وان يصيروا على العصيان والفتنة حزبا ولما كاد ان يتشعب أمرهم ويصعب عن مديد الافساد زجرهم حال مولاى عبد الحفيظ بينهم وبين المراد وأبدى أتم قيام واستعداد وقابلهم بقوة أدت الى وهنهم وأبلغ النصارى الى مامنهم فكانت له اليد البيضاء في رعى الذمام وانفاذ العزم والاهتمام بانقاذ تلك النفوس من شرك الحمام وكان بحضرة السلطان من الجيوش والعساكر ما يسر الناصح ويكدر الماكر ويقطع مطامع المتربصين ويهدئ قلوب المخلصين فلما قبض الريسونى على مكلين النجليزى الحراب خشى المخزن ان يقع من دولته سوء معاملة واضطراب فانهض لافتكاكه وامساك قابضه أو إهلاكه وزير الحرب أبا عبد الله الجباس واختار له من تلك الجيوش والعساكر من له مزيد اقدام وباس فوقع بينهم وبين الريسونى قتال عسير ولم يصلوا الى افتكاك الاسير ولله در القائل

---

١ » اشرأبوا استشرفوا وتطلعوا ٢ افعام ملء

اى شىء يكون أعجب من ذا * ان تفكرت فى صروف الزمان
حادثات السرور توزن وزنا * والبلايا تكال بالصيعان

ثم تمخضت (١) حبلى الليالى عن مجاهرة القبائل الحوزية بمبايعة مولاى عبد الحفيظ وأصاب خاصة المخزن ما يحزن ويغيظ ولما شاع بين العامة خبره وتواترت سيره وعبره تعجل السلطان بالسفر للرباط لتسكين الهياج وعلاج ما دعا الى العلاج فلم يلبث الا قليلا حتى صدرت من أهل فاس هيعة (٢) دخلوا بسببها فى تلك البيعة بعد ان طردوا المكاسين من مقاعدهم وجددوا الثورة قديم عوائدهم وخرجوا عن خط الاستواء فى الانفعال للاغراض والاهواء وتولى كبرها افراد منهم من نشله المخزن من وهدة الخمول واقتنى من نعمته الموضوع والمحمول فذب عن صوانها بكفرانها ومنهم متبجح (٣) أرهق نفسه عسرا واتخذ النفاق جسرا فأصاب خسرا الف وصنف فما قرط ولا شنف بل باء بها شنعاء غادرته يتلمس الجدران ويجتزى عن لقاء الاقران بمجالس النسوان ويطرق اطراق الافعوان ينتظر للوثوب الاوان الى ان رفع سربه وانقطع من حوض الحياة شربه شان الاخر والاول من القومة فى تاسيس الدول وقد كان لبرق الولاية شائما وعلى مورد الرياسة حائما فأتاه الشر من حيث قدر ضده وأصابه السهم من حيث لا يملك رده ومنهم مستظهر باقدام وحاشية وخدام يرسل الكلاب على البقر ويستميل من بغى وعقر ومنهم فقير عائل ينظر الى قول القائل

---

١) تمخضت توجعت من الولادة ٢ الهيعة الصوت المفزع ٣ متبجح من بجحه فتبجح اى فرحه ففرح

اذا لم يكن للمرء فى دولة امرىء * نصيب ولا حظ تمنى زوالها
وما ذاك من بغض لها غير أنه * ترجى سواها فهو يهوى انتقالها

وظهرت رجال فتح لهم فى مموهات الاقوال بتقلبات الاحوال باب التروى والارتجال وأصبح أعلام الفقهاء تحت احكام السفهاء ورءوس الاغنياء فى قبضة الاغبياء وكان انعقاد البيعة بعد نصح وتهديد بالحرم الادريسى بمسجده الجديد ولولا مدارات العقلاء وموارات اللطف للبلاء لاريقت الدماء بالحرم وألحق البرىء بمن اجترم واستدعيت للحضور مكاتبة وأكد على فيه مخاطبة والحالة توجب الطاعة والسمع وتحذر من الانفراد عن الجمع فهياج الدهماء(١) كثبج الدأماء(٢) من ساله سلكه ومن هاجمه أهلكه وكنت أظن أن المجلس يكون فى وقار وسكون وأنه يختم بدعاء من الخاصة والعامة جمعاء فكانت الهيئة على غير انتظام والزحام اخذا بالاكظام والعامة ترفع أصواتها بهجر الكلام وتهم بجر حملة الاقلام والرؤساء كجراد فى وعاء والانصراف كما يصدر الرعاء لا لسان يتشفع ولا يد لمصافحة أو دعاء تنصب او ترفع وكتب سؤال وجواب لم يدر الجل من شدة الضوضاء وتشابك الاعضاء وقلق القلوب كانها على الرمضاء أهما خطأ أم صواب وأمضاها كل من أمسك قلما من الطلبة والعلما وزاد المقام ارتجاجا والعوام لغطا ولجاجا اباء العلامة الشريف مولاى ادريس بن عبد الهادى من الامضاء حتى كاد يصيب مقتله من تاسد واعتلا وتوعد وائتلى وماذا يجدى خروج الفرد

(١) الدهماء العامه ٢ ثبج الدماء وسط البحر

الانوف مما دخل فيه الالوف على وجه الرضا أو على رغم الانوف وعومل من كانت لهم حرمة بالخدمة معاملة أهل الذمة ولقد سمعت بعض أشياخي وهو بجانبي ينشد ويتململ ولا يفكر في قوله ولا يتأمل (وننصر مولانا ونعلم أنه * من الناس مجروم عليه وجارم) فقلت له ياسيدى اخفض صوتك لئلا يجلب اليك موتك فما بينك وبين المكحلة والصارم الا ان يسمع منك لفظ جارم وظهر فى تلك الايام اللطف الخفى والصنع العجيب من لدن السميع المجيب فلو وقع ادنى نزاع او كفاح بين حملة السلاح لعظم البلاء واعقبت تلك العدد اضعافها من الاشلاء وذكرت شروط مبتكرة واقترحت امور منكرة لا يرضيها الامن التى الى التحجير زمامه ووكل الى الرعية نقضه وابرامه ولما بلغت لمولاى عبد الحفيظ غضب عند تاملها وأشفق من تحملها وأمر برفض حكمها ومحو رسمها وانب مقترحها واعتبرها سيئة اجترحها وبعد انعقاد البيعة على تلك الصفة من الفرقة الراغبة والمتكلفة أخذ الرؤساء يخرجون لمصلى باب فتوح وغيرها من الاطراف وفق ما يتبع فى الفتن من العوائد والاعراف ويتقدمون فى عدد جزيل ويلهجون بدعوات يرتلونها اى ترتيل ويتخشعون كما يتخشع قارئ التنزيل ثم يجعلون أوانى الفخار للرماية أغراضا ويسرون فى تلك الظواهر مقاصد واغراضا حتى أفنوا من القرطاس ألوفاً ومن البارود قناطير ولم يمح ذلك ماله فى صحف الاقدار أساطير ووجهت من الرباط جنود وافرة لو سعد حظها لكانت ظافرة وجعل مولاى الزين بن مولانا الحسن المنعم أمير ذلك الجيش العرمرم والباشا

القائد محمد ابن البغدادى قائد زمامه ومدبر احكامه وأمر ابغادات فاس ومراوحتها بالقتال حتى يفىء أهلها الى الطاعة والامتثال فلما نزلا ببنى حسن وجدا المسلك صعبا والفيا قلوب العسكر مفعمة رعبا ورأيا الاعوان تفزع من ظلها فرجعا الى الرباط واديا الامانة الى أهلها ووفيا وفاء السموأل ابن عاديا وأغضيا عما كان من الخطر باديا فكان ذلك سبب سجن ابن البغدادى وسلب أمواله وأمتعته بعد الانقياد لمولاى عبد الحفيظ والدخول فى بيعته ثم دخل مولاى عبد الحفيظ لمكناسة الزيتون واحتوى من ءالة الملك على الظاهر والمكنون ثم دخل لفاس فاعاد المكوس الى مراكزها وأسند قناة الاحكام لغامزها وطأطأ رؤوس الغوغاء وقصر أعنتهم ولم يامن مكرهم ولا حمل منتهم

مرادى شىء والمقادير دونه * ومن غالب الاقدار لاشك يغلب

ولما انتشرت هذه الاخبار بالرباط جعل الاتباع يتسللون وكبراؤهم يتعللون وكثر المتنصح والمشير بما يؤدى الى الخذلان والتوريط ودعا ذلك الى استعفاء الوزير سيدى محمد المفضل غريط فقدم المترجم له الى الصدارة وقد تكدر جوها وذهب عفوها فبرقت له بارقة أنعشت أمله وزينت له عمله فأعجب بنفسه وتغير عما كان عليه بامسه وتظاهر لبعض الرؤساء بالجفاء فنكث العهد من كان ديدنه(١) الوفاء ثم قدم على المخزن بعض الاعراب الذين صفت فى الخوض مواردهم وارتبط بالاعطيات الملوكية موصولهم وعائدهم وأغروه بالسفر الى مراكشة

(١) ديدنه عادته

فاصغى الى نصحهم ولم يركب متن الاضراب عن شرحهم

فسد الزمان فما ترى من ناصح * الا بأثواب الهوى يتقلب
وتراه يظهر رقة وسكينة * وجنانه لجنا الدنا يتطلب
يعطيك من طرف اللسان حلاوة * ويروغ منك كما يروغ الثعلب

فخرج بمن معه من وصفانه وبقية جيشه واعونه ومن جدد تنظيمهم من وزراء ديوانه ولم تزل كمية جنده تزداد فى كل مرحلة ويدجوده للمرتاد مرسلة الى ان خيم ببلاد السراغنة فسروا بمقدمه وتيمنوا بموطىء قدمه وصار عمالهم وأعيانهم بمنزلة خدمه ووعدوه الاستماتة على نصره والاستقامة على تعضيد أمره غير ان الوزير قابلهم فى ءاخر الامر بما قصر ءامالهم فاهمل أعيانهم وعمالهم وذلك من الاغياء فى الحذر ولا يغنى حذر من قدر وكان القائد عبد الملك المتوثى على الطاعة والنصيحة مواظبا منذ ذهب عن مولاى عبد الحفيظ مغاضبا وتحرج من رياسة الانداد وسيادة من ليس له بالثروة والشهرة استبداد وللمسافر السلطان من رباط الفتح رجى ان تسفر وجهته عن وجه الظفر والنجح وتعود على العداة بالكسر والمتح فربط على أهل مراكشة وسامهم خسفا ونسف نواحيهم نسفا حتى يئسوا من الانصار وأيقنوا بالحصار وأراد الجل ان يتحول الى طاعة الامام الاول

وكتب القائد المذكور الى السلطان بان يمكث بخيمه ولا يعجل بتقدمه حتى يرد عليه باهل مراكشة مبايعين ولاوامره طائعين فاعرض عن مراده وتقدم وفق مراد الله فى حاشيته وأجناده ولم يدر أ ذلك لسوء ظنة او أنفة من احتمال المنة ثم ادلج (١) ليلة فى جيش ليس به ضعف ولا قلة وترك

---

١ » ادلج سار من ءاخر الليل

عدداً من الرجال لحراسة المحلة فصبح جيشاً من ايالة الوزير المزوارى جله بالاشجار والاحجار متوارى فرماهم بقليل من القنابل فانصب اليه رصاصهم كالمطر الوابل ولماحمى الوطيس وعمى المرءوس عن الرءيس غدرت طائفة كانت فى لفه وحلفه فاشتد القتال من بين يديه ومن خلفه ونسل اليه العصاة من كل حدب(١) وتباروا فى الجراءة واساءة الادب فثبت ولبث فما تجلد غيره ولا تمكث وولى الكثير الادبار لماقل الاصطبار فاستيأس من علاج تلك العلة وثنى العنان الى المحلة وقد أظهر البغاة فيها شرا وشنارا(٢ وملئوا أسواقها وأطرافها فساداً ونارا فوجد الرجال مابين ناهب وقتيل وهارب فلم يسعه الاار كاب عياله والتنكب عن أخبيته وماله

لا ينقص الماجد اغضاؤه * عن اخذ من ماله المالى
من عادة الاشراف يقظتهم * للعرض والنوم عن المال

وجرح صنو دسلطان العصر مولانا يوسف ابقاه الله فى عز ونصر فاسف لما أصابه واهتم بشأنه حتى لم يفارق ركابه ركابه وبقيت المحلة بايدى المعتدين وسلك الوزير واتباعه الى بعض الزوايا فخرجوا منها فقراء مجردين يخصفون(٣) عليهم الاوراق ويتبعون مائية الاعراق ويودون الغرق لما جللهم العرق وذللهم الفرق وصار الهواء كخبر السماء مسترق والحر المحض بايدى الاخلاط مسترق وبدا من اقدام السلطان وابايته وحمايته لمن تحت رايته وذبه عن حوزته المنيعة ما أنسى ذكر عنترة وربيعة وسلم الله من نحى نحوه واقتفى خطوه فلم يلقوا فى سبيل الوصول اليه احتباسا

١» الحدب الغلظ المرتفع من الارض ٢ الشنار اقبح العيب ٣ يخصفون يلزقون

ولم يسلبوا مركوباً ولا لباسا بعكس من سار معتسفا فصار على مطية الرقاع راكباً وبرداء الشمس ملتحفا ثم دخل السلطان أرض الشاوية فاصلح الاختلال وازاح الاعتلال وانحاز اليه من فسح له في الاجل وفتح له باب السلامة فولجه على عجل نخيه واحوله ووالى عليهم فضله ونوله وقدم عليه الوزير عارياً فكساه وواساه حتى خفف عنه أساه ومكث السلطان بخيمه في اعظام مقامه واحترام اتباعه وخدامه حتى قضى المآرب والاوطار وشاعت البيعة الحفيظية بالاقطار فابحر الى طنجة واتخذها مقرا وحلى عيشه بها بعد ان مر بعضه في الاخطار مرا وتوجه الوزير الى باريس فاكد الامن على نفسه وماله والوعد باستخدامه واستعماله ثم قدم على فاس وقد الم به وصب بما مضى عليه من الجهد والنصب فعجل بالتوجه الى دار المخزن فلم ير اعتناء ولا مجاملة ولا حظى من مولاى عبد الحفيظ بجميل مقابلة ولا معاملة بل ابدى له وجه اعراضه واغلق باب القبول دون اعذاره واغراضه فزاده مرضاً واعتلالا اظهر من شعوره انحرافاً واختلالا ولبث اياماً يعاني داءه الى ان دعاه الردى فلبى نداءه في عام ستة وعشرين وثلاثمائة والف ودفن بروضته بالقباب وبعد دفنه باربعة وعشرين يوماً وجد راسه يوم عيد الاضحى معلقاً بمحراب مصلى باب فتوح وجسده على شفا قبره مطروح وماهي باول احدث السفهاء بالجداث(١) الوجهاء فقد فعل بابن الخطيب واضرابه ما تقشعر الجلود من اعرابه جعل الله تلك المصائب لاوزارهم مكفرة ولاجورهم موفرة

---

(١) الجدث القبر

بداية أبي حمارة ونهايته

هو شيطان طلع نجمه فنجم(١) بهتانه وقوى جرمه لما ضعف إيمانه ساحر شق عصا الاسلام وباع الانارة بالاضلام وصدع بخوارق هى على الاهانة اعلام فافعم المغرب خبالا وكيدا وعم وباله عمراً وزيدا كان مذبذب الاصل متناقض الخاصة والفصل تقلب فى اصناف الخدم الوضيعة وتضلع من ضروب الحيل الشنيعة ثم صار يتراءى بشعار العابدين ويظهر خشوع الزاهدين فلا يرى الا فى جامع او زاوية بطوية من الاخلاص خاوية وأقوال فى الطريق يلفقها واشارات يقيدها ثم يطلقها فربما نبس(٢) فى خلالها بهواجس أفكار ومتلقفات أخبار لم يقع لها فى الوقت اعتبار تكهنا ونجامة عدله بعد كرامة فمن ذلك ما قيل انه قصد وزير الحرب حين اشتد به الكرب مؤملا لقاءه مستنيلاً حباءه ماتا(٣) اليه بعشرته فى ايام عسرته اذ كانا فى الخدمة المخزنية منتظمين وفى الصبر على الضراء والمشقة ملتئمين وقيل انه بشره وهو محبوس بنيل الوزارة والنعمة بعد البوس وكان الوزير احمد بن موسى سجنه لامر استقبحه واستهجنه ثم رق له فسرحه واستعمله فلم يزل بعد الولاية على قبيلته يتقرب اليه بنصحه وحيلته حتى اتسعت ولايته وعظمت جبايته وتدرج الى ان ولى الوزارة بعد وفاته وحضى من السلطان بقربه وحسن التفاته فلما تعرض له ابو حمارة وجزم بانه يعرفه بتلك الامارة ويقطفه من بستان الاحسان ثمارة وهو فى كمال عزه وجمال بزه(٤) وابتهاجه وسكره بخمرة نهيه وامره استخف

---

١ نجم ظهر ٢ نبس تكلم فاسرع ٣ ماتا متوسلا ٤ بزه ثيابه

به وازدراه كانه ماعرف شأنه ولا دراه وحول عنه طرفه وعجل بالخيبة صرفه وهذه خصلة فى بعض الناس يستوحشون ممن كان لهم به ايناس اذا رفعوا من ضعة اواخرجوا من ضيق الى سعة فقال الفتان المذكور عند انقلابه مسمعاً لاتباع الوزير واصحابه ان صرت للسلطان وزيرا فلا كون فى بعض الاوطان أميرا ولما استروح من القبائل الجبلية ميلا الى الخلاف وانحرافاً عن جادة السكينة والائتلاف مع ما فى فطر عامتهم من الانضباع لمن له على الخداع والتدليس انطباع ركب اليهم متن أتان (١) واستكمل اوصاف التدجل والافتتان وحل بغياثة فمت اليهم بدعوى نفاثة حتى تمكن فيهم ناموس مكره وطغى بهم فرعون سحره وغشى ابصارهم بشعوذته (٢) فاعلنوا ببيعته واحتطبوا فى حبل خزعبلته (٣) وكان عامل تازة الحاج عبد السلام الزمرانى لما شعر بما يرومه اتقى ان تدب الى سمومه وتهب عليه سمومه (٤) فكتب للمخزن بجلية اعماله والتحذير من عاقبة اهماله وطلب اعانته بقوة مادامت النتيجة مرجوة والسلطان حينئذ يتأهب للسفر ويستجمع الازواد والنفر لتفقد مراكشة واحوازها وترتيب صدور أمورها واعجازها فاستخف امر العامل وأهمل طلبه وسهل كيد الثائر وشغبه استنادا الى رأى من يجر النار لقرصه ويتكلم على قدر طمعه وحرصه ولما استفحل امر الفتان وكادت ان تضل به الجهال ضلال عبدة الاوثان رجع السلطان الى فاس دون قضاء نهمته (٥) وجرد للزعيم صارم همته فجهز له جيشاً ظنت كفايته ووزعت بين الاضداد ولايته فصاروا

١) الاتان الحمارة ٢ الشعوذة خفة فى اليد واخذ كالسحر يرى الشىء بغير ما عليه اصله فى رأى العين ٣ الخزعبلة الباطل ٤ السموم بالفتح الريح الحارة ٥ نهمته حاجته

بين مغرب ومشرق وجامع ومفرق وءال بهم سوء التفاهم والتناول الى التدابر والتخاذل ففر واليلا بنفوس نالت من العار والعتاب نيلا واحتوى الدعى على متاع الجيش ورياشه(١) وارتاشت به اجنحة اوباشه(٢) وازدادت شرارته اتقادا وملا الجبال عتوا وفسادا واظهر أبهة السلطنة بالمظلة والجنائب(٣) الحسنة ورتب الوزراء والاتباع ونكح من النساء مثنى وثلاث ورباع وأقام حدوداً ابتدعها على نفوس ضيعها اقتداءً بمن مضى من الثوار فى ارتكاب المحظور وفق الاوطار ثم استنفر له المخزن بعض الكتائب مؤلفة من الراجل والراكب واسند أمرها الى المنبهى وزير الحرب وابن يعيش قائد المشور وحذرهما من التنازع والرأى الازور(٤) فساروا حتى وجدوا الفتان بثلاثاء النخيلة قد حشر اليه طوائف اشياعه وحسر للحرب عن ذراعه وظن انه ينال النصرة والمسرة كما نالها اول مرة فلما تراءت الفئتان واصطدمت الفرقتان وشبت الحرب واسنت واظهرت الابطال ما اكنت وتدلهت الجبناء حتى ظنت أنها جنت كسروا جنوده ونكسوا بنودة واستولوا على محلته وجنائبه ومظلته وأجفل اجفال الظليم(٥) ونجى منجى الحرث بن هشام براس طمر(٦) ولجام وفؤاد كليم ثم اوقعوا به بعين مديونة واخذ الجيش منه ثاره وديونه ووقعت له كسرات شنيعة فى اثناء فراره كشفت عن خبيئة خزيه وعاره الى ان وصل الى تازة مطلع نحسه ومنبع الحاده ورجسه ولولا اشتغال الرجال فى كل

---

١) لرياش اللباس الفاخر ٢ الاوباش الاخلاط والبله ٣ الجنائب الخيل المقودة الى الجنب والمفرد جنيب ٤ الازور المائل المعوج ٥ الظليم ذكر النعام ٦ الطمر بكسر الطاء المشددة وكسر الميم الفرس الجواد

صوب بالسلب والنهب لاخذ على رؤس النصال وختم بقتله درس النضال (١) وما أحسن قول ابن الحسين

ونهب نفوس أهل النهب أولى * باهل المجد من نهب القماش

وقول سابقه ابى تمام

ان الاسود أسود الغاب همتها * يوم الكريهة فى المسلوب لا السلب

ثم احتل الجيش تازا ورءا نصراً من الله واعزازا وامتلات الايدى بالاسلاب بعدان قطعت الرءوس وقصفت الاصلاب ونزل الثائر من قبائل الريف حيث تمنع بمن لهم تحبب وتصنع وكان احتلال تلك المدينة على العنيد نقمة وفى جنبه ثلمة ولو دام لانتج مايستحسن ويحمد غيران الامر كان كما يقال شوى أخوك حتى اذا انضج رمد فان الرءيسين المذكورين تركا وراءهما مواد الفساد ممتدة فصارت الجموع المستسلمة عن الطاعة مرتدة واصبحا بشبه انحصار والتجئا الى الاستنصار فكتبا الى السلطان بحقيقة الحال وطلب الانقاذ من تلك الاوحال فلم ير الا السفر بنفسه لتلك الناحية نافعا وغير تقدمه لتاخر ذلك الجيش دافعا فنهض بمن حشدهم من أقصى الايالة وأدناها وشملهم باموال وأسلحة أفناها وبعسكره الوافر المنظم نخيم بارض الحياينة وانضم اليه الجيش المقدم وتنقل الى ان بلغ اوائل قبيلة الدسول ولم يتسن للقائم مراد ولا سول الا ان اتباعه كانوا يشنون بالليل الغارات ويتترسون نهاراً بالاوعار والمغارات فلم يتمكن الجيش على كثرة اعداده وتعدد شجعانه وانجاده على اقتحام مساربهم

---

(١) النضال المباراة فى الرمى

وسلوك مذاهبهم وبهذا السبب عسر قتالهم على الاخر والاول من ملوك الدول فلا يقابلون الى بالحصار حتى تلجئهم الضرورة الى الانكسار سيما مع وجود مكاحل البارود وانعدام منفعة السهام والدرع المسرود فمنذ حدثت زادت قبائل الجبال امتناعاً وانتزاحا (١) وصار الجد فى اخذها كفاحا (٢) عبثاً ومزاحا ثم رجع السلطان عنهم الى فاس بعد ان عضهم الحصار وأصابهم اجتياح واعصار (٣) ووصل الكور الى اقصا مداشرهم وانقطع عنهم مدد مغريهم بالعصيان وحاشرهم مع اقبال فصل الشتاء الذى لا يتيسر معه ارتحال ولا يتسع فيه مجال من كثرة السيول والاوحال فى تلك الارض التى لا يسير بها فى وقت المطر مسافر الا سجد لغير عبادة وقرن انف مركوبه بالحافر وبين سبب ايابه فى شريف كتابه ونص الكتاب وبعد فقد كان الغرض من نهوض ركابنا الشريف هو القيام بما اوجبه الله من اخماد فتنة المفسدين وتربية قبيلة الدسول واشكالهم المعتدين ومنذ خيمت جيوشنا السعيدة على اوديتهم وهضابهم (٤) وخفقت بنودنا المنصورة على جبالهم وشعابهم ونحن نحاول استرجاعهم من الغى الى الرشاد ونسترعى عليهم قبل ان يعمهم من الهلاك مالا يمكنهم معه استنجاد وكررنا عليهم زحف الصوشات من جهات متعددة واشهدناهم اثر سطوة الله المتجددة وضيقنا عليهم المذاهب حتى اوهنهم الحصار فى كهوف الشواهق ومغارات المسارب وفى كل صوثة يقع فيهم عدد من الجرحى والقتلى وتبلغ فيهم العقوبة مبلغاً يزيدهم محنة وهولا ولما كان سبب تماديهم على ماهم فيه من

١) انتزاحا ابتعاداً ٢ كفاحا مواجهة ٣ الاعصار بكسر الهمزة الريح التى تثير السحاب اوالتى فيها نار ٤ الهضاب ج هضبة الجبل المنبسط على الارض

الضيق والمحنة هو استعظامهم لما فرط منهم من الشقاق والفتنة حتى عدوا ذلك من الذنوب التي لا تسلم من عاقبتها عواقبهم ولم يعتبروا أن المقصود عندنا هو استرشادهم لما تصلح به احوالهم وتتطهر به عقائدهم ورأينا استمرار الحروب عليهم يفضى بهم الى عموم الهلاك والتدمير مع ان المراد هو انقاذهم من مصارع الضلال بتربية واسترشاد وتحذير وتحققنا ببقاء الفاسد الفتان فى حكم العدم من الجرح الذى لم يطق معه تحريك يد ولا قدم وحل مع هذا ابان الشتاء الذى اشفقنا منه على المسلمين لاضطرارهم الى حراثة أقواتهم واقتناء معائشهم وضرورياتهم أمرنا محلتنا السعيدة التي كانت مخيمة بتازا بالتوجه منها الى نواحى وجدة وانجاد وتكميل الغرض بها هنالك فى حسم مواد ورددنا وجهتنا السعيدة لمحروسة فاس مصحوبين بعناية الله التي هى عمدة التدبير وجنة الاحتراس ريثما نجدد تقويم الحركة والاستعداد ونترقب ما يظهر من أحوال هؤلاء الاوغاد فان أراد الله بهم خيرا وتابوا وأنابوا فذاك والا فننهض لهم فى الابان الذى يقتضيه بما لا قبل لهم به بحول الله واعلمنا كم لتعرفوا حقيقة الواقع وتاخذوا حظكم من فرح الاوبة فى عناية الله التي ليس لها دافع ونسئله سبحانه أن يحتسب اجتهادنا فى حياطة دائرة النظام والدين انه ولى التدبير والمستعان والمعين والسلام فى فاتح شعبان عام أحد وعشرين وثلاثمائة والف وكتب الى بعض شيوخ الوقت بما نصه وبعد فقد رددنا وجهتنا السعيدة لفاس حرسها الله بعد أن كنا مخيمين على أهل الشقاق والعناد الساعين فى الارض الفساد قياماً بما أوجبه الله من معاقبتهم على بغيهم حتى يرجعوا الطريق صلاحهم وهديهم وأطلنا عليهم الزحف

والحصار حتى تلاشى حالهم ولم يبق لهم فى مجال العناد اثار وأمرنا محلتنا السعيدة التى كانت بتازا بالتقدم الى نواحى وجدة فكان ذلك من دلائل عناية الله وسر توجهاتك الملحوظة وبركة تصريفاتك المحفوظة ومرت فى توجهها على قصبة العيون فاكملت فتحها وساقت لطرق الرشاد سرحها وهنالك استقبلتها محلتنا السعيدة التى كانت بوجدة فازدادت بها تعضيدا وتقوى ركن الفتوح بها نصرة وتاييدا وانبعث منهما مدد معتبر بجهة الريف لاظهار سطوة الله فيمن يوثر عنه بقاء التحريف وراعينا فى الاوبة نفاس توقع ابان الشتاء والاشفاق على من بمحلتنا السعيدة من جمهور سواد الاسلام الى ان يتجدد النهوض فى ابانه ويتدارك تمام الغرض عند اوانه ونحن فى كل ذلك معتمدون على تدبير الفاعل المختار ومصممون على تاثير ماتمنحه همتك التصريفية من الاسرار مترقبين من مطالع توجهاتك العرفانية ان نكفى كل ماأهم وتنحسم مادة كل ماأضر والم وماهى باول بركات أهل الله مثلك الذين يرضيهم اذا عزموا ويبرهم اذا أقسموا والرجاء فيه سبحانه ان لانرى مع كفالتك الوافية مايكدر ولايعود مع ضمانك المحفوظ حادث مغير حفظك الله وأدام النفع بك والسلام فى رابع عشر شعبان عام أحد وعشرين وثلاثمائة والف هذا والزعيم بالريف قد بلى نقده بالتزييف(١) وأصبح بعد ربيع العيش فى خريف وأخذ بحرفتنته فى الرجوع وتفرقت عنه الجموع وثمل عليه المنظور والمسموع واشتملت منه على السقم الضلوع ومكث يتسلى بالامل البعيد المقرب ويرقب طلوع شمس سعده من المغرب ولات

---

(١)التزيف رد الدراهم نقش فيها

حين طلوع . حتى ان بعض الرجال رماه من مكحلته بعود من الدفلى فصير الفـوق فى عينيه سفلا . وسبب اختياره لذلك العود . دون الرصاص المعهود . هو ما زعم أن عنده تعويذاً يراه بنياناً مرصوصا يمنع عنه السلاح عموما والرصاص خصوصا . والله أعلم وبقى قرين مرقده كانه رهين ملحده . واستراح السلطان من شغبه . بالجيش الذى وجهه للقيام بحربه وتشديد حربه . ولما بلغت بنات فتنته وشبت . وغلبت امرتها واستتبت . وتم لمولاى عبد الحفيظ من الملك ما تمنى . وتسنى له ما تسنى . حتى ضرب المثل بسعود جده . (١)الذى أغناه عن تعبه فى بعض المهمات وكده . ولم يبق شىء مما زين للناس حبه . الا هيئ له منه غرضه واربه . (٢)انتعش الفتان ونبضت عروقه . وثاب(٣)اليه مكره وفسوقه . وأغذ(٤)السير الى الحياينة وضرب ببعض كداها خيامه . وجعل فيه اعتصامه . وشن الغارة على من جاور فاس من القبائل ومد لصيد الملك الحبائل . وبرقت له بارقة استدراج . (٥)حتى بلغت جنوده الى أولاد الحاج . ثم انقلب إليه شؤم سعيه . وعادت عليه كرة بغيه . فخرجت اليه الجنود المخزنية . فانهزم الى بعض القبائل الجبلية . بعد ان نهبت أمواله . وأسلمته رجاله . وسبى عبيده وعياله . ثم قبض عليه وقيدت أربعه . وامتدت أيدى العساكر اليه . هذا يصكه وهذا يصفعه وكان من الشجاعة بالمحل الذى لاينكر . كالسهم اذا أدبر . والشهاب اذا كر فكم من مقدام اليه تخطى . فالتوى عليه كالحية الرقطا . ثم

١ » الجد بفتح الجيم البخت والحظ ٢ الارب بكسر الهمزة وسكون الراء الحاجة ٣ ثاب رجع ٤ »أغذ أسرع ٥ الاستدراج الاخذ قليلا قليلا من غير مباغته

أشخص الى فاس ولما ادنى منها وضع فى قفص حديد . مبالغة فى التنكيل والتشديد . وحمل على بعير . وضربت عليه نوبات الشتم والتعيير . ومثل أمام السلطان وقد أظهر الجلد والوقاحة . ورجى ان يكون له فى الموت اراحة . وكان يوم دخوله لفاس يوماً غابت عذاله . وقصرت على اللهو اعماله . لم يبق فيه شاعر الا أطلق بالمدح لسانه . ولا مطرب الا ردد غريبته واصبهانه . ولا فارس الا استعمل ملاعبه . ومثل عجائبه . ولا قينة(١)الا أفرغت قنينتها . (٢)وأظهرت زينتها . ثم بنيت له دكة بباب البجات . وأقيمت حوله المفرجات . ووضع عليها وهو فى القفص يتجرع الغصص . وشهر ثلاثة أيام . حتى شاهده جميع سكان البيوت وأهل الخيام . ثم أدخل الى بعض الاماكن السلطانية . فكان ءاخر العهد بطلعته الشيطانية . قيل انه طرح للاسود فمزقت لحمه . وكسرت عظمه . وتجافت عن اكله . ولم يمت حتى امر الامير بقتله . فرمى قلبه برصاصة اعجلته الى منقلبه . والمرء مقتول بماقتل به . ثم جعل للنار طعمة . (٣)فذهب فقيد البغى والرأى المنئاد . (٤)ولم يترك فى فم انسان ولا فى فؤاد . حمداً ولا رحمة . وكان قتله فى ءاخر شعبان عام سبعة وعشرين وثلاثمائة والف ووقفت لبعض فضلاء الكتاب على كلام نصه الحمد لله انى نظمت ما لخصه علماء الفن فى دلالة الكسوف فى برج الاسد واختصرته فى أبيات من الرجز على ماذكره صاحب كفاية الطالب والعلامة ابن ابى الرجال وصاحب المغنى وهى

---

١ » القينة الامه المغنيه اوأعم وهوالمراد هنا ٢ القنينه الزجاجه ٣ الطعمه بالضم المأكله ٤ المنئاد المعوج

دلالة الكسوف فى برج الاسد * تنبى بفتنة وحرب فى البلد
مع وباء فى الوحوش الموذية * وتحدث الاوجاع فى البدية
ووضع اشراف وجراة العبيد * اعنى على ساداتها فيما تريد
ويحدث الشغب فى الاجناد * وثورة الغوغاء فى البلاد
ويكثر القطاع واللصوص * وذاك عند الحكما منصوص
ويكثر النساك أنى الفقرا * عند المشايخ يميلون الورى
وفى الجيوش تضعف الخدمات * ويتولى الخدمة الاحداث
لاكن هذا الحادث الذى عرض * يظهر فى الشرق وفيه يفترض
فى بلد الترك وأرمنية * وطوس والروم وأنطاكية
وفى ايطاليا ودمشق الشام * وأرض ياجوج على التمام
والحمد لله الذى قد صرفا * عن غربنا هذا الاذى ولطفا
وهو الذى انفرد بالتاثير * سبحانه من عالم خبير
يعز مولانا ويبقى للورى * تمكينه ونصره والظفرا

اه فى ثانى جمدى الثانية عام ثلاثة وعشرين وثلاثمائة والف ومع اعتقاد عدم التاثير . الا للطيف الخبير . وان صحائف الغيوب مطوية . عن افهام البرية . لا يدرك كنهها بالتنجيم . ولا بالحساب والتقويم . وما تدركه الافهام . بمقتضى الاحكام . انما هو صدفة أوهام . فقد وقع بالترك من الشرور والهلك . وجرأة المماليك على الملك . ما يفعم الدفاتر . ويعجز الناظم والناثر . وكفى اعتباراً بخلع عبد الحميد . والحروب التى كاد منها ركن تلك الامارة يميد . واما ما ذكره فى شان المغرب فهو استثناء ما

نفع . واحتراس ما دفع ولا رفع . فقد وقع فيه من الفتن ما وقع فى غيره من المعمور . والى الله عاقبة الامور .

الكاتب الوزير

(أبو عبد الله محمد بن عبد الكبير اللانجرى) الدمناتي

رحمه الله

نبيل المكانة. اليف ذكر وديانة. بلى من الزمان مره وحلوه. وعجمت(١) الايام عوده فأوسعت فى مجال السياسة خطوه . الى معرفة وأدب وخبرة فى فن الطرب . وتقلب فى أنواع الخدم . منذ شب الى ان اعتراه الهرم . وكانت اول خطوة خطاها . الى خطة تعاطاها . انه تعرض لباشا قصبة مراكشة القائد ابراهيم الاجراوى . وهو أفلس من ابن المذلق . (٢)وأبأس ممن تذلل للئام وتملق . فشكى اليه امحاله واستشهد لديه حاله فازال شكيته واستكتبه . ورءا من نجابته ما أعجبه ولم يزل متنعماً فى ظل حرمته متمتعاً بفضل نعمته . الى ان توفى فانتقل الى مراقبة بعض المؤن المخزنية . فاجتنى ما اجتنى من تلك الولاية الهنية ثم استكتب فى وزارة الحرب. واستقى من عين منافعها الجارية بالغرب(٣) ثم ولى على القصبة . واعطى فيها حكم التحجير والغلبة . فكان على، ولاى عبد الحفيظ ضدا . وابان كل واحد منهما للاخر مباينة وصدا . لما

---

١ »عجم العود عضه ليختبر صلابته ٢ ابن المذلق من عبد شمس لم يكن يجد بيت ليله ولا ابوه ولا اجداده فقيل افلس من ابن المذلق ٣ الغرب الدلو العظيمه وهو يتعلق باستقي

جرت به العادة من ان الباشا يكون على الخليفة عيناً واذنا . ولا يساعده فيما لم يعط فيه رخصة واذنا . وكان مولاى عبد الحفيظ يستشعر بعض التفويض من صنوه . فجاءه المذكور بما لم يعتقده وينوه . فترددت السعاة بينهما ووشت . وعبثت بافكارهما وشوشت . وجد مولاى عبد الحفيظ فى الاستعداد . لنيل الاستبداد . فاتخذ بطانة من جلاوة والرحامنة . وأظهرهم على بغيته الكامنة . واستخلص رجالا سواهم واصطنعهم حتى ملك هواهم . وأعانه على انتاج مخاطرته واقدامه . فى ادراك مرامه . ماكان بالايالة من الارتجاج . وسلوك سبيل الاعوجاج فصدعت تلك البطانة بمبايعته . واجتمعت على موازرته ومتابعته. فانقلب شموس(١) المترجم له انقيادا . وانقباضه انبساطاً ووداداً . خوفاً من تشديد . وطمعاً فى تقليد . وما أحسن قول ابن هشام اللخمى الاشبيلى

لا تنكروا فى المرء حب رياسة * حب الرياسة من طباع العالم
كل أبوه ءادم وطباعه * إرث الخلافة فى ابيه ءادم

وقول الاخر

نحن بنو الدنيا ومن طبعنا * نحب فيها المال والجاها

فاستوزره السلطان المذكور وأورد عن رأيه واصدر . واستكفاه فيما شاء ودبر . وما كان اختياره له عن خلوص طوية ولا صفاء نية . بل لانفراده فى تلك الجهة بمعرفة القواعد والعوائد المخزنية . ولولا ذلك لم يحمد له معه رواح ولا مقيل . فاشبه أبا مروان الذى فيه قيل

---

١ «شمس الفرس شموساً وشماساً منع ظهره»

أحب أبا مـروان ما دام تمـره * قراى وقول الصدق بالمرء أليق
فـوالله لو لا تمـره ما حبيته * ولا كان فى قلبى اليه تشوق

فساس الرعية . بسياسة غير وقتية . مع ضعف يقيل عثاره . وتغفل يوضح اعذاره . وميل مع الصبغة الاصلية . والجبلة(١) النفسية . ثم عثر على كتاب بخطه . وجهه لبعض رهطه . (٢)فيه ما يوذن بالتشغيب والرعى للعهد القريب . وانضم الى ذلك زوال السبب . الذى به تقرب وتحبب . لما تعددت أمثاله من الكتاب والاعـوان . وتساقطت من نخيل معرفتهم أصناف وألوان . فصار الكل كأبى مروان . فاقتضى الحال صرفه عن الوزارة الكبرى . وتكليفه بخدمة أخرى . فولى وزارة الشكاية . وطوى له فيها نكد ونكاية . فلم يكن يظفر من سلطانه بلقاء . ولا يصل من النفع الجارى الى استقاء . ولله در القائل

هـو الوزير ولا أزر يشد به * مثل العروض له بحر بلا ماء

ثم دلى بعد تجرع المرائر . الى امانة الصائر . فكان له لفظها وللحاجب معناها . ولم ينل منها الا ما أكمد نفسه وعناها . الى ان وهن عظمه واشتد سقمه . وعسر حسمه . وضعف عن الحركة جسمه . فطلب الاذن فى السفر الى مراكشة محل استقراره . ومحط ءاماله وأوطاره فلم يلبث بها الا قليلا . حتى صار للاموات نزيلا . فى عام ثمانية وعشرين وثلاثمائة والف وولى الوزارة بعده القائد الانجد . الوزير الامجد . أبو محمد المدنى المزوارى وكان عاملا مجرداً عن الزائد . مصدراً لاداء المغارم

١» الجبله بكسر الجيم والباء وتشديد اللام الطبيعه ٢ الرهط قوم الرجل وقبيلته

والعوائد . ذا سعة ومدنية . وشوكة وعصبية . وراحة بالبر ممدودة ونية بالخير معقودة . مع جمال خلق وأخلاق . وحشمة واشفاق وتمسك بطاعة المخزن الشريف . واقدام فى خدمته على المهالك . فى المعامع والمعارك . كوقعة تازة وبلاد الريف . ولما رءا البيادق تفرزنت والوسائط تلونت . والاحوال استحالت وتغيرت . وأسباب الوثوب تيسرت . بعد ان نصح وحذر . وبين الحقائق وانذر . بايع لمولاى عبد الحفيظ فجعله وزير عسكره . ومعرض ءارائه وفكره . ولما وصل الى فاس ولاه الصدارة فرد الصدور للاعجاز . وجمع بين الحقيقة والمجاز وطؤطئت لهيبته الرءوس . ومضت له اويقات افراح كاسابيع العروس حظى فيها بوقوع بعض النوابغ فى انشوطة تدبيره . ومصاهرة السلطان والاقتران بكريمة وزيره . علم الله أنها دورة وقوف وايماضة (١) اطفاء وظهور يدل على الخفاء . ولما أشرفت شمس وزارته على الافول . (٢) وءاذن ضيفها بالقفول . قيض (٣) له قرين أعتق من رق البطالة بالكتابة وعنى بتتبع الفضلات كالذبابة . طالما تعلق باهداب الرؤساء فنفضوه وتشيع اليهم بعهد الشباب فرفضوه .

من معشر ما لهم علم ولاشرف * كانه خدشة فى صفحة الرتب
بل * من معشر مالهم علم ولاشرف * كانه ضرطة فى لحية الزمن

فبسط يده لقبض الجبايات . والتصرف فى العزل والولايات . وفصل قضايا أهل الجرائم والجنايات . وأحله منه محل العقد من النحور

---

١) ايماضه لمعه خفيفه ٢ الافول المغيب ٣ قيض سبب له من حيث لايحتسب

وٰاغتبط به حتى قيل انه مسحور . فشمخ انفه . وتنكر عرفه . وافتتن بوصل الدنيا فانقطع عدله(١)وصرفه . وعمي عن عمل الاخرة قلبه وطرفه وغله الحرص والحسد . بحبل من مسد . (٢)فلو قدر لنهب رمح السماك (٣)واحتل بيت الكاتب(٤) وسلب عصا الجوزاء(٥)وسدطريق العارض(٦)الساكب . وأظهر من الظلم ما كان العجز يخفيه . وما أحسن ما قيل فيه .

باى شيء شئت أن تحمدا * بشرف أو رونق أو ندا
أبوك من تعلمه حائك * يروم من حمقه قبض الصدا
ملوث اللحية في طبعه * ميل الى الخسة مثل الحدا
ووجهك المعوج لا يشتهى * الا لتقويم نعال العدا
وكفك المقبوض لا يرتجى * أن يرى مبسوطاً لاهل الجدا
وأنت عن غيك لا ترعوى * ولا ترى الفضل لمن أرشدا
ياعقرب الريح أما تستحى * أن صرت فى أهل اللحى مقعدا
أقدمك الشؤم على خطة * قد كنت منها زمناً مبعدا
تستجلب الفلس بفلس ولا * ترد عنك الجمع والمفردا

وجرى فى الرسائل المخزنية على طريقة . فى الهذيان عريقة . عربدفيها ما شاء . على أهل الانشاء . الى دعوى عريضة . وءاراء مهيضة .(٧) وفهوم مريضة . تحرف الكلم عن مواضعه . وتطير الحق من مواقعه وغش تستمد منه اليهود . وخيانة فى الغيبة والشهود . وطلعة بالخزى

١ العدل والصرف الفريضه والنافله وبالعكس ٢ من مسد من ليف ٣ اسماك الرامح والاعزل نجمان نيران ٤ الكاتب نجم شرفه في ملازمه بيته ٥ الجوزاء برج في السماء ٦ العارض السحاب المعترض في الافق ٧ مهيضة كسيرة .

مخلقة . وبالشؤم مطوقة . ما واجهت شرفاً عاليا . ولا نادياً حاليا الا أدبر سعده . وأقبل نحسه ونكده . ودرست ربوعه . ويبست ضروعه . وتفرقت أصوله وفروعه . أما ازدراء الكتبة . والانحاء عليهم بسوء المعتبة . وغمز الوزير على من هفا . وتحريضه اذا عفا . فهى أدنى فعاله . وأيسر أعماله . واستدرج حتى شارك الوزير . فى لقاء الامير .

اذا ما أراد الله اهلاك نملة * سمت بجناحيها الى الجو تصعد

ثم سرى فى أعضاء الملك داؤه . فقل صديقه وكثرت أعداؤه . الى أن ءان لحاله أن يتحول . فزين وسول . ما أدخل عليه الجازم . من الزام ما ليس بلازم . وتضعيف الوظائف والمغارم . على قبيلة الشراردة فاصبحت عن الطاعة شاردة . وامتنعت من أن توخذ غنيمة باردة وزادها نفوراً واعراضا . أن الموجهين اليها . برسم الاناخة عليها . أصابوا منها محارم واعراضا . فكانت الفاتحة لباب الثورة بعد سده . ولم يثنها عما أجمعت عليه من شأنها . ما نزل بساحتها من عسكر المخزن وجنده وجالدت جلاد مستقتل . وصبرت صبر جليد متبتل . ثم اقتدى بها غيرها من الاعراب والبرابر . وتذكروا عهدهم القديم وفعلهم الغابر وخيموا بوادى فاس بعد أن أنزلوا بمكناسة الزيتون . أنواع الشرور والفتون . وبايعوا مولاى الزين بن مولانا الحسن المقدس بيعة نصبوها لبقاء البغى عمادا . واتخذوها لسيف الهرج نجادا . وقطعوا عن فاس الميرة والمرافق . وقام لهم سوق ببضائع الجهل نافق . ودار الخوف

بفاس الجديد دورة السوار . ودافع الجيش حتى التجا الى الاسـوار
واستجاش المخزن قبيلة الحياينة وغيرها بدفع المئون . وقضاء الشئون
فلم يسروا نصحا . ولا أظهـروا فى تلك المضايق فتحا . اذ كانت
صدورهم بالبغضاء مشحونة . وأسنة أحقادهم مسنونة . لما قرب عهدهم
به من المطالبة الشديدة . بالاموال العديدة . وتولى الوزير رياسة الجيش
المقاتل . فلم يرجع بطائل . بل هزموه وقتلوا فرسه . ونجى بعدما أوشك
الحمام ان يفترسه . ووجه المخزن بعض الشرفاء الامرانيين وبعض كبراء
خدامه . ليسعوا عند أولائك العصاة . فى عقد الصلح وابرامه
فجردوا من الثياب . وقنعوا من الغنيمة بالاياب . وفى هذه الازمة(١)
التى ما أوهت (٢) من مولاى عبد الحفيظ عزمه ولا حلت حزمه أوقع
بعبد الرحمان المعروف بولد الحمراوية . فقتله ضربا . وجعله
للاسود نهبا . وكان قبض عليه لكلام نسب اليه . فكتب من السجن
كتاباً لبنى مطير . بالتحريض والتثبيت على فعلهم الخطير . وبان
السلطان وهى زنده . وضعف جنده . وبانه ينبغى لاميرهم ان يتقدم
ويعجل . وجعل الكتاب فى مقبض منجل . فظهر على ذلك الكتاب
وكان سبباً لختم كتاب . أجله الذى لم ينجه منه متاب . وكان من
شياطين الانس . وءافة من ءافات الجنس . حديداً لسانه . جريئاً
جنانه . لاتومن غوائله . ولاتحصى فعائله . له فى السحر يد طائلة
وفى الخداع والمكر فكرة جائلة . وكان قد صحب أبا حمارة . قبل

١» الازمة الشدة ٢ اوهت اضعفت

ان يدعى الامارة • واكتسب ما اكتسب من حيله • وجرى فى عمله على عمله • فبسبب ذلك وجه اليه لما اشتدساعده • وتعدد وازره على الفساد ومساعده • وامر بان يجد فى احتياله • حتى يتمكن من اغتياله • (١) ووعد الولاية السمية • والعطية السنية • ان حصل تلك المزية • فتدرج حتى أمن بأسه • وصار يحلق رأسه • ويكتب كتبه ويؤيد كذبه • ويجنح لهواه • ويحتج لدعواه • وينصحه ليغره • وينفعه ليضره • ولما لم يتهيأ له فيه غرض وخشى من تلف جوهره فى طلب ذلك العرض • اذ وجده فى درع من الحذر مسرد • (٢) محترساً فيما أصدر وأورد • وما ذا يحصل مبرد من مبرد • ورءا أهل بيعته من بطشه رهبانا • والجواسيس لنار مدافعه قربانا • (٣) سئم (٤) القرار ورئم (٥) الفرار • ورجع الى حضرة السلطان مخفقا • (٦) وبشرح أحوال الفتان متنفقا • واعتذر فعذر • ودخل الكنف (٧) الرحيب فما طرد ولا حذر • واستكتب بالداخلية رعياً لجرأته • فى ذهابه وجيئته • فجعل يضرب (٨) بين الوزراء • ويسلك لديهم سبيل التحذير والاغراء • حتى كاد ينشأ بينهم الخصام • وتئول عروة ائتلافهم للانفصام •

كان المنايا والزمان تعاهدا * تحيله للقطع بين ذوى الود

فقبض بسبب تلك الجريرة • (٩) ووجه الى سجن الجزيرة • بمرسى الصويرة • فهرب من حبسه • وتوصل للشيخ ماء العينين ببهتانه ولبسه

«١» اغتاله اخذه من حيث لم يدر ٢ مسرد «متداخله حلقه بعضها فى بعض ٣ القربان بضم القاف ما تقرب به الى المعبود ٤ سئم مل ٥ رئم احب ٦ مخفقا خائباً ٧ الكنف الجانب ٨ يضرب يفسد «٩» الجريرة الجنايه

فشفع فيه فسرح . وطلب الكتابة بالمدلية فمنعه وصفه المجرح . ولما صرحت القبائل الحوزية . بالبيعة الحفيظية . تقرب الى المخزن برباط الفتح . وأظهر لديه الحزم والنصح . وزعم انه يرد الشاوية الى الطاعة كفيل . ان مد بجيش حفيل . فاقتضى الحال تلبية ندائه . وصرف ظن وفائه عن تقية اعتدائه . وقيل انه وعد تولية الصدارة . اذا نجح ما دبره وأدّره . فلما فصل بالجنود وتقدم أمامهم . الى حيث قادزمامهم أبرم مع قبيله ما أبرم من الاستعداد لتبييتهم . والاجتماع لتشتيتهم (١) فظهر لكبراء الجنود منه الغدر . والسعى فى ايرادهم مورد حذيفة (٢) ابن بدر . باطلاق مكحلته ليلا ليجلب اليهم صوتها رجلا وخيلا .

لا تامنن من الموتور بائقة * فما نساء(٣)مدى الايام أنساه

فكان أولئك القوم . كانوا عن جانبه فى نوم ؛ فلم ينقلوا اليه قدما . وتركوه يعض على يديه ندما . ويقول حاله حين اشتدت أوحاله . لاهنك(٤)انقيت. ولاماءك أبقيت. فقبض عليه الكبراء وقوضوا(٥)الاخبية. وتخلصوا من تلك البلية . ورجعوا الى الرباط مستبشرين بخيبة مرامه. مشيرين باعدامه فعف المخزن عن سفك دمه . وأمر بسجنه وتقييد قدمه

كانما السجن له عاشق * تسعى له الايام فى وصله

ومن يلج باباً على رغبة * أتعب من يرغب فى فصله

---

٢ ، تبيتهم الايقاع بهم ليلا ٢ حذيفه بن بدر قتله عنترة العبسى واصحابه وكان مختفياً فدل عليه صوت فرسه الحنفاء وفيه يقول الشاعر

كما جرت الحنفاء حتف حذيفه * وكان يراها عدة للشدائد

٣ ، النساء بفتح النون والمد التاخير ٤ لاهنك انقيت الخ مثل من امثال العرب كقولهم حرم الصيد والحباله ٥ قوضوا نقضوا

ولبث فى السجن الى ان تمت بيعة مولاى عبد الحفيظ فاطلقه . فلم يدع خوضه فى الباطل حتى أغرقه . ثم كتب الثائرون الى مولاى عبد الحفيظ بالتهديد . والتوعد باحتلال فاس الجديد . فايقن بانهم يفعلون مايقولون . وبان لهم قوة بها يستطيلون ويصولون . فاضطر الى الدفاع عن الحضرة العلية . بالاستعانة بجنود الدولة الفرنسوية فلما حامت صقورها وعقبانها ، ولفحت نيرانها ، أجفل البرابر الى الجبال . وازداد أهل السهول بازمة الضغط والوبال (واذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له ومالهم من دونه من وال ، وفتحت مكناسة و كنس خوفها وباسها ووثق بالعفو والصفح ناسها ، فأسفرت هذه الواقعة عن انزال الوزير من مقام التصدير . ونجاته من التعزير . بلطف العزيز القدير . و كان مولاى عبد الحفيظ نمى سوء التدبير اليه ، وعزم على القبض عليه وندب لانفاذ عزمه ، من وثق بنجدته وحزمه ؛ و كادت ان تكون فتنة يصعب كشفها . وبلية يتعب صرفها . لو لا ان الدولة الفرنسوية وجهت اليه عنايتها . فبسطت عليه حمايتها . فانفلت من الشبكة . وسكن غضب السلطان فاذن له فى الحركة . فسافر الى مراكشة وابقى على عزه فى عمالته . وأريح من همز ذلك الشيطان وأمالته . وفديت حرمته بمن على هتكها حرص وما احترس . وبجبهة العير (١) يفدى حافر الفرس فاصبح الكاتب بعد انتقاء المآكل والمشارب . واقتناء الجوارى والمراكب يتجرع فى الوثاق علقما . ويركب فى السجن ادهما . ثم سرح من اعتقاله

---

(١) العير الحمار

بعد اخذ جزء من حليه وماله . و كتب مولاى عبد الحفيظ بعد هذه الواقعة بما نصه وبعد فلا يخفى عن جمهور كم ما قدره الله من هذه الواقعة التى لم تكن فى حساب . والفتنة التى ولدتها الايام عن استعجاب ، بسبب اجتراء البرابر على اظهار طبيعتهم الكامنة . وتوريطهم لاتباعهم من الفساد الذين كانت قراهم ءامنة . حتى بلغت بهم مجاهرة البغى الى ما صعب عليهم ان يمضغوه . وسقوا بها نفوسهم ما لم يقدروا أن يتسوغوه . وجروا بها فى مزالق الطغيان الى امد لم يبلغوه . وعم ضرر اغترارهم ضعفاء العقول . وظنوا ان فريقهم على اولائك المغرورين يصول . فصوروا بمدينة مكناس صورة المحال . وراموا ان يجعلوه مركزاً لتشكل الاحوال ، وترقبوا فى مضايقة هذه المدينة السعيدة ما لم يخطر ببال من غير ان يحفظوا للمنصب حرمة . ولا راعوا للجوار ذمة . ولا خشوا انقلاب الفضيحة عليهم بذمة وانما قصدهم افساد النظام . وسريرتهم استباحة الحرام . واضرار المسلمين والاسلام ، واحياء عادتهم التى كانت فى القديم مستمرة لكونهم بعد اسلامهم الاول ارتدوا اثنتى عشرة مرة وجميع الناس الذين كنا نظن بهم اعانة واصراخا . ونعتقد ان لهم فى مواطن النصرة مقرا ومناخا . ما منهم الا من ادخل رأسه فى قشره ولم يهتم بشىء دون أمره . بعد ما تطلعنا الهداية من كثير من الاحزاب وقلنا عند الشدائد يظهر النصحاء وذوو الالباب . وترقبنا من جهات الحوز محالاً تقوم بواجب الدفاع . وانصارا لا تلتجىء الى غيرها فى حروب القراع . ومر على هذه الحالة أكثر من تسعين يوماً والحصار شديد

— —

والترقب للنجدات غير مفيد . فتيقنا حينئذ انه لا حياة لمن ينادى ولا صار الناس الا مرتقبين النوائب جمعاً وفرادى . واشتد الامر فى الدفاع عن الكليات الخمس من اعراض واموال . وعقول ونفوس وملة كاد ان يعمها الهلاك والوبال . ومن جملته انعمنا على أهل الفساد بعدد من المال عديد لكى يتجملوا على نفوسهم ويرفعوا اذايتهم عن القريب والبعيد على ان هؤلاء البرابر المتوحشة لم يصدق لهم التمسك بدين . ولا انخرطوا من اول الزمان فى نظام المهتدين . وقد بلغ لعلمنا الشريف ما يتفوه به بعض الثرثارين . الذين يدعون التفقه بين الجدرات والاساطين . من تهويل أمر الاستعانة . وحمل صورتها على غير وجه الصيانة . ولو كان للمتفوه بذلك علم مطبق على أصوله وملكة يجمع فيها بين مدارك الفقه وفصوله . او كان له اطلاع على السير وواقع الازمان اوشم رائحة التصرف فى علل المصالح ووجوه التعديل بينها والرجحان . لعلم ان لكل حكم علة . وعرف التمييز بين مواضع الاباحة . ومواضع الزلة ولا كن القصور عن جهالة . لم تصلح لصاحبه حالة . بل يرى نفسه شيئاً والله جعله حثالة . فالمتحقق فى حالة هؤلاء البرابر لا يرى الاستعانة . بالغير فى حقهم محظورة اذ البرابر كاسنان المشط فى مخالفة الشرع التى هى افظع صورة . فالاستعانة عليهم ليست الا لاستنقاذ حرمات الله . وهذا لا يوجد فى الشريعة عنه ناه ، وقد استجار أبو بكر رضى الله عنه بابن الدغنة فالاستعانة المنهى عنها انما هى حين يكون الانسان طالبا مع ان الذى فى نصوص علمائنا قاطبة جواز الاستعانة بهم للطالب فى ضرب

المنجنيق وصنعته ونحو ذلك من الامور . والمنصف من أهل الدراية
لا يلتبس عليه الرشد من الغرور وبالجملة فما تركنا باباً لارشاد هؤلاء
الخوارج الا دخلناها . ولا معالجة لعلتهم الخبيثة الا فعلناها . والدهر
مع هذا كله يعظهم بلسان فصيح . ويسترعى عليهم استرعاء نصيح
ويكذب قول شق منهم وسطيح . فلم يزدهم ذلك الا عتواً وفسادا
لامر كان عند مصرف الاقدار مرادا . وطالما جاريناهم مجاراة امهال
وتاجيل . وعاملناهم معاملة بنى ءادم مع كونهم ليسوا من ذلك القبيل
ورضينا من اصلاحهم بانكفاف الاذى وبصرناهم مراراً فى حفظ
ابصارهم عن القذى . لان حقائق الاشياء لا يعرفها الا من علم مبلغ
حدودها . ولا يتدبرها الا من عرف مواقع اقدارها واحكام عقودها
ولا كنهم مع هذا كله جاهلون . وما دروا ان لله فيهم علم غيب وهم اليه
صائرون . الى ان تحقق لهم بالعيان ما كانوا يسعون فيه بسوء تدبيرهم
وعاجلهم بنقمته الزاحفة لتدميرهم . فصدقوا حينئذ قول الاحنف فى
أمثالهم الاشرار . ان أسرع الناس الى الفتنة أقلهم حياءً من الفرار
فجرفتهم جنود القوة المرتجلة التى استبطؤوها . وشردتهم عن كل ناحية
وطئوها . وأشهدتهم جزاء عقيدتهم الفاسدة ، واعصفت رياحها على
نتائجهم الكاسدة . فانقلبوا بخزية لاحقة بهم . واصبح شيطانهم يتبرأ
منهم بعد اغوائهم . ووصل ولاة أمرنا الشريف الى مدينة مكناس
فدخلوها دخول نصرة وتطهير وايناس ، وحل كل واحد مركزه حلولا
موطدا . والقت هيئتهم المنظمة من كان هناك جسدا . وسرى تاثير

التمهيد فى سائر جهاتها . وغصت أهل الخيانة بنكباتها . و كذلك ما عداها من النواحى . فكلها أصبح النائم فيها منتبهاً والساكر صاحى ولله سبحانه فى ابراز الحق مظاهر متنوعة . فصولة كل باطل عندظهور انتقامه منقطعة . وفى الحديث ان الله لا ينظر الى صوركم ولا الى أعمالكم وانما ينظر الى قلوبكم ونياتكم وهو سبحانه ولى التدبير . وعلى كل شىء قدير . واعلمنا كم بهذا لتعرفوا ان لله فى طى قدرته نعماً لا تحصى . وفى ضمن ارادته اسرارا لا تستقصى . وتاخذوا حظكم من السرور وفرح الانتصار ، وتحمدوه على الطاف خفية لا يشملها انحصار . وتعتبروا فى افعاله المبنية على المصالح . وتطمئنوا بجميل صنعه الذى يتدبره كل ذى عقل راجح . ويحذر بعضكم بعضاً من الاصغاء لكل ارجاف ، ويلزم كل واحد ما يعنيه من غير اعتساف . فان الطريق لمن قصد السلامة واضحه والسريرة اذا لم تتطهر تكون لصاحبها فاضحة . ومن اقتصر على ما يعنيه . لم يقع فيما يعنيه . ونسئله سبحانه ان يديم حفظه علينا وعلى جميع المسلمين . وان يوفقنا واياكم الى مزيد الاستسلام وحسن اليقين وان يجرينا من سعادته ونصره على ما عودنا . ويجعل فيما يرضيه اعمالنا ومقصدنا . آمين ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم والسلام فى ١٢ جمدى الثانية عام ١٣٢٩

وحسنت الاحوال بعدزوال تلك الاهوال فالوى الناس الى خضراء الدمن ومكثوا فى هدنة (١) على دخن . وأمن من تقلبات الزمن . ولله در القائل

---

١) هدنة على دخن محركة اى سكون لعلة

أحسنت ظنك بالايام اذحسنت * ولم تخف سوء ما ياتى به القدر
وسالمتك الليالى فاغتررت بها * وعند صفو الليالى يحدث الكدر

وذهب بعضهم فى اللهو والبطالة كل مذهب . وركب فى ميدان(١) خلاعته الكميت والاصهب . وتواخوا على الفحشاء وبيس ذلك الاخاء وسخوا ولاكن فيما يحرم فيه السخاء . وربما أفسد النفوس الرخاء وصاروا فى يوم الجمعة كما كان أهل الاندلس يوم السبت . يفعلون فعائل أصحاب الطاغوت والجبت . (٢)من البروز الى خارج المدينة . باطعمة وأشربة وزينة . ورفع الاصوات بالمواليات والازجال واختلاط النساء بالرجال . متعطرات متبرجات . كانهن بكل ناظر متزوجات وشكاية غرام . واستقضاء مرام من حرام . ومعاطاة الكؤس على المقابر . كانما أعيد لهم عصر الجاهلية الغابر ، وغير ذلك مما لم تحمد عواقبه . وناحت به على حق المروءة والانسانية نوادبه وعمت مصائبه ونوائبه . كانما أبيح لكل منهم فعل ما يحبه ويهواه . وارضاء نفسه باسخاط من خلقه وسواه . ولا ناهى عن معصية الله ولا آمر بتقواه . فالعاقل مشتغل بنفسه عن ابناء جنسه . كان لم ير من الرجال سواه . والعامل حسبه لزوم المحكمة . وانصاف من شكى اليه بظلامة : ولاعليه فيمن شرب عقارا وعصى الله جهارا ؛ ودخل فى حيز الانعام . وأطرح بين الخاص والعام مروءة ووقارا : الا ان يجنى على أحد . فينصف منه ولا يحد . ويوخذ حق المخلوق ويترك حق الخالق الصمد . كان الحدود نسخت أحكامها

---

١ » الخلاعه الانهماك فى الاهو ٢ الطاغوت اللات والعزى والكاهن والشيطان وكل راس ضلال والجبت بالكسر الصنم والكاهن

وفسخ نظامه ؛ والعالم بما ينشأ عن تلك الفعائل . من العقاب الهائل يضيق صدره ولا ينطلق لسانه . فيظن من سكوته عن تقبيح المنكر استحسانه . وهو معذور . فى اتقاء المحذور . ولا كنه منحط الرتبة قصير الوثبة . عمن كانوا لا يخافون فى رعى الدين ؛ ونهى المتعدين . سلب الاموال وضرب الرقاب . ويتدبرون قوله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا ان الله شديد العقاب . ولا يداهنون ولا يغفلون . عن قوله عز وجل كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبيس ما كانوا يفعلون . ولم يزل اولائك الشباب . يلجون من الشهوات كل باب . الى ان بلغت المهلة مداها . فنبهتهم صيحة طبق المعمور صداها فبينما الناس فى عيش مريع . (١)وابتهاج بفصل الربيع . اذ تسبب عسكر التنظيم . فى حادث عظيم . أربى على ما تقدمه من الحوادث : واستثقله الجاد واستخف به العابث .

أمور يضحك السفهاء منها * ويبكى من عواقبها الحليم

وكان ذلك فى يوم الاربعاء الثامن والعشرين من ربيع الثانى عام ثلاثين وثلاثمائة والف وخلاصته ان مولاى عبد الحفيظ بعد ان أجلس الامين الوزير . الذكى الشهير . الثابت القدم . القديم الخدم . الذى بحسن رأيه وسياسته تقدم ؛ بقية اكفاء الصدارة السنية ؛ واحد اخصاء الجلالة الحسنية : الشهم العبقرى (٢)أبا عبد الله المقرى على منصة وزارته بعد ايابه من سفارته : واشتد بالاعانة الفرنسوية عضده . وامتدت بعد

١»مريع خصيب ٢ العبقري السيد

الكف يده . عزم على السفر للرباط لسياسة ارتضاها ؛ وفسحة اقتضاها
فخوطب هذا العسكر بشروط لم يكن مسوغ لاهمالها . ولا محيد عن
أعمالها . فدبت فيهم حمية . ونهضوا نهضة قوية . ضيعت أدبهم . وأججت
غضبهم . ففتكوا بمن خاطبهم بذلك التقرير ؛ وتحزب منهم جم عفير
وتوجهوا لدار المخزن متشكين بما نابهم . وتقدموا بين يدى السلطان
ليسمع خطابهم . فاحالهم على وزيره . ليهدئ روعهم بلطائف تدبيره
فحضروا لديه . وصوبوا أسلحتهم النارية اليه . وواجهوا من حضر
بالقول القبيح ، وهددوهم بالكناية والتصريح . فخاطبهم الوزير بالين عبارة
وأشار عليهم بانفع اشارة ، وامرهم بالاحترام . بمولاى عبدالله جد الملوك
الكرام : ريثما تتأمل شكواهم . وتفصل دعواهم . وحذرهم من التعرض
لما لا يطاق ، والولوج فيما يضيق به النطاق ، فلم يدخل لهم كلامه سمعا
ولا اظهر فيهم نفعا . لما يريده الله من انفاذ حكمه . الذى لا سبيل الى محو
رسمه . فنكصوا على أعقابهم . وخلعوا طاعة المخزن عن رقابهم . ولجوا
فى طغيانهم . وخرجوا عن سنن رؤسائهم وأعيانهم ؛ ودخلوا خزين
القرطوس فاخذوا منه ما شاؤا . ورجعوا من حيث جاؤ : وقتلوا عدداً
من ضباطهم . واتكلو من القوة على ما تحت آباطهم ؛ ومدوا يد النهب
والانتزاع . لما وجدوه من الاثاث والمتاع . ودرجت غربان الشر من
وكونها . وهبت ريح الهرج بعد سكونها . وجادت السماء بالقطر الوابل
والارض بالقطر(١) والقنابل . ونهب بنك القطانين والصاكة والملاح

١» القطر بالكسر الرصاص

ونادى شيطان الفتنة بحى على الجياح ، وقتل عدد من اليهود وافتضت
ابكارهم وخربت قصورهم وديارهم . وانحشروا الى مشور ابى الخصيصات
وقد أحاط بهم الفقر سياجه . وسد عليهم الذعر رتاجه . وأصبحت
الحرب فى يوم الخميس مكشرة (١) عن نابها . وذيئاب الاطماع فاغرة (٢)
لافواهها . رافعة لاذنابها وتسرب رعاع (٣) القبائل : الى الابرج المخزنية
والمعاقل . فوجدوها أمنع من عقاب (٤) الجـو وأعز من الابلق . (٥)
مشحونة بالموت الاحمر والعذاب الازرق . وتعطلت الاسباب والمنافع
ورقصت القصور على أصوات المدافع . وأصيب بعض الاضرحة والجوامع
وطرف من الدور والصوامع : واشتد الخطب على أهل فاس الجديد
والعتيق وضاقت أنفسهم . واستوى ناطقهم وأخرسهم

واذا سرت ريح الهموم ترمدت * عين الفهوم وضلت الآراء
فهى الفتون حبيبها أهل الفلا * وعدوها الحضار والكبراء

ولو لاحصول الالطاف ؛ وتدارك زهرة الخلاف بالاقتطاف . لاصبحت
الحرب جذعة تجدع انف الصفا : وتجر على رسم العافية ذيل العفا (٦)
ولنشبت (٧) مخالب العيث فى الاموال والاعراض : وفتكت بالحرمات
فتكة البراض : (٨) ولاكن الله سلم وعفا : وأظهر ضوء الهدنة من
مكامن الخفا : وفل غرب (٩) العسكر وعضد (١٠) شوكتهم ؛ وأضعف
مسكتهم (١١) وفرقهم بعد ما جمعهم ولو علم الله فيهم خيراً لاسمعهم؛ ثم

١» مكشرة مبدية ٢ فاغرة فاتحة ٣ الرعاع كسحاب الاحداث الطغام ٤ العقاب طائر معروف
٥» الابلق الفرد حصن للسموال بن عاديا بناه أبوه او سليمان عليه السلام بارض تيماء ٦ العفا
الامحاء والذهاب ٧ نشبت علقت والعيث الفساد ٨ البراض كـكتان بن قيس الكنانى احد فتاكهم
٩» الغرب الحد ١٠ العضد القطع ١١ المسكة بالضم ما يتمسك به

أمر أهل المدينتين بنصب اعلام السلم على العوالى : ليتميز المنافر من الموالى فما هرم النهار . حتى لم يبق سطح دار : الا نصب عليه بندار : ثم أمروا بدفع الاسلحة : ليتضح صدق الانقياد الى حكم المصلحة : فدفعوها سراعا ؛ ولم يبد أحد تلكئا (١) ولا نزاعا؛ ثم وقع البحث عن كل من اعتدى أو مد للنهب يدا ، فعثر على جماعة قيدتهم الاقدار ؛ عن التغيب والفرار فاتخذت بعرصة بنيس بالدوح مذبحة هائلة لمن حان حينه ؛ (٢) وحكم بالسجن المخلد على من تأخر عن هذه الدار بينه : وكان يرجى لهذا العسكر مستقبل زاهر ؛ وتقدم باهر : فاخرهم غدرهم ؛ وفعلهم الذى ضاق عنه عذرهم ؛ والامر لمن بيده النواصى ؛ واليه مرجع المطيع والعاصى : ثم وظف على أهل المدينتين مال قدره مائتا الف ريال : فكانت بلية عظيمة ومحنة جسيمة : بلغت منها القلوب الحناجر . من كل فقير وتاجر . لان أثر المال فى القلوب : أشد من أثر السلاح المسلوب . فذاك لحياة النفس والولد ؛ وهذا لحماية العرض والبلد . وعلة ذاك لا تزال عند كل واحد موجودة . وعلة هذا صارت الى الوازع مردودة . فاذا اجتمع الاثران على خلد ، (٣) لم يبق معهما صبر ولا جلد . على ان العصا خير من المكحلة والسيف . لمن لم يفتقر الى حراسة مال ولا دفع حيف . وانما حسبه القيام بامر المعاش والمعاد . فى كفاية من يذب عنه كل عاد ومعاد . وبينما المترئسون من أعيان الحومات . فى تلك الازمات . يجدون فى تجزىء ذلك المال وفرضه . ويستعدون لقبضه . إذ ورد الامر بترك طلبه ورفضه

١» تلكئا اعتلالا وابطاء ٢ حينه هلاكه ٣ الخلد القلب

نخف المصاب، وازيح بعض الاوصاب. وانتصب الحكام الفرنسويون بالادارات. وعمل الموظفون المخزنيون بما ابدوه من الاشارات ولم يقع ما كان يتوهم وسلمت الحرمات وهى المقدم الاهم. واطرحت النفوس اهتمامها بالاوهام وشغلها. ووضعت كل ذات حمل حملها، وما أحسن قول أبي الطيب

كل ما لم يكن من الصعب فى الا نفس سهل بها اذا هو كانا

ولهذه الاضطرابات والانقلابات السريعة. والفتن الملعون موقدها فى الشريعة. التى كادت تترك الناس فوضى. وتدعهم يخوضون بحر الهلاك خوضا. وتصير الدولة الشريفة مطمعاً لمن تقلب فى نعمتها وتغلب بخدمتها. واحوجت الى من يحجز بين الضعيف والقوى، ويميز بين الرشيد والغوى؛ بسطت الدولة الفرنسوية على المغرب حمايتها وسددت لرؤس الفتنة رمايتها فعادت الامور الى انتظامها والدولة الشريفة الى عزها واعظامها، وفى هذه الايام تغلب الاصبان. على ثغر العرائش وتطوان. وأصبح المغرب بعد هذه الوقائع فى طور جديد. وسير الى المصالح سديد ولم يكن لهذه البقعة ان تبقى فى عالم المدنية والاصلاح كالرقعة ولابد للمبتدى من ضربات ولطالب الرقى والظهور من عقبات امر اقتضته حكمة المبدئ المعيد الذى لاينقضى ملكه ولا يبيد المتصرف على التحقيق فى جميع العبيد. والله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد



«تنازل مولاى عبد الحفيظ عن الملك»

«ومبايعة أمير المومنين مولانا يوسف نصره الله»

قد تقدم ان مولاى عبد الحفيظ كان مصمماً على السفر للرباط ، مبديا له اتم ارتياح واغتباط . وكان سفره مصوراً على أحسن مثال ، ومقرراً بمزيد الطاعة والامتثال . لو لا ما ثبطه . (١)وحل ماربطه . من حدوث فتنة العسكر التى جهمت(٢)له وجه ملكه . وأخرجته من سعة الامر الى ضنكه . (٣)فارجا السفر الى ان يلتئم الجرح وينحسم البرح(٤) ولما صدر بفاس من أهل الجبل ماصدر من تسورهم عليها ليلا وانزالهم بحامية باب فتوح وبالا وويلا ومقاتلة العسكر المدافع وتهافتهم كالفراش على نار المكاحل والمدافع ودخولهم لحرم مولانا ادريس رضى الله عنه فى جراءة شبيب بن شبة (٥)وكف أيديهم وألسنتهم عما يوجب دفاعاً أوسبة وانهزامهم الى مخيمهم بعدموت معظمهم رآ الاخطار به مطيفة وساء ظنه بالزمان وأوجس(٦)منه خيفة فاقر سلطان العصر مولانا يوسف عنه خليفة وتوجهت للسفر عزائمه وانفصلت عن فمله جوازمه فخرج من فاس على جناح العجل والاحتياط الى ثغر الرباط فحله وقدمل مزاولة الحروب ومحاولة الكروب ولم يبق له ماهجم عليه وطراً اربا فى الملك ولا وطرا وفى اواخر شعبان عام ثلاثين وثلاثمائة والف تنازل عن كرسى الامارة وتخلى عما لها من زى وأمارة وأبحر لتناول راح الراحة والتنقل بعجائب

---

١ » ثبطه عوقه ٢ الجهم الكريه السمج ٣ الضنك الضيق ٤ البرح الشدة والشر ٥ شبيب بن شبة من زعماء الخوارج ٦ اوجس احس واضمر

السياحة وبويع سلطان العصر ويتيمة عقد المجادة والفخر طالع السعادة وبهجة الزمان مولانا يوسف بن مولانا الحسن بن سيدى محمد بن مولانا عبد الرحمان أمده الله بتأييده ونصره وأبقى شمس العز والتمكين وبدر الفتح المبين مشرقين من سماء قصره انتهى القسم الاول بحمد الله وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وعترته وحزبه



القسم الثاني في اخبار الكتاب وما صدر لجلهم من اعزاز واعتاب

الفقيه الكاتب أبو العلاء

(ادريس بن محمد العمروى)

رحمه الله

فريدة عقد الكتاب فيصل (١) الفصول الصعاب اديب تنفث الدر أقلامه ويخجل الزهر نظامه لم يبلغ كاتب بعده فى الصناعتين مده ولا نصيفه ولو اسهبت فى وصفه ما بلغت توصيفه كان يكثر الى النسخ التفاته ويستدرك به ما فاته كتب من الصحيح نسخا عديدة ومن كتب الادب جملة مفيدة اكتسب من اثمانها عقارا ومن معانيها خبرة واعتبارا استكتبه امير المومنين مولانا عبد الرحمان بعد نكبة جرت عليه ذيلها ومحنة محى صبح الامان ليلها اذ حكمت عليه العادة الجارية فى تلك الاجيال بعد وفاة ابيه باداء عشرين الف ريال وانتزعت منه اصول مغلة باغراء من كانت فى قلبه من الغل والحسد غلة ولما استكتبه اقتعد من العز اريكة (٢) رطب الشبيبة لين العريكة (٣) ثم كلف فى ايام الامير المقدس سيدى محمد بخارجية الاشغال من غير استقلال ثم عزل عنها وولیها شيخه الفقيه ابو زيد عبد الرحمان الشرفى نطاب بعد مدة ابداله واشير بصاحب الترجمة واستحسنت افعاله فاعيد الى عمله وترك شيخه فى رسيمه (٤) ورمله ولما استوزر ابو عمران موسى

---

(١) الفيصل الحاكم (٢) الاريكة كل ما يتكا عليه من سرير وغيره (٣) اين العريكة سلس الخلق (٤) الرسيم والرمل ضربان من السير

ابن احمد التي اليه زمام امرته واعتمد على رأيه وخبرته فاتسعت دائرة صولته وجنى ثمر الغنام من جنة دولته ولما توفى ذهب بحبل اصطياده وحال مراد الحق دون مراده وصرفت الاشغال العلية الى من رمقه السعد بعين ملية بعد ان نقل هو الى الكتابة بادارة الحجابة اختياراً منه لذلك وانحياشاً الى ولد الهالك ولكون الاشغال التى كان يعمر بها سوقه ويواصل فيها صبوحه(١) وغبوقه اسند الى الحاجب احمد بن موسى تدبيرها وجعل للكاتب تحريرها ثم خرج امرها عن مركز انفراده وجرى على غير اعتقاده فاصبح فى شكل غير شكله وما الدهر الا منجنون(٢) باهله ثم اعترته نزلة انحرف منها جسمه وطبعه وخوى من انس الحياة ربعه فى عام ستة وتسعين ومائتين والف ودفن بحرم الولى الصالح سيدى فاتح برباط الفتح ومن شعره الغض المعانى المزرى برنات الاغانى قوله فى تهنية امير المومنين المقدس سيدى محمد بابلاله(٣) مما ألم بساحة جلاله .

بشرى بها الدين الحنيفى ازدها * الله هيأها وانجز وعدها
منن من الرحمان عمت خلقه * من يستطيع من البرية عدها
ورد البشير بها فاحيا أنفساً * قد افرشت لثرى نعاله خدها
لو أن نفسى خولته كل ما * ملكت يدى ما عز ذلك عندها
أمبشرى رق الفؤاد ملكته * فتحكمن فيها ودونك حمدها
وشفيت أفئدة الورى من بعدما * أودت وقد بلغت بذلك جهدها
إيه(٤) فديتك كررنها اننى * أهوى أحاديث الشفاء وسردها

---

(١) الصبوح شرب الصباح والغبوق شرب العشى (٢) المنجنون الدولاب يستق عليه وهو المعبر عنه بالناعورة (٣) الابلال حسن الحال بعد المرض والهزال (٤) ايه بكسر الهمزة والهاء كلمة استزادة واستنطاق

لما ألم بذات مولانا الزكيـ * ـة ما أدام على المئاق (١) سهدها
ذهلت عقول ذوى النباهة والنهى * ودها من الخطب المؤرق ما دهـا
وتحيرت زهر النجوم وكيف لا * وبه حماه الله حلت سعدها
وتسهمت (٢) غرر الجياد تأسفاً * والبيض قد لزمت لذلك غمدها
أرواحنا قد فارقت أجسامنا * حتى أتى الفرج القريب فردها
فالان حين أتت بشائر برئه * ورأيت طلعته الكريمة بعدها
عادت مسرتنا ولا كن اقسمت * أن لا تفارقنا واعطت عهدها
اوما ترى ثغر الازاهر باسماً * والدوح قد ماست وهزت قدها
وازدان وجه الارض من فرح بها * والشمس أهدت للاباطح وقدها
والورق تشدوا فى الايك (٣) رواقصاً
بشفاء مولانا تردد وردها
ونوافح البطحاء تهدى طيبها * فرحاً وتنثر للبشارة عقدها
فاطرب لراحة من به ارتاح العلا * والمجد والايام نالت قصدها
ملك حباه الله ملكاً شامخاً * وكسته اسرار الجلالة بردها
وسما به الاسلام واتضحت له * سبل بئاراء ازالت اودها
كم مكرمات فى المعالى شادها * وعرى من التوفيق احكم شدها
ويد لاعداء الهدى طالت فما * يثنى عنان العزم حتى قدها
وكتائب عقدت بيمن يمينه * راياتها كان الملائك جندها
مولاى وجه الدين اصبح ناضراً * والملة السمحاء ارست وتدها

---

١ «المئاق ج موق طرف العين مما يلى الانف ٢ تسهمت عبست ٣ الايك ج أيك الشجر الملتف

بمحاسن أبديتها ومئاثر * أهديتها وقدحت حقا زندها
ما أنت يامولاى الا نعمة * الله جل على البسيطة مدها
لم ترتفع يوماً لعز راية * الا نشرت على جبينك بندها
ما اخلفتنا المزن وابل وكفها * الا كفانا جود كفك وحدها
ما ازمة(١) دهت العباد واعضلت * الاو كنت لدى الكريهة طودها
فليهن دولتك السعيدة مفخر * كبتت(٢) به فى كل حين ضدها
ورعية وجدت بعدلك فى الهنا * طيب المهاد فاخلصت لك ودها
قصرت عليك المكرمات فعطرت * بشذا خلالك غورها اونجدها
فاسلم وطل وانعم وصل فى امة * لم تلق بعد الله غيرك عضدها
والفتح والتاييد والالطف الخفى * تهدى لسدتك (٣) المنيفة وفدها
تتلى بحضرتك السعيدة دائماً * بشرى بها الدين الحنيفى ازدها

ومن اشعاره التى حسن موقعها . قوله فى مولدية ذهب مطلعها .

اذا لم يكن وصل فوعد بزورة * وان انتم لم تسمحوا فابعثوا الطيفا ٤
على انكم مذ غبتم هجر الكرى * فما نام طرفى بعدكم لا ولا اغفا
احبة قلبي هل تعود عهودنا * وهل تنظرن عينى المحصب والخيفا ٥
وهل اردن ماء العذيب(٦) وبارق * وتمنحنى بالمنحنى اسرتى عطفا
وهل بحمى الجرعاء والجزع احتمى * وانشق بالبطحاء من عالج عرفا
معاهد احبابي وملء محاجرى * سقاها الحيا الوسمى بالديمة الوطفا

١ «سنة ازمه بالفتح و كفرحه وملوله شديدة ق ٢ كبتت صرعت ٣ السدة بالضم الباب ٤ الطيف الخيال الطائف فى المنام ٥ المحصب موضع رمى الجمار بمنى والخيف ناحيه من منا ٦ العذيب كزبيد ماء واربعه مواضع وبارق موضع بالكوفه ٧ الوسمى مطر الربيع الاول

اردد ذكراها واهتف باسمها * لعلى بذكراها من الوجد ان اشفا
وهيهات لايشفى المحب من الاسا * سوى ان يرى عند الحمى ذلك الالفا
على م اصد النفس معتسفاً بها * وما لى ارجيها بعلى او سوفا
فهلا امتطيت العزم مطرحاً سوى * مراق تدنينى الى المورد الاصفى
وان شفاءى لو وجدت مساعداً * سماع حداة العيس(١) ترمى بها عسفا
الى طيبة تطوى المفاوز لا تنى * تبادر لا تخشى شتاءً ولا صيفا
الى روضة المختار احمد من به * تمهد ين الحق واتخذ الاكفا
نبى الهدى المبعوث للناس رحمة * ومن جعل المجد الضميم(٢) له رفقا
ومن لعباد الله قدجاء هادياً * فنالو به الزلفى وقد امنوا الخوفا
وبلغ للخلق الرسالة ناصحاً * فلله ما ابدى ولله ما اخفى
واعلا منار المسلمين بهديه * واعمل فيمن ضل عن سبله السيفا
واوضح دين الحق فاتصلت به * موارد من يسلك بها يامن الحتفا(٣)
وخص من المولى بكل كرامة * تجاوزت الاعداد والشبه والكيفا
به ختم الله النبيئين منة * وفضله من بينهم وله استصفا
وقدم للاسراء فهو امامهم * وقد جعلوا من خلفه كلهم صفا
وفى الحشر ياتى الرسل تحت لوائه * وقد عمهم من فضله الكنف الاوفى
به اظهر الله الجمال جميعه * واعطى لفرد الحسن يوسف النصفا
واخدمه جبريل فى حضرة بها * سقاه شراباً من مبرته صرفا
غداة تولى قاب قوسين(٤) اوادنى * وفى الموقف الاعلى له المجد قد زفا

١ العيس بالكسر الابل البيض يخالط بياضها شقرة ٢ الصميم الخالص ٣ الحتف الهلاك ٤ قاب قوسين اى قدر قوسين عربيتين

فنال مناه باجتباء ورفعة * وعاد قرير العين بالقرب والزلفى
وفى المولد الاسمى بدت معجزاته * خوارق عادات شفتنا بهاالشفا
كايوان كسرى اذ تداعى بناؤه * وما كان يخشى من وثاقته صرفا
وتنكيس اصنام ورجم مخاتل * يروم استراق السمع من جهله خطفا
وغارت عيون الفرس عند خمودما * لهم من وقود لم يكن ابداً يطفى
ومن قبل مبداه اتتنا بشائر * من الجن فى الاذان تقذفها قذفا
الى ان بدا انور الذى ملا الفضا * فلاشرق يخفى ما استتار ولاجوفا
كما انجاب عن شمس الهداية ليلها * فلما تزل تبدوا ولما يزل يخفى
وكم من كرامات وكم من علامة * له مع ترداد العصور به تلفى
فقل للذى يرتاد حصر صفاته * اردت محالا يا عديم الحجا كفا
لو اجتمع الاملاك والجن دفعة
كذا الانس ما استوفوا من اوصافه حرفا
اذا الله حلاه ونوه باسمه * فكيف يجيل الخلق فى وصفه طرفا
نبى الهدى المبرور دعوة خائف * يمد على بعد لمعروفك الكفا
غريب بارض الغرب اعيت اموره * وضاقت مساعيه فناداك واستكفا
يناديك والاوجال تضعف صوته * وحمل اكتساب الوزر قد اثقل الردفا
يروم نهوضاً ثم يعجزه الونا * ويغلب لايسطيع عن نفسه صرفا
فلب رسول الله صوت مؤمل * وأسدل على عوراته كرماً سجفا
وأول ابنك المنصور بالله عطفة * يحل بها فوق السماك ولاخوفا
ووال له سعداً وفتحاً مؤبداً * يسوق به للمعتدى الهلك والحتفا

فقد يارسول الله اعمل جهده * وما حاد عن نهج الرشاد بلى عفا
وقام لنصر الدين محتسباً به * يجدد ما استبلى ويوضح ما استعفا
واسهر في نيل المكارم طرفه * واعطى على الاصلاح مهجته وقفا
فساس وواسى ثم آسى بعدله * ولان لمن والا وقد جانب العسفا
وشاد بناءً ثابت الاس بالتقى * وساد وبالمعروف قد بسط الكفا
وجرد للاعداء ماضي عزمه * واسرج مرتاداً لنيل العلا طرفا
هو الحسن السامى لاعلى مثابة * له الحسن والاحسان حازهما وصفا
انله رضى يكسوه حلة مفخر * وعزاً منيعاً شامخاً يغلب الكيفا
الى ان يراه العالمون مجدداً * لسنتك الغراء ماح بها الظلفا (١)
حنانيك (٢) للبر العطوف الذى به * تبدا جبين العدل من بعد ما استخفا
حنانيك للفرع الكريم الذى زكى * وطابت مزاياه وبالعهد قد وفى
حنانيك للحبر الهمام فلم يزل * لحرق عداة الحق من جده يرفا
اعنه اعنه يا سلالة هاشم * ويا خير من والا ومن اكرم الضيفا
وكن ناصراً حزب الالاه بسيفه * وانزل على اعدائه الخزى والخسفا
ومثلك من حامى وواسى واننا * على ثقة ان يحرز الحب والعصفا (٣)
سلام على ذاك المقام مضمخ * باطيب طيب عرفه يملأ السوفا (٤)
وازكى صلاة من حمى القدس يزدهى
لها العرش والاملاك تستوعب الصحفا
وللآل والاصحاب اوفى تحية * ننال بها من ربنا العطف واللطفا

---

1 » الظلف الباطل ٢ حنانيك اى حنانا بعد حنان والحنان كسحاب الرحمه ٣ العصف بقل الزرع
٤ » السوف ج سوفه للارض

قالها فى ليلة مولد عام اربعة وتسعين ومائتين والف ومن شعره هذا التوشيح . الذى هو لفضله الحقيقى ترشيح .

ياحاديا يقطع السباسب(١) * ينشد طبعاً من النسيب(٢)
استدم السير فى الغياهب * لاتخش من حادث مهيب
سق المطايا تلق المزايا * واطو فيافى البعاد طى
حتى ترى النوق كالحنايا(٣) * وارم بها نحو ارض طى
نعم وحاذر وقع المنايا * ان جزت حول الحمى بحى
وارع هناك الغر العرائب * الصائدات القرم الاريب
بور الغنج(٤) والحواجب * تستعبد الاروع (٥) النجيب
عرب بتلك البطاح حلوا * دم المعنى لهم حلال
عن الخنا(٦) والخلاف جلوا * للسعد فى ربعهم مجال
وهجر مضناهم استحلوا * ولم يخن عهدهم بحال
حازوا منا الصب والرغائب * مذ جاوروا منزل الحبيب
وانشر حلى الوجد والغرائب * وانشد فؤاد الحب الغريب
وحى عنى ربى المصلى * والشعب والوادى الظليل
ونور سلع(٧) اذا تجلى * والبرق فى ضوئه كليل
هناك بين الربى تملا * تستنشق الشامى البليل
معاهد ذكرهن واجب * على المعنى البر اللبيب

١» السباسب ج سبسب المفازة او الارض المستوية البعيدة ٢ النسيب التشبيب بالمرأة فى الشعر ٣» الحنايا ج حنية القوس ٤ الغنج بالضم دل المرأة وغزلها ٥ الاروع من يعجبك بحسنه وجهارة منظره اوبشجاعته ج اروع وروع بالضم والاسم الروع ٦ الخنا الفحش ٧ سلع بالفتح جبل فى المدينة

ان بان طرف لها وحاجب * يقتاد قلبي بها وجيب (١)
وان رأيت المقام الاسعد * حزت الرضى من منى وسول
مقام خير الورى محمد * المصطفى الهاشمى الرسول
من بمزايا العلا تفرد * وغيره ما له وصول
لما تجلى تلك العجائب * فى حضرة السامع المجيب
نال بها منتهى الرغائب * وشاهد الحق من قريب
فكان ثم الفرد المنادى * وجبرئيل له خديم
خلف جبريل ثم زادا * لمقصد المجتبى الكليم
واستكمل القصد والمرادا * ففخره الطارف القديم
وهو فى الحشر خير عاقب * اذا ادلهم اليوم العصيب
تلوذ فيه به عصائب * عند اشتداد الحر المذيب
إذ يبلغ القلب للحناجر * الى علاه يلجا ويصمد (٢)
اول ذا الخلق والاواخر * كل ينادى الشفيع أحمد
تنصب للانبيا منابر * ثم يقوم المقام الاحمد
وكم تبدت لنا مناقب * يعجز عن عدها الخطيب
حين تدلت له الكواكب * بمولد ما لها مغيب
أتت بميلاده البشائر * بالسن الجن والبشر
قس (٣ سطيح ٤) سعدى تماضر (٥) * كل له عنده خبر
ينقله البدو للحواضر * حيث حوى فخره مضر

1 » الوجيب الخفقان ٢ يصمد يقصد ٣ قس بن سعادة الايادى بالضم بليغ حكيم ٤ سطيح كاهن بني ذيب وما كان فيه عظم سوى رأسه ٥ تماضر بالضم بنت عمر وبن الشريد والخنساء لقبها

نشأ فى أشرف المناسب * من كل فحل نام حسيب
يجاذب المجد كل جانب * فكل فخر له جنيب
مطلعه ابرك المطالع * نجم الهدى فيه قد طلع
وقبره اشرف المواضع * لتربه العرش قد خضع
شنف بامداحه المسامع * واتل المزايا التى جمع
ودم على ذكره وواظب * ان تكن الحاذق الاديب
بلفظه طيب المئادب * يغنى شذاه عن كل طيب
انقذنا من هوى المهالك * من بعد جيل بها هلك
واوضح السبل والمسالك * طوبى لعبد بها سلك
لولاه ما انجابت الحوالك * كلا ولا استجمع الفلك
وله نلجا من النوائب * اذا التحت(١)عودنا الصليب
فالجأ لمغناه غير هائب * وقل بلفظ الجانى الكئيب
ياسيد الانبياء طه * ياذا المقام السامى النزيه
مجدك فى الخلق لا يضاهى * وما له فى العلا شبيه
يامن تسامى فخراً وجاها * المشفع المرتضى الوجيه
يامن به ضاءت المواكب * وانخذلت دولة الصليب
ياخيرماش يخطوا وراكب * ياصاحب التاج والقضيب
عبدك بالغرب مد كفا * لنيلك الزاخر المديد
ودمعه يستهل وكفا * يرجوا الذى يامل العبيد

١» التحت قشرت

لو ساعد البخت جاء زحفا ٭ يبث شكواه بالوصيد(١)
فكن لعبد حاشاه ذائب ٭ ما بين ليث عدا وذيب
وذنبه اوهن المناكب ٭ والعفو من فضلكم قريب
واعطف على نجلك المفدى ٭ بالاهل والمال والبنين
بدر الصلاح الذى تبدى ٭ فى المنهج الواضح المبين
سار وللقصد ما تعدى ٭ بهديه المشرق الجبين
وقام فى الدين خير نائب ٭ ولعلا امركم منيب
وحاز فى الفضل سهم صائب ٭ ورأيه فى العدا مصيب
بسعيه شيد المعالى ٭ وبالتقى والهدى ارتفع
صنو الندا صادق المقال ٭ فمجده فى السما لمع
جيد رعاياه منه حالى ٭ باليمن والامن قد صدع
احلف بالله غير كاذب ٭ ولا مغالى بذا غريب
ما فى ملوك الزمان كاسب ٭ لفخره اوله نصيب
الحسن الهاشمى شهم ٭ ينميه للمصطفى هشام
فى راحتيه بحر خضم ٭ نال نداه حام وسام
وان بدا للشقاق نجم ٭ محاه من باسه الحسام
كم من مسىء اتاه تائب ٭ فوجد الصافح المثيب
وبائس ناوش المصائب ٭ بمده اكتال والجريب
فالغرب بالعدل منه رائق ٭ والسعد فى افقه رقى

---

(١) الوصيد الباب

ادواح خيراته بواسق ☆ سقاه منه الذى سق
والعلم فى راحتيه نافق ☆ يدعوا له الدهر بالبقا
مذهبه أحسن المذاهب ☆ ودهره الناعم الخصيب
به لدينا انهلت مواهب ☆ عند ذراه السهل الرحيب
اوقاته كلها سعود ☆ يحوطها اليمن والسعادة
ولمقاماته صعود ☆ تنلى بها الفاتحات عادة
بروض نصر لها رعود ☆ على العدا ترة معادة
يقود عند الوغا كتائب ☆ ينهد من وقعها الكثيب
فى كل قوم حام مضارب ☆ يستعذب الحتف كالضريب١
ليوث حرب تحت المغافر ☆ عودها فى العدا الظفر
من صادق الطعن وهو سافر ☆ تشبهه الاسد ان سفر
وساحب السيف فوق نافر ☆ يقول للقرن لا مفر
مشارق الارض والمغارب ☆ عادت لصولاته تنيب
والمارق الخارج المحارب ☆ بدم عتنونه خضيب
اعمل فى الصالحات جهده ☆ وكبت الزائغ المريد
ألهم فى المكرمات رشده ☆ وسار سير الرضى الرشيد
فاظهر الله ثم جنده ☆ ومنك يستوهب المزيد
فكن له الحافظ المراقب ☆ وقلدنه العضب الخشيب(٣)
سن له ارفع المراتب ☆ واحفظه فى القرب والمغيب

---

١) الضريب العسل الابيض ٢ الخشيب السيف المطبوع الصقيل

عطف عليه القلوب جمعا ☆ وكن له الناصر الحميم
وحام عنه دفعاً ونفعا ☆ وافتح له فتحك العميم
واكس المناوى ذلا ووضعا ☆ واوردنه الردى المليم
واحرس علاه من كل جانب ☆ واره صنعك العجيب
ام نداكم راج وراغب ☆ حاشا لعلياك ان يخيب
مولاى يهنيك ما تسنى ☆ لسعدك الفائز المتين
وابشر بنيل الذى تمنى ☆ من فضل مولاك كل حين
واسعد بعيد بكم يهنى ☆ وانعم بهذا العقد الثمين
روق من وصفكم مشارب ☆ فازدان منشوره الذهيب
عارض فى النظم وهو راهب ☆ مالابن سهل وابن الخطيب
ياأهل بيت النبي انتم ☆ لمدحتى البدء والختام
افلح كعبى ان قبلتم ☆ وما على من غلا ملام
طاب شذا مدحكم وطبتم ☆ عليكم منكم السلام
سلام ربى عليه دائب ☆ ما اشتاق مضنى الى الحبيب
وما له من آل وصاحب ☆ ماصاح فى الروض عندليب(١

وله يرثى الحاجب الوزير اباعمران موسى بن احمد رحمه الله

عش ماتشاء واكثرن اواقصد ☆ ماذى الحياة على الانام بسرمد
لابد من يوم ترد ودائع ☆ هيهات ليس بممكن ان تفتدى
هذى المنايا لاتغادر صالحاً ☆ كلا ولا ترثى لحبر سيدى

---

١) العندليب طائر يقال له الهزار يصوت الوانا ج عنادل

فتكاتها في العالمين شهيرة * بالقهر تعبث في العباد وتعتدي
لوكان يدفع بالعشائر مكرها * خلدت عصائب تستعز بأجند
اولو بحسن الفعل والقول السديـ * ـد بقي الوزير ولم يكن بموسد
لكنها الاعمار تطوى سرعة * كملاءة بأكف جلد أيد
والمرء تحسبه مقيماً وهو في * سفر يخلف فدفداً في فدفد(١)
اين البرامكة الكرام واين من * سادوا وجادوا بالمبرة واليد
اين ابن يحيى جعفر وابوه والـ * ـفضل بن سهل وابن طاهر من هدى
اين الوزير ابن الخطيب وابن زمـ * ـرك بعد وابن العميد المحتدي
اين ابن مقلة وابن ماهان الفتى * والفتح والمنصور ممدود اليد
أين الاوائل والاواخر كلهم * افناهم الجد المحتم لا الدد(٢)
ساروا كراماً ثم نتبع نهجهم * تالله ما احد بها بمخلد
ياعين جودي بالدموع فرذه * اوطانها لا تبخلي بل اسعدي
اوما نعى الناعون نبراس(٣) الملا * موسى الكريم البر نخبة احمد
اوما نعوا طود العلوم وبحرها * وجمال وجه الدهر والفخر الندي
اوما نعوا خلي ومالك مهجتي * واجل آمالي وغاية مقصدي
تباً(٤) لها من قالة كم غادرت * فينا اسى من حاسد متبلد
مرهت(٥) جفون الدهر من فقدانه * حزناً وكان بها مكان الاثمد(٦)
وعرت محياه الكئابة بعد ما * كانت به الدنيا ضياً كالاسعد
فليبكه الباكون طلق جفونهم * من لم يجد بالدمع ليس بجيد

---

١) الفدفد بالفتح الفلاة ٢ الدد اللهو واللعب ٣ النبراس بالكسر المصباح ٤ التب النقص والخسار
٥) مرهت كفرح خلت من الكحل اوفسدت لتركه ٦ الاثمد بالكسر حجر الكحل

وليبكه القرطاس والقلم الفصـ * ـيح وكل دوح فى العلامتأود
موسى بن احمد من لما اسسته * من صالح من للرشاد مسددى
من للديانة والصيانة والحنا * نة والعفاف والتقى والمسجد
من للضعيف وللكئيب وللغريـ * ـب وللقريب وللبعيد المجتدى
من للمفاخر والمئاثر والكبا * ئر والصغائر والامور اللبد
من للمهمة والملمة والصعا * ب المدلهمة والزمان الانكد
من للسياسة والرياسة والكيا * سة والنفاسة والعلا والسودد
نفسى تعزى واصبرى واستسلمى * لمراد مولاك المليك الاوحد
واذا قضى امراً بماضى حكمه * حق عليك لامره ان تسجدى
ما ثم الا ما اراد ومن ابى * فليتخذ نهجاً سوى اوبرد
لوكان خير فى الخلود لماجد * كانت لخير العالمين محمد
ولئن مضى فلقد بقت اخلاقه * تتلى ووارثه الزكى المولد
ماما ت من ترك الخليفة بعده * مثل النجيب البر الارضى احمد
كلا ولا ضاع امرؤ له علقة * ووسيلة فى ذا السبيل الاحمد
خدم الخلافة ناصحاً متبصراً * وقضى الزمان بطاعة وتهجد
فليهنه ما نال من رضوانه * وليهنه ما يرتجيه فى غد
وليهن انجالا قد انزلوا * من بره بمحل عز ممهد
لقاه مولاه الكريم مسرة * ومبرة فى ظل عيش ارغد
بجوار خير المرسلين وآله * متنعماً فيها باعلى مقعد
وصلاة ربى والملائكة الالى * جازت مزاياهم مناط الفرقد١

١» الفرقد النجم الذى يهتدي به

ما قال محزون على الافه * عش ماتشاء وا كثرن أو اقصد

وله تخميس القصيدة البكرية . فى مدح خير البرية . صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه وهو

غوث الورى اذا دهى معضل * خير الانام المصطفى المفضل
فالفضل منه وبه موصل * ما ارسل الرحمان او يرسل
من رحمة تصعد اوتنزل

فانظم رجاك فى حلى سلكه * واركب بحار الجود فى فلكه
فكل فضل صار فى ملكه * فى ملكوت(١) الله او ملكه
من كل مايختص اويشمل

وكل قدر قد سما حده * ولاح فى افق العلا بنده
وكل نور قد سرى جنده * الا وطه المصطفى عبده
نبيه مختاره المرسل

واصل مابين الورى وصلها * وزانها لما غدا أصلها
فهو لها نعم النهى واللها(٢) * واسطة فيها واصل لها
يعلم هذا كل من يعقل

ما خاب من اسعاده مرتجى * فلا تكن لغيره ملتجى
فذكره كم حل من مرتج(٣) * فلذ به فى كل ما ترتجى
فهو شفيع دائماً يقبل

وان خشيت الدهر من مدهش * يطرق وقت الصبح اوفى العشى

---

١ » الملكوت كرهبوت وترقوة العز والسلطان ٢ اللهى بالضم والفتح العطية او افضل العطايا واجزلها كاللهيه ٣ مرتج مغلق

فالهج بذكر المصطفى وانتش * ولذ به فى كل ماتختشى

فانه الملجأ والموئل

والجأ اليه سائلا رفده * مستصرخاً بجاهه مجده

ولا تؤمل للسوى بعده * وحط احمال الرجا عنده

فانه المأمن والمعقل

كم حالة بذكره انجبت * ودعوة بجاهه اوجبت

فاقصده ان نازلة ارعبت * وناده ان ازمة انشبت

اظفارها واستحكم المعضل

يامفرداً من غير مامشبه * عبدك يرجو الصفح عن ذنبه

منادياً باسمك فى كربه * ياأكرم الخلق على ربه

وخير من فيهم به يسئل

قد فاز من ناداك فى غمرة * ونال لطف الله فى حظوة(١)

ياسيد الاكوان من مرة * قد مسنى الكرب وكم مرة

فرجت كربا بعضه يذهل

فهمتى بك تطول السما * وحسن ظنى فى علاك سما

اطلق منى بالنداء فما * ولن ترى العجز منى فما

لشدة اقوى ولا احمل

فكن لعبد منشد منشىء * آوى لحصن مبدع مبدئ

وقد شكى الداء الى مبرئ * وانت باب الله اى امرئ

---

(١) الحظوة بالضم المكانة والحظ من الرزق

اتاه من غيرك لا يدخل

نادى بصوت المستجير الشجى * يا خير من لبابه التجى

انت غياث المرتجى الملتجى * عجل بادراك الذى ارتجى

وان توقفت فمن أسئل

آسرنى الذنب وسوء انقضا * وضاق مما قد اتيت الفضا

فجد بادراك المنى والرضى * فحيلتى ضاقت وصبرى انقضا

ولست ادرى ما الذى افعل

بك خطوب الدهر قد نافحت ١ * عنى وكانت قبل قد كافحت

فاصبحت سلما وقد صالحت * صلى عليك الله ما صافحت

زهر الروابى نسمة شمال

وما اتاكم ضارع فاحتمى * ونال من اسعادكم مغنما

وماسرى ريح الصبا وارتمى * مسلما مافاح عطر الحمى

فطاب منه الند والمندل

وما سرت نافحة بردت * غلة صب نومه شردت

وأصدرت حزناً اذا اوردت * والال والاصحاب ماغردت

ساجعة أملودها مخضل

ومن نثره ما كتبه عن امير المومنين مولانا الحسن قدسه الله لقضاة مراكش وبعد فقد بلغنا من اخبار متعاضدة . وطرق عن التحامل متباعدة . ان خطتى القضاء والافتاء صارت ملعبة ومتجرا . لا يعرف

١» نافحت خاصمت

اصحابها فيها سئامة ولاضجرا . وان الرشى فيها تقبض سرا وعلانية والاحكام تصدر بنية وبلا نية . قد عدل فيها عن منهاج العدل . من غير اكتراث بتانيب ولا عذل . والحقوق نزلت بمعرض الضياع . والمراتب المعظمة بهذه البقاع . كسراب بقاع (١) وان بعض القضاة حمله ما حمله الى التطاول للدعاوى البعيدة منه . واستجلاب القضايا المصروفة عنه وتوجيه اعوانه للاتيان بالخصماء من البلاد التى قضاتها لهم الاستقلال . ولم يصده عن الترامى لذلك ما لا يستقل به من الاثقال . مع العلم بان من صرفت عنه قضية . فقد صرفت عنه بلية . لو لم يكن الغرض الدنيوى الذى اغراه والشره الذى استحوذ عليه وأغواه . حتى ظهرت على القضاة امارات الغنى والرفاهية . ودهتهم من الميل للزخارف كل داهية . وتبختروا فى الحلل والنمارق . وذهلوا عن الاثر المأثور من ولى القضاء ولم يفتقر فهو سارق . كما بلغنا ان طائفة من العدول أذن لهم فى الشهادة افتياتاً من غير اعتبار الشروط التى شرطناها ولا وقوف مع الحدود التى بيناها وحددناها واتخذ منهم ومن الاعوان والوكلاء اشراك للطمع . وجسور بناها التهور والهلع . (٢) يمر عليها ما يلمز باجرة الخطاب وحق العلم . وتعد للاستتار بها حالتى الحرب والسلم . مع ان الله تعالى لا تخفى عليه خافية ومن أسر سريرة البسه الله رداءها والحق أبلج

ومهما تكن عند امرئ من خليقة * ولو خالها تخفى عن الناس تعلم

هذا مع انا بالغنا فى اختياركم لتطهير الصحيفة . وابعاد ساحة الشريعة عن

---

١ » البقاع الارض المستوية ٢ الهلع أفحش الجزع

الامور الشنيعة المخيفة . واختبرنا وخبرنا وانتقينا وابقينا ولا كن صدق الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم الناس كابل مائة لا تكاد تجد فيها راحلة

انى لافتح عينى حين افتحها * على كثير ولا كن لا أرى أحدا

فاذا كان أهل العلم تصدر منهم هذه الفعال . فاى شىء تركوه للجهال . واذا كان منصب الشريعة تحاز به البراطيل (١) وتبدوا من جانبه الرفيع هذه الاباطيل . فاى ملام يتوجه على عامة الناس . على اختلاف الانواع والاجناس

من غص داوى بشرب الماء غصته * فكيف يصنع من قد غص بالماء

كيف ولم تزل تتلى عليكم آيات كتاب الله وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أأنتم عنها ساهون . أم أنتم عن التذكرة لاهون أفلا تتدبرون قول الله ولا تاكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتاكلوا فريقاً من أموال الناس بالاثم وأنتم تعلمون وقوله صلى الله عليه وسلم لعن الله الراشى والمرتشى والرائش اى الذى يمشى بينهما وقوله عليه السلام من ولى القضاء فقد ذبح بغير سكين . وقوله عليه الصلاة والسلام القضاة ثلاثة واحد فى الجنة واثنان فى النار فاما الذى فى الجنة فرجل عرف الحق فحكم به ورجل عرف الحق فجار فى الحكم فهو فى النار ورجل قضى للناس على جهل فهو فى النار وقوله عليه الصلاة والسلام لياتين على القاضى العدل يوم القيامة ساعة يتمنى أنه لم يقض

---

١ « البراطيل صغار الاشياء ، وسميت الدراهم براطيل لصغرها

بين اثنين فى تمرة واحدة قط وقوله عليه الصلاة والسلام يوتى بالقاضى يوم القيامة فيوقف للحساب على شفير جهنم فان امر به دفع فهوى فيها سبعين خريفاً وقوله عليه الصلاة والسلام إن اعتى الناس على الله وابغض الناس اليه وأبعد الناس من الله رجل ولاه الله من امر أمة محمد شيئا ثم لم يعدل بينهم وقال صلى الله عليه وسلم إن القاضى ياتى يوم القيامة مغلولة يداه الى عنقه فيطلقها عدله ويوثقها جوره هذا واسئلوا عن سيرة من تقدم من قضاة هذه الحضرة المراكشية كالفقيه السيد محمد عاشور والفقيه السيد الطالب بن حمدون فقد كانوا من الدين والخير بمكانة وأعطوا الخطة حظها من العفاف والصيانة . وخرجوا منها بيض الصحائف حمر الوجوه فاعرفوا فضلهم . واقتفوا سبيلهم وتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم . واعلموا أننا بحول الله لا نزال نبحث عن أحوالكم بالتنقيب والتنقير . ونعاملكم بالتحذير قبل التعزير . وباللين ثم الجد وبالصفح ثم الحد . لان الله كلفنا بكم . وسائلنا عنكم . وأمور الشريعة عندنا أهم من كل مهم وآكد من كل اكيد . وما على هذا من مزيد إن أريد الا الاصلاح ما استطعت وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه أنيب والله يوفقنا ويوفقكم وجميع المسلمين لما يحبه ويرضاه والسلام

***

الاديب الكاتب أبو عبد الله

محمد بن محمد بن محمد غريط

رحمه الله

أديب نافذ اليراعة . نافق البضاعة . شاعر مليح المساجلة . رجيح المجاملة ذو خط كالدرر المنظومة . والحبر المرقومة . الى كرم يرضاه قيس بن سعد ووفاء يطوى شقة الوعد . بيد أن نظمه أجود من نثره وليس قله باحسن من كثره كتب للسلطان سيدى محمد ولابنه . مولانا الحسن قدسهما الله ولم تمنحه الايام على الكتابة مزيدا . ولا قلدت له بغيرها جيدا . مع استكمال الالة . والمعرفة التى لم تتركه على الكتاب عالة وما أحسن قول المعرى

لا تطلبن بئالة لك رتبة * قلم البليغ بغير حظ مغزل
سكن السماكان السماء كلاهما * هذا له رمح وهذا أعزل

واستمر على عمله . مقتعداً غارب امله . الى ان فلت شباة(١) نصله ومحيت آية نبله . (٢)فى شهر شوال عام ستة وتسعين ومائتين والف ودفن بروضة الولى الصالح سيدى علي ابى غالب رضى الله عنه ومن شعره الراقى الرائق المتمسك من الاحسان باوثق العلائق . قوله يهنئ أمير المومنين المقدس سيدى محمد بانتصاره على آيت يوسى

هز سيف النصر مولانا الامام * من له بالعدل عون واعتصام
فقضى الله له فيمن بغى * بوبال ونكال وانتقام

---

١) الشباة حد كل شيء ٢ النبل بالضم الذكاء

وحوى فتحاً مبيناً لم يكن * لسوى آبائه الغر الكرام
أسسوا مجد علاه فبدا * مالك العز الذى ليس يرام
ناشراً الوية اليمن الذى * بعلا دعوته الحق استقام
ورجال العسكر الساطى لهم * أعين عن امره ما إن تنام
كلفوا بالضرب والطعن اذا * صارليل النقع ١ كالجون ٢ الركام ٣
كيف ينجوا فى الصياصى ٤ منهم * كل جبار وزار بالذمام
كانصباب السيل ان شنوا على * زمر الاعداء غارات الحمام
وهم الانصار للدين فما * اعظم الفخر بفرسان النظام
صبحوا آيت يوسى ومحوا * أثر الباغين من تلك الخيام
وأتى السبي على أبنائهم * وأجيحوا بابتياع واقتسام
ما جزاء الذنب الا هكذا * هكذا حكم السلاطين العظام
طالما أنذرهم سيدنا * ثم لجوا فى ضلال كالظلام
ما ازاد عاصم من ضرسهم * غير بطن قد تملا بالحرام
حسبوا أجبالهم تمنعهم * وتقيهم بطشة الجيش اللهام ٥
بلغ العسكر فيهم مشهداً * أحجمت عنه كماة كالسهام
ورماهم بدواهى بأسه * رمية آذت بنى الشلح اللئام
جلوا عن كل حصن ذرفت ٦ * فيه عين النعى بالموت الزؤام ٧
تركوا الأنجيل للحرق ولم * يقرؤا فيه ثباتا بالتمام
وعلا اوجههم من سيمة الذ * عر والذل قناع ولثام

١ «النقع الغبار ٢ الجون الاسود من السحاب وغيره ٣ الركام بالضم المتراكم بعضه على بعض
٤ «الصياصى الحصون ٥ اللهام بالضم العظيم ٦ ذرفت بكت ٧ الزؤام بالضم الكريه

ما عليهم فى فرار حرج * منه للاسر وأغلال الرغام
لو الى المنصور فروا وجدوا * طلعة تندى بحلم واحتشام
ملك يعنوا لماضى عزمه * فى سما رفعته بدر التمام
مدرك ماشاء من آماله * باناة واقتدار واحتزام
سيدالاشراف منصور اللوا * ونداه مخلف نوأ الغمام
ناصر السنة لاكن لم يذر * طمع الباغين ممتد المرام
كم وكم ضحوا بنفس مالها * ناصر الاك مولانا الهمام
يا ابن مولانا الذى قدسه * ربنا الرحمان فى دار السلام
عابد الرحمان من شدعلى * برك الخالص أنفاس اهتمام
أرجت بشراك بالفتح كما * فاح من أمداحكم مسك الختام

ومن شعره قوله

عوفى مولانا الحسن * والظن بالله حسن
سلطان هذا الغرب من * حياته عين المنن
ونعمة الله التى * تحمد فى كل زمن
ومن بها نامن من * كل بلاء ومحن
سيدنا ملاذنا * بانفس المدح قمن
وبالتهانى ملكه * أجرى من كل ما لسن

ومنه قوله

جرد الذابح سيفاً * من حشا ثلج الغيوم
وبرى اوداج من لم * يعتنق بنت الكروم

ومنه قوله

وقفت واني معنى كئيب * وقوف وجيب وجيب وجيب

بباب ابن احمد من عطفه * لادواء قلبي طبيب طبيب

وقلت الاهى بعبدك ذا * أغثنى فانك نعم المجيب

فابت وكفى ملئانة * بكل نوال وفتح قريب

ومنه ما هو مكتوب بالزليج بدائر قبة الولى الصالح سيدى احمد الشاوى رضى الله عنه ونفعنا به

لمن المفاخر بالعناية حالية * وبعين انجاح المقاصد حالية

يمضى ويبرم امرها ملك له * همم بتخليد المعالى عالية

فتلوح فى اوج الخواطر مثل ما * لاحت شموس سعوده متلالية

ويزينها شرف المؤيد حيث لا * شرف يدانى قدره ويواليه

هاذى ذكا(١) أثاره بشرى فقد * طلعت بعز محمد متعالية

الى ان قال

العادل المنصور سيدنا الذى * فى ربه يعنى البيوت المالية

اومثل بدر التم إلا أنها * بابى العباس أحمد تالية

العارف الشاوى وحسبك نسبة

عربية فى كل مجد غالية

وجلالة تعنو الاسود لبأسها * وسيادة لصدى البواطن جالية

قف وقفة الراجين حول ضريحه * مستبشرا وانظر بديع جماليه

ذ كا بالضم الشمس

فطلائع الفتح الذى أملته * تاريخ شرح عد يوم كماليه

وكنت وجدت هذه الابيات بخط من يعتمد فاثبتها فى النسخة الاولى من هذا التقييد. تركاً للاجتهاد فى التأمل واجتزاءً بالتقليد. وللمامن الله تعالى بتأملها بالضريح المذكور وجدت فى بعضها مخالفة لما كتبته ومغايرة لما رتبته ونص ما فى النسخة الاولى

لمن المفاخر بالعناية حالية * ومن التصنع والتكلف خالية

يمضى ويبرم فعلها مالك له * همم بتخليد المعالى عالية

هاذى ذكا آثاره بشرى فقد * طلعت بعز محمد متعالية

العادل المنصور سيدنا الذى * فى ربه يفنى البيوت المالية

أومثل بدر التم إلا أنها * بابى العباس أحمد تالية

العارف الشاوى وحسبك نسبة

عربية فى كل مجد غالية

ومناقب كالغيث أعجز عدها * أهل النهى مشهودة متوالية

وجلالة تعنو الاسود لبأسها * اضحت من الاسو الفاس كالية

قف وقفة المذعور حول ضريحه * متذللا تكف الوجوه الغالية

واذا توم تاريخ إنشاءى تجد * فتحا بشائره دليل كمالية

التاريخ فى قوله فى الابيات المتقدمة. شرح عد وهو عام اثنين وثمانين ومائتين والف وفى هذه الابيات المخالفة لها فى قوله. بشائره دليل كماليه ولا يعلمه من هذا الشطر الا من له اطلاع عليه فى غيره. ووقع مثل هذا فى كثير من التواريخ القديمة الجارية على خلاف شرط المخترع من

التنبيه على محل التاريخ ولهذا لما رأيت هذا البيت

فرش السعادة فى ذا القبر تاريخ * ووزر صاحبه بالعفو منسوخ

مكتوباً على قبر سيدنا الجد رحمه الله وهو لصاحب الترجمة لم استحسنه لوجهين الاول عدم افهامه التاريخ المقصود بقوله فرش لانه باضافته الى السعادة مع عدم التنبيه على محل التاريخ يلتبس على من لم يعلم عام وفاته قبل الثانى إخلاله بالتعظيم والتعريف المقصود من الكتابة على الاضرحة فقلت معرفاً ومؤرخاً

هذا ضريح ابى عبيد الله من * قد نال فى العلم الشريف رسوخا

غريط من اولاه ربه فى الحيا * ة وفى الممات سعادة وشموخا

مازال فى شرف العلا حتى غدا * شرف لعام وفاته تاريخا

حياه بالرحمات مولى لم يزل * وزر العبيد بعفوه منسوخا

الا ان القدر لا زال لم يساعد على كتابته على الضريح المذكور . وبيد الله تيسير الامور . ومن شعر المترجم له ما أجاب به الفقيه الوزير أبا عبد الله محمد بن احمد كنسوس عن الابيات المتقدمة فى ترجمته وهو

طربت وماشوقاً الى البيض اطرب

ولا لعباً منى وذو الشيب يلعب

ولاكن بآداب الوزير محمد * ادير اباريق السرور فاشرب

هو الماجد الكنسوس راية قوله * مؤيدة منصورة حيث تذهب

امير ذوى الانشاء تاج اولى النهى

وجاه له صدر المحاسن منصب

وعلامة الدنيا الذى ليس نخره * يبيد وعز الدين اوهو اشهب

والا فلقمان صلاحاً وحكمة * وسحبان اذ يلى البيان ويكتب

باخلاقه ياتم كل مهذب

وتعنوا له نفس الكريم وتصحب

أهيم اذا ما قلدتني يمينه * لآلئ فى أسلاكها الروح ترغب

فيغبطني فيها حبيب ملاطف

وخدن ١ مداج ٢ مستريب مذبذب ٣

أتتني جواباً لا ترجى جزاءها * وفاقاً ولا تنفك قلبي تطلب

فقلت أجل قلبي وهبت ومهجتي

اليك فقالت أنت عندى مجرب

أباءها أبقى الاله جلالكم * ولا عن اخ أنوار بشرك تسلب

ولم يك للدهر الخؤن تسلط * عليه ولسنا باليقين نكذب

كتمت عن الاوباش أسراره التي

لجدك تنمى أو لصدق تنسب

ندمت لنا يا أصل كل سعادة * تلائم أشتات القلوب وترأب (٤

قلت كانه احفظ زمنه. وحرك إحنه. بقوله ولم يك للدهر الى آخره فانقلب عن وفائه ثاني عطفه. وجرى فى نقض اخائه على وصفه. او اصابته عين الكمال. المنصوبة لتنقيص الاعمال

اذا تم امر بدا نقصه * ترقب زوالا إذا قيل تم

فان المكتوب له لما اطلع على البيت الاول وهو من قصيدة للكميت ومن

---

١) الخدن بالكسر الصاحب ٢ المداجي المساتر بالعداوة ٣ المذبذب المتردد بين أمرين ٤ رأب الصدع كمنع اصلحه

شواهد حذف همزة الاستفهام مزق رقعة انسه واغضبه . وكدر مشربه واستحالت محبتهما بغضا وصداقتهما نفاراً وعضا . بعدان كانت بينهما محبة اكيدة . ومواصلة حميدة . ومجالس يغبط المسك عرفها . ويتمنى النسيم لطفها . وذلك لما توهمه بذلك البيت من التعريض بحاله والافتتاح بما يوذن بتنقصه فى موطن كماله . ولعل ما توهمه لم يقصده الكاتب المذكور . والله يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور . ولصاحب الترجمة اهاجى يقصر عنها ذيل الفرزدق وجرير . ومداعبات جاوزت حد التعريض والتندير . اضربت عن ذكرها . واجتزيت بمعروف القول عن نكرها

الاديب الكاتب

«أبو العباس احمد الصويرى»

رحمه الله

كاتب نبيل . ذو سمت جميل . وصمت طويل . واقتصاد فى الترسيل وطبع يكاد من الرقة يسيل . اتخذه الوزير ابو محمد الطيب بو عشرين خزينة اسراره . والقى اليه زمام إيراده واصداره . فلم تغير الرياسة طعمه ولا نثرت من جيد السكينة نظمه . وكان لذوى التهتك منابذا . وبما كتب يحيي لابنه الفضل آخذا . وهو

انصب نهاراً فى طلب العلا * واصبر على فقد لقاء الحبيب
حتى اذا الليل اتى مقبلا * واستترت فيه وجوه العيوب

فكابد الليل بما تشتهى * فانما الليل نهار الاديب
كم من فتى تحسبه ناسكاً * يستقبل الليل بامر عجيب
القى عليه الليل استاره * فبات فى لهو وعيش خصيب
ولذة الاحمق مكشوفة * يسعى بها كل عدو رقيب

قيل انه طرقته علة . بمحلة . فلما ارجع منها ومر به على غابة المعمورة وهى اذ ذاك بسيل اللصوص مغمورة . اسلمه اصحابه الى الضياع . وقضى نحبه بايدى اللصوص والقطاع . فى عام ستة وتسعين ومائتين والف .

الاديب الكاتب

﴿ابو محمد عبد الله بن محمد بن احمد كنسوس﴾

رحمه الله

كاتب طيب المنزع . لطيف المقطع . شاعر رقيق النسج والطبع . مصيب الفراسة متين النبع . نادرة وقته فى زيه ونعته . ظرف حتى ضرب به المثل . ولطف حتى لو شيئت فتله انفتل . وكان الصمت عليه اغلب واذا نطق اعجب واغرب . خلف اباه فى حدة الفكر والقلم . ومن يشابه ابه فما ظلم . استكتب لامير المومنين المقدس مولانا الحسن زمن خلافته واقره بعد مبايعته ولما لم يقيض له السعد مرتبة فوق منصب الكتبة على طموحه بمعارفه . وشموخه بتالده وطارفه . مع معاتبات تجرع صابها على فلتات أصابها . تفيأ ظل الراحة وجال فى الروض الاريض ومغازلة عيون القريض . مقيله ورواحه . الى ان حان ذهابه وحار شهابه . فى

شهر ذى القعدة عام ستة عشر وثلاثمائة والف وكان الوزير أبو العباس احمد بن موسى يجهد جهده . فيما يوطد مجده . ويسعى فى حسن السمعة بما يهيئه كل جمعة . من مادبة زاهية . يحضرها الاشراف والعلماء والاعيان الفضلاء . والكتاب النبلاء . بداره الباهية . وما ادراك ما هيه . نفس من حليها بالزخارف لاهية . وعن ذكر المعاد ساهية . وكان صاحب الترجمة ممن يلبى تلك الدعوة المستجابة . ويظهر لها ارتياحه و اعجابه . فلما كان بعض الجمع جعل يودع تلك الجموع . وداعاً كاد يريق الدموع . فسئل الى اين ذلك البين الذى يريد . فقال الى جوار العزيز الحميد . فلم تات عليه الجمعة الا وهو مقبور . بروضة الامام السهيلى فى التاريخ المذكور فقال قوم انه كشف مبين . وقال آخرون إنه حدس وتخمين . والله أعلم وله نظم تعشق دره العذارى . ونثر يذر العقول حيارى . الا انه ربما مال فى بعضه الى التقعر . وسلك به مسلك التوعر . فتكاد تستوحشه الافهام . وتحتاج فيه الى الوحى والالهام . وما أحسن قول ابن الحسين

وجدت حتى كدت تبخل حائلا * للمنتهى ومن السرور بكاء

فمن شعره الذى استحق به الحباء . قوله فى مدح خباء

شوقى الى الخضراء شق نفوسا * وعلا بئافاق الغرام شموسا

حسناء ذات ضخامة وفخامة * تجلى بمنظرها البهيج عروسا

فيحا ترى الارواح فيها شهية

زهو النفوس تروض منها شموسا

١» الشموس بالفتح صعب الانقياد

قامت على متن البسيط كأنها * قصر يضم من البهاء نفيسا
لم لا وفيها للوزير مخيم * ذاك المفضل لا اراه عبوسا
خلي اخي صافي المودة والولا * اعلا الافاضل همة ونفوسا
نجل الغرانطة العلى من فتية * حلوا بانواع البيان طروسا
زانوا الوزارة بالجلال وطأطؤا * من عين اعيان الزمان رؤسا
فمتى ارى فيها انزه ناظري * ومتى ارى فيها احث كؤسا
ومثالث الاوتار تعلوا بيننا * كالقس١ ينقر في الدجا ناقوسا
وصنوف انواع اللذائذ تجتلى * نوعاً فنوعاً لا احس طسوسا
بوجود هذاك الوزير اخي السنا * لا زال من كيد العدا محروسا

وله في قلم

نعم الوزير علوت كل مكلف * وسموت في عز الفخار الاشرف
وبقيت غيظ حسود جاهك دائماً
اوما تجود بذي قوام اهيف(٢)
يسطوا بمرشفه وسود عيونه * وبحده المزري بحد المرهف
وعذاره المسكي سال معرقاً * تسبي سوالفه فؤاد المدنف ٣
ما شانه لون السواد وقد غدا * كل الرعايا لما يخطه تقتفي
فمتى تراه علام راكب خمسة * يبكي ويضحك يستر ويصطفي
ما قاله فيه حبيب فرية * لله در ابن الحسين المنصف
مدحته آيات الكتاب ولم تزل * اوصافه تتلى بصلب المصحف

١) القس بالفتح رئيس النصارى في العلم ٢ الهيف محركة ضمر البطن ورقة الخاصرة ٣ المدنف الذي لازمه الدنف وهو المرض

لم يحف ان قطعت منابت راسه * قل ان نهبت له اخير الاحرف

ومن احسن ما قيل فى القلم قول بعضهم

واذا تجلى من ثلاث انامل * رمح ولبس من الوشيج ١ الذبل

فهو الدواء وفيه داء قاتل * وسوى الدواة فماله من منهل

قلم يقلم ظفر كل ملمة

طرقت ويطرق كل خطب مشكل

ومترجم للغيب وهو محجب * ينحط فى طلب المعالى من عل

كالكوكب المنقض او كالوابل الـ

مرفض او مثل انقضاض الاجدل (٢)

تهوى الى القرطاس منه انجم * زهر وليست كالنجوم الافل

وقول الاخر

واهيف مذبوح على صدر امه * يترجم عن ذى منطق وهو ابكم

تراه قصيراً كل ماطال عمره * ويضحى بليغاً وهو لا يتكلم

وقال ابن حجة ومن بديع ما سمعته فى وصف القلم من النظم قول الفاضل شمس الدين بن الصاحب موفق الدين علي بن الامدى منقول من خط الوداعى

تمشى اليراعة والمدادوراءها * ظل على شمس الطروس ينوع ٣

عوض الغوانى ولو تلوح لمسلم * هذى المعانى راح وهو صريع

لو لم تكن انماطه خطية * ماراح سرب اللفظ وهو منيع

---

١ الوشيج شجر الرماح ٢ الاجدل العقاب ٣ ينوع يميل

الفانه رقت بوجنة طرسه * فكأنهن وقد جرين دموع
قلم مسيحي الخطاب لنطقه * فى المهد من يمناه وهو رضيع
وغدا كليميا وقد ضاهى العصا * فغدا يروق بفعله ويروع
بالنقط حاكته الشموع وبالضيا * حاكته فى حلك المداد شموع
قد لازم القرطاس وهو منور
والطرس يهوى الروض وهو مريع (١)
نور ونور خطه وكلامه * هذا يضيء به وذاك يضوع

ومنه قول الاخر

بصير بما يوحى اليه وماله * لسان ولا قلب ولا هو سامع
كان ضمير القلب باح بسره * اليه اذا ما حركته الاصابع

وقول الاخر

واصفر عار انحل السقم جسمه * يشتت شمل الخطب وهو جميع
حمى الجيش مفطوماً كما كان تحتمى
به الاسد فى الاجام وهو رضيع

ولصاحب الترجمة فى وصف كتاب على لسان الوزير ابى عبدالله الجامى

هاذى شذور ام بدور سماء * ام راح سحر الشعر قلب بهاء
كلا شهود محبة وصداقة * تنبي بصافى مودة واخاء
من فاضل متفضل ومفضل * يروى الفضائل عن سراة اساء
هنئت يا نجل الغرناطة العلى * شم الانوف وانف كل سناء

مريع خصيب

تبقى وترقى كمال كل مفاخر * ما فاح زهر فى رياض عفاء(١)

وله الحمد لله مختص من شاء بما شا كيف شا وما تشاؤن الا ان يشا وصلى الله على من انتشا حبه فى الحشا ففشا من ساد قريشا وتبوأ من النبوأة عرشاً وفرشا

هاذى سوانح طال ما أملتها * وزجرت طائرها لنيل مرامى
روجت فيها بصائرى متطلعاً * وأجلت فيها مدارك الافهام
هاذى طوالع أسعد من نوئها * هطل الحيا وانهل غيث غمام
هاذى لوائح نفحة قدسية * برزت من الغيب الرفيع مقام
هاذى مواهب منة فى جنة * تجلى عرائسها بغير لثام
أولم أكن أنبأتكم بدنوها * نظماً ونثراً من فصيح كلام
إن تقتبس شعرى القديم تجد به * هاذى البشائر فوق زهر ثمام(٢)
نطقت به أقلام حق أعربت * بلسان صدق فى بديع نظام
فليهنا المولى الوزير بنيلها * متمتعاً منها وعزه سامى
وليهنا المولى الوزير برتبة * بلغت مفاخرها لمصر وشام
وليهنا المولى المفضل جاهه * بوزارة أزرت بكل مسامى
ضاءت به سرج العلاء وطرزت * وجه الفخار بنقط خال وشام
فانهض باعباء المقام وقم به * فلقد عهدتك تقتدى بعصام٣
رتب أمورك فى قياس سياسة * شيئاً فشيئاً إن سعدك نامى
واقطف ثمار غروسها فى زهوها * فلانت كفؤ عروسها البسام

(١) عفاء مصدر عفت الارض غطاها النبات (٢) الثمام بالضم نبت ليس له ساق ويقال لما لا يعسر تناوله على طرف الثمام (٣) عصام بن شهبر حاجب النعمان ابن المنذر ومنه قولهم ما وراءك يا عصام وفى المثل كن عصاميا ولا تكن عظاميا يريدون به قوله

نفس عصام سودت عصاما * وعلمته الكر والاقداما

قاموس

واذكر أخاك على إخاك تفتياً * إن الكرام إذاً أنجال كرام

هناك ربى بالامانى كما تشا * حتى تصدر فى مقام حوام

تبق وترق فى المقام ساحباً * ذيل الكمال وأنت مسك ختام

وبذكر الخال فى قوله بنقط خال وشام تذكرت أبياتاً للامام ابى عبد الله محمد بن احمد بن هشام اللخمى البسترى رحمه الله فى معانى الخال لغة وهى

أقول لخالى (١) وهو يوماً بذى خال (٢)

يروح ويغدوا فى برود من الخال (٣)

اماظنرت كفاك فى العصر الخالى (٤)

بربة خال لا يزين بها الخالى (٥).

تمر كمر الخال ٦ يرتج ردفها

الى منزل بالخال ٧ خلو من الخال ٨)

فلا الخال (٩) يحمى الخال (١٠) من سيف لحظها

بلى هو أمضى فى الفؤاد من الخال (١١)

أقامت لاهل الخال (١٢) خالا (١٣) فكلهم

يؤم إليها من صحيح ومن خال (١٤)

وخال (١٥) تخال الخال (١٦) بعض سنامه

يحن الى خال (١٧) وينفر عن خال (١٨)

بمؤخره خال (١٩) من الضرب بالعصا

ولو كان خال (٢٠) لم يهب سطوة الخال (٢١

وبقى عليه ثلاث معان للخال استدركهما عليه أبو علي الزياتى رحمه الله فقال

سمعت بخال (١) تخدم الخال (٢) نحوه

فسرت سريعاً أشتكى محنة الخال (٣)

تفسير ما فى هذه الابيات من معانى الخال . (١) أخ الام (٢) موضع (٣) ضرب من ثياب اليمن (٤) الماضى (٥) شامة (٦) الذى لا زوج له (٧) السحابة العظيمة (٨) موضع مرتفع (٩) لرقيب (١٠) الحليف (١١) الجبان (١٢) السيف القاطع (١٣) الرأى (١٤) أعرج (١٥) الجمل العظيم (١٦) الجبل (١٧) مقيم من مرض ١٨ الذى يجعل العجاج عقبه ١٩ أثر (٢٠) فارغ (٢١) قاطع الطريق (١) اسم الجواد (٢) الرجل الضعيف (٣) الطريق فى الجبل اه

ولصاحب الترجمة الحمد لله بادئ البرايا . مانح المزايا . والصلاة والسلام على مفيد الوفر . ومبيد الكفر . والآل والاصحاب بلا حصر قطب المدار . فى مدح أمير المومنين . واجهه النصر والتمكين والفتح المبين حيثما تحرك أو توجه أو دار .

فاضت سجال الجود فيض بحار * عمت وخصت بالسخاء الجارى
فعلى المساكن والمساكين بذلها * قد أبدل الاقتار بالاكثار
من كف سلطان الزمان ونوره * اكرم باروع بضعة المختار
نجل الرسول المصطفى وسليله * عبد العزيز الشامخ المقدار
حلف المروءة والديانة والهدى * وطهارة الاذيال والازرار

كهف الصلاح مع الفلاح فلم يزل * متعبداً فى السر والاجهار
منح الجمال اليوسفى وكفه * بالوكف أخجل ديمة المدرار
كسى الحياء مع البهاء وكلما * يرضى من الاوصاف والآثار
عقل كبير فى حادثة ناشىء * رأى مصيب بالزناد الوارى
والحلم من أوصافه منذ الصبا * والعلم حرفته تعلى البارى
والسر فيه تكاملت أوصافه * والوجه منه كدارة الاقمار
والسعد طالع نصره فى عصره * واليمن فى وجناته متوارى
وبنصره غاث الاله عباده * وبلاده رغماً لكل ممارى
فحيا به ملك الورى من بعدما * أشفى على إشفاء جرف هارى ١
ولقد تولى الله كل أموره * ورمى عداه بخزية وبوار
ما قام مارق فتنة فى غفلة * الا وقد بسيفه البتار
فجميع شانه من عجائب قدرة * جلت عن التعبير والافكار
أيامه الاعياد حسناً باهراً * خصباً يدوم ورخصة الاسعار
هذا الهناء مع الرخا بزمانه * لم يعهدا من غابر الاعصار
لاشك أنه فاطمى زمانه * من نسل فاطمة ابنة المختار
سبحان مانحه المزايا باسرها * ومبيحه منها أعالى منار
يا طلعة النور البهى صفاؤه * يا بهجة الارجاء والاقطار
يا سيدى عبد العزيز المجتبى * للمجد فى المهد بصنع البارى
أهنيك بالمجد المؤزر أزره * بعلائك القدوس والاستار

١ « هاري منهدم

أهنيك بالسعد المكمل بالسنا * والعز والاقبال والاكبار
أهنيك بالشهر المصوم وفطره * وبعشره وتراويح الاسحار
وبليلة القدر العظيم وفضلها * وثواب محييها من الاخيار
أهنيك بالعيد السعيد وصبحه * وصلاته وبنشره المعطار
فاسعد وعد واهنا وسد وابذل وجد
واسمح بسح سخائك المدرار
وانعم بايام السرور مهنئاً * بسوائع الانس المقيم القار
لاتخش من نكد فانك آمن * متحصن بشواهق الاسوار
من جاه جدك احمد كهف الورى
قطب الوجود ومنبع الاسرار
صلى عليه الله دون نهاية * والال والاصحاب قطب مدار

وله الحمد لفاتح أقاليد ١) المطلسمات . وصلى الله على صاحب الشرع ومحتلب الضرع . وسبب الاصل والفرع بدرة الوجـود ولبنة التمام عمامة البهاء الاوحد . فى مدح ذى الوزارتين السيد احمد

سبحان من سنى السنا بسناء * واقر مرقاة بسمك سماء
لممجد ومنجد قطب النها * سعد السعود ونخبة الوزراء
إنسان عين الملك طالع سعده * ومدير دائره على ارحاء
بحر العلوم عقولها ونقولها * حبر الفهوم ومعجز العلماء
مبدى العجائب من نجابة عقله * مدرى سياسته بسير رخاء ٢

١) الاقاليد ج أقليد وهو المفتاح ولايخفى ما فى هذه الاضافة ٢ الرخاء بالضم الريح الالينه

ورث الوزارة والحجابة راويا * أعلا حديثهما عن الاباء
الف التقى وقدار تقى متن النقى * فاق الرفاق بهمة علياء
حمد الالاه له المزايا باسرها * فتبارك الرحمان ذو الالاء
هو احمد بهر العقول جماله * وجبينه يزرى بنور ذكاء
هو احمد سر الالاه ونعمة * خص الالاه بها الورى بهناء
هو احمد علامة العصر الذى * ساس الامور بفضل فرط ذكاء
يسعى ويجهد فى الصلاح مدى المدا
متواصل الاصباح بالامساء
يسدى ويلحم رافياً ترقيع ما * أوهت يدا الجهلاء والسفهاء
حتى استقام الملك من ميلانه * وتبرجت أفكاره للراءى
فجزاه ربى عن اقامة دينه * وحباه ارضاءً بخير جزاء
ياسيداً ساد السراة بجهده * وبهديه وبعفة وحياء
يانجل موسى والمواسى بسيبه * من ام ساحته بسح سخاء
أهنيك بالسعد الموطد١ طوده * بسعادة الاسعاد والاسداء
أهنيك بالشهر المصوم وفطره * وبعشره وبنشره بكباء
وبليلة القدر المنيف ثوابها * عن الف شهر ليلة الاحياء
وبعيدك الاهنى ووقت صلاته * وصلاته لمحبر الانشاء
فاهنا بعيشك بالهناء مؤيداً * لاتختشى من طارق الاسواء
واغنم سرورك مطمئناً طيباً * فحجاب ستر الله خير وقاء

---

١) وطد مهد

واعطف على حب له بجنابكم * نخر يصول به على العظماء
ينشى ويوشى فى مدائح فضلكم * حبراً مطرزة بحسن بهاء
لم يحك حوك نسيجها صنعا ولا * بلغت لغايتها يد البلغاء
فاجعل رضاك بها أصيل صلاتها * فهى التى تمشى على استحياء
وانشر لمنشئها رداء عناية * ورعاية وحماية وحباء
فله اللياذ بنال احمد دائماً * يطوى وينشر حمدكم بصفاء
واسلم لهذا الملك تحمى ذماره ١ * وتتم كامله باسنى سناء
هذا وانت مكرم ومسلم * ومعظم ومعمم ببهاء

وكتب بعدها

زفت اليك خريدة * ماإن يطاق نظيرها
لسنا نقول ذكا اسمها * إنا بذاك نضيرها
فاجعل قبولك مهرها إن الجفاء يغيرها
وصغ النضار نعالها * إن الجفاء يضيرها ٢

ومن منثوره قوله فى استعطاف بعض الوزراء

سلام على تلك الشمائل والحلى * سلام مشوق للقاء معطش

الهم بحق أسمائك الحسنى . ونور وجهك الاسنى . أيد السيد الذى رحمت به العباد وسللت من مضائه صارماً يكافح وينافح عن الاسلام باجدى من مكافحة الجلاد . الا وهو رب القلم الاعلى واللسان الفصيح العذب الاحلى العلامة الوزير فلان زاد الله فى معناك . ولا برحت ركاب العز

١» الذمار بالكسر ما يلزم حفظه ٢ يضيرها يضرها

مناخة بفسيح سوح مغناك آمين وبعد السلام على تلكم الشمائل . المزرية بزهر الخمائل . فلقد كنت أعزك الله وعدت بالوصال الذى قطع الاكباد انتظاره . وفتتت الافلاذ ١ ناره . ثم كان ذلك آخر العهد . فما هكذا يا سعد . ٢ وعليكم السلام من قبل ومن بعد . وعلى الاخوة الخاصة التى غرسها الاباء . لتجتنى ثمرتها الابناء والسلام فى ثامن وعشرى رمضان المطهر عام أحد عشر وثلاثمائة والف .

الفقيه الاديب الكاتب القاضى

« أبو محمد عبد الواحد ابن المواز »

رحمه الله

نبيه المحل . نبيل العقد والحل . روض علم سقيت بماء الادب أدواحه فزهت ثماره وذكت ارواحه . كالقلم ظرفاً وقامة . والعلم شموخاً وشهامة والسيف حدة وصرامة . ذو جراة واقدام . تقصر عن شاوه سورة المدام . كتب لابن الطالب عامل فاس ثم لخليفة السراج . الى ان كان منه فى الثورة انخراط واندراج ثورة أهل فاس التى أدت الى نهب دار بنيس . وايحاشه بعد التانيس . ومقابلة السلطان مولانا الحسن . بالحرب التى قادهم بعدها فى أوثق رسن . واتهم الخليفة المذكور باغرائهم وقدح زند اجتراحهم واجترائهم . وبانه ارتكب فى امرهم خديعة وتلبيساً . فوجهه الى مراكش حبيساً . وفرق بين جفنه والوسن . فجرت على المترجم له

١ » الفلذة بهاء القطعة من الكبد ومن الذهب والفضه والاحم ٢ » ما هكذا يا سعد مثل من قول سيدنا على كرم الله وجهه اوردها سعد وسعد مشتمل * ما هكذا يا سعد تورد الابل

ذيول المعاقبة . واكتنفه حكم المصاحبة . قيل انه فاه على حين غفلة . بما يوذن بدخوله فى تلك الفعلة وآفة الانسان . من اللسان

احفظ لسانك لا تقول فتبتلى * إن البلاء موكل بالمنطق

ثم تخلص من شرك الترسيم . بعد أداء مال جسيم . وجددت نعمته باعادته الى وظيفه القديم . فكان عوده احمد . تحت رياسة الباشا الحاج عبد الله بن احمد . ثم تدرج الى وسط الظهور من الحاشية . فولى قضاء الحضرة المراكشية . الى ان ولى قضاء المحلة العلية . وكتابة الرسائل الاجنبية . وتصفح الرسوم الدينية . وفى ايام وزارة احمد بن موسى اريح من الاشغال المخزنية . وولى تامصلوحت من الاعمال الحوزية . فلم يلبث ان عزل فانحرف مزاجه . واعيا علاجه . حتى كان من عالم الحياة اخراجه وفى نظام الاموات إدراجه . فى عام نيف وعشرة وثلاثمائة والف ودفن بازاء داره فى مسجد بطالعة فاس وجعل له ضريح بديع . إنباءً بما له من الكرامة والقدر الرفيع . وله نظم أعز من نار الحباحب ١ ونثر اصفى من التبر الذائب . وأشهى من وصل الحبائب . نقلت من خطه ما نصه الحمد لله البيتان أسفله رمز بكل حرف من كلم اشطارها الاول لدولة من الدول الاثنتى عشر وقد اشتملت على معنى رقيق لمن حلها عليه وهم مذكورون على هذا الترتيب فى طالعة وفق مدريد

أحديث نبراس جلاها دجنة * سحر مبين حلها للمحرز

ظالت ضئيلا تحفها ولى بها * ود المحدث أنها لم توجز

---

١ » الحباحب ما اقتدح من شرر النار فى الهواء من تصادم الحجارة

ومن نثره فصل من كتاب تهنية بزواج وبعد وصلنا كتابك الذى انشرحت له القلوب معرفاً بالفرح الذى تأسس على السرور بناؤه . وتبسمت عن ثغر السلوان علياؤه . بالزواج المنعقد فى سرايتكم فاقتبسنا من اعلامكم على صدق المحبة دليلا . واستروحنا فيه أثراً من حسن الاعتقاد جميلا وأخذنا من السرور بذلك حظوظا . وراعينا فيه من عهود الفرح حقا محفوظا . وتحقق لنا من المحبة ما لم يزل رعيه ملحوظا . ونهنى حضرتكم الفاخرة . بهذه المسرة الظاهرة والمنحة الوافرة . ولاشك ان التناكح المقصود منه التناسل والتواصل وكونه بين الاكفاء يوجب نتايج النجابة من عناصر الارحام بالتداخل . وكيف لا وهو فرح بمرتبة العقل يرتقى ومنزلة رفيعة بين ذوى الارحام تنتقى وعمل خير يؤثر حمدا وطلب وصل يحصل بين أهله مجدا وله فصل من كتاب تهنية بولاية فقد بلغنا ما دعا الى الهنا . وشيد فى القلوب ما بنى . وجدد للسرور أسبابا . وأزال عن النفوس ارتيابا . من ولايتك لكذا وتشييدك أركان ملكها . وتحسينك نظام سلكها . فهبت بك عليها رياح الهناء والسرور . وتبسمت عن زيادة الفخامة والظهور ولا يخفى ان مقام الملك قدره كبير . وفضله عند جميع الناس شهير . لان به يدوم اجتماع الكلمة . وتبقى الامور محفوظة ومنتظمة . وبه يقوم صلاح العدل ويستدام . كما ان بالقلوب يقوم صلاح الاجسام . فهو سبب الهناء والعافية فى الارض . وبقاء تاليف الخلق بعضهم مع بعض . لا سيما إذا حل الملك فى أهله . ولم يخرج عن فرعه وأصله . لان الاشجار لا تثمر الا فى مواطنها وأصناف الاحجار

لاتنبت الا فى معادنها . والعين لا يبصر فيها الا سوادها . والاجسام لا يقومها الا أرواحها . وله فصل من كتاب تعزية وبعد فقد بلغنا ما أثر فى الخواطر . وعظم موقعه فى القلوب والضمائر . من خبر المحب الذى فجعت مماته . وسكنت حركاته . وغابت ذاته . وبقيت تذكر مزاياته فارتحل من هذه الدنيا الفانية . وانتقل الى الدار الباقية . وشرب كأس الموت الذى تذوقه جميع النفوس . ويستوى فيه الكبير والصغير والرئيس والمرءوس لان هذه الحياة السارية فى الجسوم . إنما هى مستعارة لاتدوم وتنقضى لاجل معلوم . فمثلها مثل الزرع لابد له من حصاد . أو الشجرة لابد لثمارها من جذاذ . ومن تذكر أن العمر ولو طال . كسراب لمع فى صحراء أو مرءاة مر بها خيال هانت عليه المصائب . وقابل بالصبر حلول النوائب . وله فصل من كتاب تهنية فقد تجدد فرحنا لهذه الزيادة التى صادفتهم فيها الصواب وحسن الافادة . وذلك دليل على حسن السيرة والسياسة . والسلوك من طريق التدبير لما شهدت به الفراسة . ولاشك أن الرئيس بمنزلة المصباح . وروح القوم هو كبيرهم ولاتتحرك الجسوم الا بالارواح . ومعلوم أنه لا يقدم فى كل أمر الا من هو أعرف به وأنسب . وتقدمه فيه أحسن وأصوب . ولا يخفى أن الرياسة شجرة تبقى ناعمة ما دامت فى محلها . ومرتبة عظيمة توصف بحسان صفات أهلها وله فصل من كتاب تهنية بزواج أما بعد فقد وصل كتابكم الذى أنبأ بكون الوداد بين الجانبين لا زال يربوا . وعنفوان شبابه لن يبرح الى تلك المحاسن يصبوا . حيث أعلمتم بالاتصال الذى ارتاحت له النفوس

وارتوت من بحره الطامى رسوم هاتيك الطروس . فكان بوسم التزويج كفيلا . وبالتناسل بين فئتين عظيمتين جميلا جليلا . فاتصلت مجادة بمجادة . وسعادة تتبعها سعادة . فهنيئاً لكم ثم هنيئاً بعقد ربط بين ذينك الفرقدين . وبشرى ثم بشرى باسعاد ارتبك بكلتا اليدين .

(قوله باسعاد قال الشهاب فائدة قال السيوطى فى شرح السنن الاسعاد المعاونة فى النياحة خاصة وفى غيرها المساعدة واصله من وضع الساعد على الساعد انتهى وعلى هذا فالاسعاد هنا ليس مستعملا فيما وضعته العرب وان صح على انه مجاز مرسل فى مطلق المعاونة لاكن الفصحاء يستقبحون مثله وقد بيناه فى كتاب قرض الشعراء المسمى بحديقة السحر فانظره اه كلام الشهاب

الاديب الكاتب

«أبو العباس احمد بن محمد الكردودى»

رحمه الله

كاتب قدمته الى التصرف أمانته وعدالته . ورقته بسعود الحظ آلته أديب رسخت فى المروأة قدمه وقصرت على الفضل شيمه . وحسنت نيته حتى سرى سرها فى قلمه . فظهر فى وجوه كلمه . استكتب فى وزارة الخارجية الى ان شالت ١ نعامته . ووسدت فى التراب هامته . فى عام نيف وعشرة وثلاثمائة والف « تتمـــة » وزارة الخارجية عبارة عن الاستقلال بمباشرة دعاوى أهل الحماية . وتنفيذ ما تعلق بها من عزل او

١ «شالت نعامته مثل عربي يكنى به عن الموت

ولاية . والوساطة بين السلطان وبين سفراء الدول وكبرائها . وكتابة الرسائل لملوكها ووزرائها . ولم يكن لهذا العمل فى قديم العصور . وزير مخصوص ولا محل مقصور . بل كان نظر الوزير الصدر منسحباً عليه يقدم من شاء من الكتبة اليه . ولما تبوأ السلطان المقدس مولانا الحسن كرسى الامارة . وألبس المملكة وشى التقدم والحضارة . وامتدت بينه وبينهم السفارة والمراسلة . رسم لهذه الاشغال محلا معلوما . ورتب لها وزيراً بحكم الاستقلال موسوما . وهو وزيره فى زمن خلافته . المعترف بسلامة إدراكه وأنافته من دخل بيت الرياسة من بابه . فبرز فيها على اقرانه واترابه رب القلم الذى خضعت له السيوف . والكرم الذى ملا الجيوب والكفوف بل أفنى المئين والالوف . والرأى الذى عززه الصواب فذلت له الصعاب . والفراسة الصادقة . والنباهة النافقة والسياسة التى هى فى مضمار النجح سابقة . والعلم والادب . الذى متى ندبه انتدب . والمعرفة التى انشدت كل جاحد وحاسد قائل قول القائل

أقلوا على لا أباً لابيكم * من اللوم أوسدوا المكان الذى سدوا
أولئك قوم ان بنوا أحسنوا البنا . وان عهدوا وفوا وان عقدوا شدو

سيدى محمد المفضل غريط حفظه الله فدبر الامور بسمو همة . وخبرة تقوم بكل مهمة . ونصيحة جمة وعفة تشهد بها كل أمة . وكان مجلسه بالعشى والبكور . لدى السلطان المذكور . مطمح نفسه وقلائد جيد أنسه . ونزهة غده وريحانة أمسه . حتى رقاه من رتبة الخديم . الى منزلة النديم . فصار معه على عكس ما قال طلحة

احذر مباسطة الملوك ولا تكن * ما دمت بالتقريب منهم واثقا
فالغيث عيشك ان ظمئت وانما * ترمى بوارقه اليك صواعقا

نعم كان آخذاً فى خدمته الشريفة بما قال أبو الفتح البستى

اذا خدمت الملوك فالبس * من التوقى أشد ملبس
وادخل اذا ما دخلت أعمى * واخرج اذا ما خرجت أخرس

وبقول الصفى الحلى

ان تصحب السلطان كن محترسا * متقن آداب الصباح والمسا
وكن لما يوثره مقتبسا * واخضع اذا لان ولن اذا قسا
ولا تكن طلقا اذا ما عبسا * ولا تكن مستوحشاً ان انسا
ولا تزر حضرته مختلساً * ولا تشمته اذا ما عطسا
وأوضح الامر اذا ما التبسا * من غير جعل رأيه منعكسا
ولا تشع سؤاله محتبسا * ولا تبت فى غشه منغمسا
ولا تشاركه باحوال النسا * لم تدر ما فى نفسه قد هجسا
فانه كالليث يخفى الشرسا * حتى اذا ريع حماه افترسا

ولما توفى السلطان مولانا الحسن قدسه الله وتصدر الحاجب احمد بن موسى. وصنع لنفسه يبذل الصنائع ناموساً. ادخل تلك الوزارة فى دائرة رياسته. ونشر عليها جناح سياسته. الى ان توفى نخلفه الوزير ابو محمد عبد الكريم ابن سليمان فى الخارجية. وخلفه ابن عمه الفقيه المدرس الحاج المختار بن عبد الله بن احمد فى الداخلية. وكان سوء الحظ حليفه منذ كان بزرهون خليفة. وكان ابوه صاحب ولايتها. وقابض جباياتها فلما

استخلفه تعدى وقسط . ومد يده للاموال وبسط . كانه لايعلم أنها خيس ١ الاسد القسور . مولانا ادريس الاكبر الانور . رضى الله عنه فاستقبح أبوه عمله فعذله وعزله . وبالغ فى استعطافه فلم يغنه . بل فعل به ما فعل المعتمد بابنه : فجفاه وأهمله . وكلما أمل الظهور أخمله . وتشفع اليه ببعض من يحقق ودهم ويصدق ثناءهم . فاجابه بقوله تعالى الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم . ثم استوزر للخليفتين مولاى عمر ومولاى عرفة . فما نفعه علم ولامعرفة . اذ كانا عليه مستبدين الى ان ولى الصدارة فعجز عن تحمل عبئها . فاتسعت عليه الخروق حتى ضعف عن رفئها . ومن حق الرتب ان ترف الى كفئها . وزاحمه وزير الحرب فى مقتضيات رتبته . ونازعه حتى أخافه من وثبته . وهو اذذاك يجالس السلطان ويقود عسكره . قد شرب من الغرور بذلك ما أماده واسكره . حتى صارت الاعناق له خاضعة . وأيدى العمال لاوامره رافعة وللاموال بين يديه واضعة . وبقى الوزير مذاجيا له لاقطا . ما كان من يد نفوذه ساقطا . الى ان حملته غفلته وسورة وسواسه . على ان قال لجلاسه ان هذا الامير ساء صنعه . فحسن خلعه . وهذ الاعرابى كثر فى غير الحق أخذه ودفعه . فوجب عزله ومنعه

واذا ما خلا الجبان بارض ﴿ طلب الضرب وحده والنزالا

ثم تجلد فعزم على المكر وصمم . واتفق عليه مع من تذمر من سيرة الوزير وتذمم . وأرجا الامر الى ان يتحرك السلطان من مراكشة

---

١) الخيس موضع الاسد كالخيسه ج اخياس وخيس

فيخرج حية غدره التى عادت عليه ناهشة . فظهر ما نواه . وانتشر ما
طواه . حتى بلغ السلطان وكان على عزم الحركة . الى بعض انحاء المملكة
فطفح بحر غضبه طفحا . وضرب عن الحركة صفحا . وعزل الوزير وأذله
وأحل الفقيه الوزير سيدى محمد المفضل المذكور محله . فسر أكثر الناس
بولايته . لما عهدوه من انتصاره للحق ورعايته . ونزاهته عن الطمع
وابايته . ووردت عليه التهانى بتلك الرتبة العظمى . من جميع النواحى
نثراً ونظما . فمنها قول الفقيه الاديب الكاتب أبى العباس أحمد ابن المواز

نسخت آية الضياء ظلاماً * فانجلى الحق وانتفى التغليط
كانت الناس قانطين حيارى * فبك استبشروا وزال القنوط
أنت أقدم رتبة أنت أسنى * همة أنت بالوفاء منوط
أنت أدرى بحال كل صديق * حاش يظن منكم التفريط
كل عين لم تبتهج بسناكم * ليس يعدو اجفونها التكشيط
كل أذن ماشنفتها مزايا * منك لم ينتسب لها تقريط
كيف وأنت أحفظ الناس عهداً
لذوى الود والثنا مبسوط
فلنا السعد والهنا إذ تولى * قطب فضل مفضل غريط

وقول الفقيه الاديب الكاتب أبى عبد الله محمد الغالى السنتيسى

السعد والاقبال والاسعاد * واليمن والتبشير والامداد
نشرت على جبل الوزارة والندى
أعلامها إذ بادت الانداد

وتلى لسان الحال منا قائلا * هاذى بضاعتنا لها ترداد
ردت الينا فالهناء لنابها * والمكرمات لنابها تنقاد
حمداً لمن فى كل عام ينتهى * يطوى لوغدرسم ماقدشادوا
والفضل للمتفضل المفضال بالا * سا فضال سيدنا سنى يزداد
والله يمنح عزه ونخاره * لامامنا المسدى لما يعتاد
إذأبدل الفحم المهين بدرة * ضاءت بعقد الكاتبين تراد

فدارى كبير العسكر . وجاراه فيما عرف وانكر لقيامه فى ولايته بما ابتغى . وان اسر حسو اًفى ارتغا(١) . حتى علم انه يروم ان يجريه على مراده وان لا يطعم الا من مزاده . وان يجعل رياسته لاغراضه قبلة . كما كان من قبله . فابى له إخلاصه فى تدبيره . ان يترك نصح اميره . وقد جعله محل ثقته . واظهر له دليل مقته . وابت له همته السرية السنية . ان يرضى بتلك الدنية . وقد جادل من هو أشد من ذلك الرئيس قوة حتى جدله . (٢)وقاوم من هو أكثر منه نخوة . حتى أجلسه عند ما حد له . وعانا معوج المشاكل . حتى عدله . وتخلص من حرج النوازل وكان الغير يرى ان لابد له . ولما تبين للرئيس ان قناته لا تلين لغمزه وان شهامته لاتميل لهمزه . عدل الى التلبيس والخداع . واستمال من لهم فى فن الكذب والتدليس اختراع وابتداع . وامدهم بمال غزير . وندبهم للتضريب بين الملك والوزير . فانتدبوا لمطلبه . وضمنوا له بلوغ مأربه فلم يصغ السلطان لما لفقوا . وعاملهم بخلاف ما تعاقدوا عليه واتفقوا

---

١) اسر حسواً فى ارتغاء مثل يضرب لمن يظهر امراً ويريد غيره ٢) جدله صرعه

فرجعوا بعد اللاى (١ والاين .(٢ بخفى حنين . ٣ وما أحسن قول ابن الحسين

أعيا زوالك عن محل نلته * لاتخرج الاقمار عن هالاتها

فلم يفز من سوء مذهبه . الا بضياع فضته وذهبه . ولم تزل سهامه تنعكس . ورأيه ينتكس . حتى علم ان الحقائق لاتشبه بالاوهام . وان الماضى لايقاس بالكهام . ٤وان المجرب لا يقابل بالغر . والليث لا يماثل بالهر . وان الليلة ليست كالبارحة . وأن اليد المانحة . ليست كالجارحة . فكبح ٥ نفسه الجامحة . عما كانت اليه طامحة . الى ان غدا ابو حفص التازى . اكبر مزاحم له وموازى . فاصبح بعد التهانى فى التعازى . واقتصر على طلب السلامة واقصر عن كل ما يوجب له ملامة . فابى الزمان الا ان يواريه . ويسترد منه عواريه . فعزل وقد يئس من الاعتاب . وضجر من الاعراض والعتاب . ووقع ما قدمته فى هذا الكتاب . من نتائج الثورة . التى كشفت من الديار المغربية كل عورة . ولما بويع مولاى عبد الحفيظ وكان مبنى أمره على العصبية والسياسة العربية . أسند أمر الخارجية الى القائد عيسى بن عمر العبدى وكان أحد اركان امارته . معمولا باشارته . ولما ثبتت قواعد امرته . ودارت أغراض الدول فى حضرته . وضعف أمر العصبية . بما ظهر من القوة الاجنبية . تقدم لتلك الوزارة الامين الكبير ذا الوزارتين الشهير الخبير أبا عبد الله المقرى الى ان اعادت لاول نشأتها . وانتثر عقد هيئتها برد الدوائر المخزنية الى الشكل المعروف . فى هذه الظروف

٦»اللاى الشدة ٢ الابن الاعياء ٣ بخفى حنين يقال رجع بخفى حنين لمن رجع من سفره بالخيبة واصله مذكور فى ق ٤» الكهام ضد الماضى ٥ كبح كف

الكاتب القاضى

« ابو المكارم العربى المنيعى »

رحمه الله

أستاذ ملى الوطاب . بقراآت الكتاب . كاتب حديد السنان . فاره البنان صاحب نوادر مطربة . واخبار معجبة . كعنقاء(١) مغربة . عنى بالتجوال فى السهول والجبال . وايثار الاجفال . لرفع الاغفال . ثم التى عصا تسياره بفاس قطب مداره . وجارة وجاره . واستكن ببعض مدارسها لاقتناص فوائد العلم من مكانسها . وتقلبت به الاحوال . الى ان استكتب فى خارجية الاشغال . فظهرت كفايته . وخفقت فى جو النباهة رايته . واعتبر من الكتبة الاعيان . حتى استنيب عن الوزير فى بعض الاحيان . وكان يقول اذا حصر . واستنصر القلم فلم ينتصر . الانشاء يوتيه الله من يشاء . ثم قلد قضاء الحضرة المراكشية . فكانت مهابته للقلوب غاشية . بما انه أظهر جده . وأرهف حده . وعامل طلبة المدارس بشدة وحدة . حتى منعهم الجلوس بأبوابها . ورأى ذلك حسنة يفوز بثوابها . ثم سفر لبعض الاغراض المخزنية بتافلالت . فلما آب منها وحل بطنجة فاجاه الحمام فى الحمام . على حال ارتياح وصحة ما تغيرت ولا حالت . فى عام سبعة عشر وثلاثمائة والف

١» العنقاء طائر معروف الاسم مجهول الجسم

الاديب الكاتب

(ابو محمد التهامي المزوار المكناسى)

رحمه الله

شاعر أمجد . أتهم فى الادب وأنجد . حاد اللسان والفكرة . فيما أحب شكره . او اراد نكره . سريع الاجابة . لداعى الكتابة . الا أنه كان يعتريه إعجاب . فيضرب بينه وبين الصواب بحجاب . وتخامره أنفة وخفة تحمل منه القلوب كلفة . عطل لذلك مرارا . وأذيق من العتاب مرارا وهذا أحد اعوان حرفة الادب التى ما برحت تجور . جور المقدم الخائن على المحجور . والحبيب البائن . على المحب المهجور . استكتب فى الخارجية فنفقت بضاعته . واهلته للظهور براعته . وهنؤت من ثدى المنافع رضاعته . ثم نقل الى الداخلية واستمر بها الى ان كدر شرابه وضمه ترابه . فى عام نيف وعشرين وثلاثمائة والف وله شعر سقيت بماء الانسجام غروسه . وازدهت بمنصة الاحسان عروسه . فمنه قوله يمدح جواباً ورد من علماء فاس على يد الباشا الحاج عبد الله بن احمد

لله در جواب زانه أدب * من أفق فاس أتى تحدو به النجب

مرصع بجواهر العلوم واسـ * ـرار الفهوم وقد أدى الذي يجب

وثغره افتر عن نبل وعن حكم * نيطت بها قرب سمت بها رتب

أسرار غرته الغراء قد كسيت * من الرضى حللا قد حاكها أدب

قدقوبلت بقبول وازدهت وسمت * على السوى وبها قد رصعت كتب

ناهيك من درر جميعها غرر * منها المعارف والاسرار تكتسب
أتى بكل بديع من نتائجه * وقد حكى الغير لاكن فاته الشنب
مزية أحرزت فاس بسابقة * وغادرت غيرها يبكي وينتحب
وقادة العلماء المستضاء بهم * منها لقد أحسنوا فيما به كتبوا
نالوا انخاراً وعزاً في الورى وعلا * به وذكراً جميلا حيثما ذهبوا
كما لقد ناله الاسمى المشير الذى * له الدها ينتمى حقاً وينتسب
عبد الاله بن احمد الذى حمدت * أنباؤه وبها يستجلب الطرب
تاج الرياسة ميمون السياسة من * لنبله خضع الحذاق وارتهبوا
فهو الذى ثبتت فى الخير وطأته * لا يختشى فيه ان يمسه نصب
وهو الذى الحزم أضحى من خلائقه * والجد والعزم والاكرام والحسب
فاهنأ بيمن به يمناك قد ظفرت * فليس عنك مدا الايام يحتجب
مع نجلك الاسعد الاسمى محمد من * أضحى لثدى الرضى والخير يحتلب
نعم الخليفة من طابت مئاثر دالـ * ـحسنا بطول المدى للبر يجتلب
لازال مجد كم المحروس مرتقياً * أوج السعود ومكمولا له الارب

قوله وقد حكى الغير لاكن فاته الشنب هو من قصيد وقعت فيه مناقشة بين محمد بن عبد المنعم بن محمد بن شهاب الدين الخيمى الانصارى وبين نجم الدين بن اسرائيل ذكرها الكتبي فى فوات الوفيات قال اتفق ان نجم الدين بن اسرائيل حج فرءا ورقة ملقاة فيها القصيدة التى لابن الخيمى البائية المشهورة فادعاها قال قطب الدين اليونينى فى تاريخه ان ابن اسرائيل وابن الخيمى اتفقا واجتمعا بعد ذلك بحضرة جماعة من الادباء وجرى

الحديث فتحا كما الى شرف الدين بن الفارض فقال ينبغى لكل واحد منكما ان ينظم أبياتاً على هذا الوزن والروى فنظم ابن الخيمى * لله قوم بجرعاء الحمى غيب * القصيدة ونظم ابن اسرائيل * لم يقض من حقكم بعض الذى يجب * القصيدة فلما وقف عليهما ابن الفارض قال لابن اسراءيل لقد حكيت ولاكن فاتك الشنب . وحكم بالقصيدة لابن الخيمى واستجاد بعض الحاضرين أبيات ابن إسراءيل وقال من ينظم مثل هذا ما الحاجة له إلى ادعاء ما ليس له فابتدر ابن الخيمى وقال هذه سرقة عادة لا سرقة حاجة وانفصل المجلس وسافر ابن اسراءيل لوقته من الديار المصرية وطلب ابن خلكان وهو نائب الحكم بالقاهرة الابيات من ابن الخيمى فكتبها له وذيل فى آخرها أبياتاً وسأله الحكم بينه وبين من ادعاها والقصيدة المدعاة هى هذه

يامطلباً ليس لى فى غيره أرب * اليك آل التقصى وانتهى الطلب

الى ان قال

يا بارقاً باعالى الرقمتين بدا * لقد حكيت ولاكن فاتك الشنب

وكان الذى نظمه ابن اسراءيل

لم يقض فى حبكم بعض الذى يجب . * صب متى ما جرت ذكراكم يجب

الى ان قال

لكدت تشبه برقاً من ثغورهم * يادر دمعى لولا الظلم والشنب

اه باختصار القصيدتين

وله فى استعطاف السلطان مولانا الحسن قدسه الله

يامن بعزته الشريفة قد كسى * كل الورى حلل الرضى والسندس
وصفان بابك موكب الكتاب ها * هم يطلبون من الجناب الاقدس
ما قد تعوده الجميع بعطفة * من كسوة البحر الكبير الانفس
فلها نفوسهم تشوق وتختشى * من ان يشيع أن جانبهم نسى
فبحق طلعتك الكريمة خصهم * بعناية تجلى لدى كل مجلس
حتى يعود جميعهم من حينه * فرحاً يميس كما الغصون الميس
فالله يبقى النصر والتاييد فى * علياء مولانا حياة الانفس

وله

أسيدنا الوزير أجب بعطف * سريع فى العشى بما وعدتنا
فحاشا جاهك الميمون حاشا * يجيب عن الوعود بقف وحتى
فمجلسك الموفر فى انتظار * لانعام به فى اليوم جدتنا
ورب العرش يبقى فى اعتلاء * جنابك واعتزاز ما بقيتا

وله

يا ابن الكرام الامجدين الصيد (١) * أهل المواهب والوفا والجود
أين العهود واين وعد كم الذى * هو بالوفا قمن بلا تفنيد
بالسيد العم السعيد المرتضى الـ * أسمى تكفلتم لنا بشهود
فلانتم يا آل غريط لكم * آثار فضل فى الورى ممدود
فردوا مياه العز يا أهل الصفا * فلانتم فى الخلق بيت قصيد
ان عد أهل الجود من بين الورى * فهلا لهم أنتم بلا تفنيد

١ » الصيد بكسر الصاد جمع اصيد وهو الرجل صاحب النخوة

ان السيادة حزتموها والعلا * عن سادة الاباو خير جدود
بالمبتغى من عز مجد كم صلوا * رحما بلا بعد ولا ترديد
والله يحفظ جمعنا فى السيدا * أز كى المفضل عين كل سعود

الفقيه الاديب الكاتب

« أبو محمد عبد القادر بن عبد الرحمان الفاسي »

رحمه الله

عالم نبيل . من اعيان ذلك القبيل . كاتب برز فى الانشاء وبرع . وورد من مشرع الادب وكرع . واغرب فيه واخترع . واولع بالبديع والبيان حتى حفظ قلائد العقيان . وكان له لسان مجتلب . وقلم لضرع المنافع محتلب . ادرك من الشهرة فى أيام الوزير ابى عشرين . ما يدركه رفيق ليث العرين . وحظى لديه حتى كان يصاحبه فى موكبه . ويقرب مركبه من مركبه . ويعمل باشارته ويعتمد عليه فى شؤن وزارته . وينشئ المكاتيب كما يشاء فتمضى . ويشفع لذوى المطالب فتقضى . حتى ظهر ظهور الهلال . بذلك الجاه الوريف الظلال . فتنبهت عيون الوشاة لتلك الحظوة . فاصابته فى سبيلها كبوة . كادت تسقطه من اوج حرمته وتستلب مذخوره برمته . ولما صدر فى شأنه ما صدر . دافع الوزير عنه واعتذر . واعتنى بامره ووفا . واستعطف الامير حتى عفا . وانهضته شفاعته من عثاره . وحمت نظام عزه من انتشاره . فنهض مقصراً من عنانه . مقتصراً على اعمال بنانه . الى ان نفد زمنه . وضمه مدفنه . وكانت

وفاته بمكناس فى شهر شعبان عام ستة وتسعين ومائتين والف ونقل الى قبة الولى الصالح سيدى يوسف الفاسى خارج باب فتوح

الاديب الكاتب

« ابو عبد الله محمد ابن سليمان »

رحمه الله

امام مذهب المتظرفين . رونق مجالس المتلطفين . كاتب منصف ليس بوان ولا متعسف . ذو قلم سيال . وكلام ميال . وخط قويم . هو الدر اليتيم . تغازلت فى وجه الرقيم عيونه . وتقوست لرمي الاغراض نونه وافترت عن شنب الاجادة ميماته . واستقامت على عروش السطور الفاته كقناة فى كف محراب أو امام فى محراب وكان فى عنفوان شبابه . مسترسلا مع هوى أحبابه . قد اتخذ صاحب الدير قدوة . وتمسك من شيخ دار الندوة بعروة . ان ارتج باب السرور فهو مفتاحه . او سجا ليل الاكدار فهو صباحه . كان الزهرة علقت بجبينه . وعوامل الافراح أنيطت بيمينه غير انه أقلع عن لهوه . واستيقظ من سهوه . وتوجه لطلب مغفرة الله وعفوه . لما تزايد ضعف بنيته . واستشعر حلول منيته . استكتب فى داخلية الاشغال . ومضى له فى طلب المنافع بطأ وإيغال . (١) الى ان استوزر بمراكشة للخليفة مولاى العباس . وتبختر من الرعاية والظهور فى أبهى لباس . وحدثت له حادثة . كانت بقلبه نافثة . وهى ان الوزير ابا العباس احمد بن موسى بن احمد وجه أخاه محمداً الى الدولة الفرنسوية

---

(١) الايغال الاستعجال

سفيرا . وجعله له رديفاً وخفيرا . وكان الاخ المذكور مختلا مزاجه
متعذراً علاجه . يأتى فى بعض الاحيان بافانين . من أفعال المجانين
وكانت السفارة أسندت لوالدى أولا . ثم صار اسنادها عنه محولا . لما
كان بينه وبين امين الامناء من التنافس والشحناء . وكان الامين أثير
الاشارة فى تلك الوزارة . ومن صرفت عنه قضية . فقد صرفت عنه بلية
فلما قضى السفير امر سفارته . فى عهدة الكاتب وخفارته . استدعى
لمشاهدة أشكال الوحوش وانواعها . والاعتبار بتيسير اجتماعها . فلما
رآ الاسد كاشراً عن أنيابه وأضراسه . ظن أنه هم بافتراسه . وكاد ان
يفعل شئاً فى لباسه . وقرع قلبه من خوف باسه . ما قرعه . واشتد به
جنونه فصرعه . فلما شعرت الدولة باختلال عقله . عابت على أخيه ارسال
مثله . فلم ير لخرقه رافيا . ولا لغيظه شافيا . الا انه صار للكاتب . أشد
لائم وعاتب . واتهمه بغش اخيه والتعرض لفضيحته . بترك نصيحته
واعرض عنه ورفضه . وأهان جانبه وخفضه . ولله در القائل

غيرى جنى وأنا المعذب فيكم * فكاننى سبابة المتندم

أما الامين فلا تسل . عما لقى من توبيخ أشد من وخز الاسل . وتلطيخ
لم يطهر منه مغتسل . وغض من حظوته وحرمته . والله يقابل الجميع
بعفوه ورحمته . واستمر المترجم على تلك الحالة الى ان قضى نحبه . وفارق
صحبه فى عام نيف وعشرة وثلاثمائة والف واكرم بالدفن بقبة الولى القطب
سيدى عبد العزيز التباع رضى الله عنه ونفعنا ببركاته

الشريف الاديب الكاتب

(مولاى احمد البلغيثى)

رحمه الله تعلى

أحد الكتبة الكبار . أهل النباهة والاعتبار . صاحب دعابة تعلق بالارواح علوق الطيب بالراحة والنشوة بالراح . وقلم يقذف دررا . ويطلع المعانى غررا . وكرم لا يبقى ولا يذر واقدام يصرف عن الحذر . كان خطيباً بجامع الرصيف . وله فى العدالة تبريز وتصريف . ثم نقل الى الاستكتاب بشريف الاعتاب . الى ان صنع لبعض حفدته عقيقة . بهيجة أنيقة استدعا لها الوزير الصدر ابا عبد الله الجامعى فيمن استدعاه . فانبسط لمطلبه وأجاب دعاه . فى فتية من مطربيه . وفئة من مقربيه . فمن شدة سروره بقدومه . وابتهاج ناديه باقماره ونجومه . اعتراه فالج سكنت به أوصاله . وطال فيه اعتقاله .

وكان كالمتمنى ان يرى فلقاً * من الصباح فلما ان رآه عمى

فيا لها من خفة جرت ما يثقل . ومن فرح النفس ما يقتل . ولم يزل يعانى ذلك الداء الى ان وافاه حتفه . وثنى الى القبر عطفه . فى منتصف عام سبعة وثلاثمائة والف ودفن بروضة الولى الصالح سيدى احمد بن الحسن بباب عجيسة

ولده الاديب الكاتب

(مولاى الطاهر)

رحمه الله

فرع اربى على أصله . فى حدة نصله . وسرعة سعيه للظهور ووصله . لم تنب مضاربه . ولم تعد مناقبه . وكان ذا حسن وكرم لايخيب من يرجوه *(كما قال صلى الله عليه وسلم اطلبوا الخير عند حسان الوجوه .)* استكتب فى الداخلية مدة ثم استخصه الوزير احمد بن موسى واستند الى كفايته . وقابله بوجه ثقته وعنايته . وكان يرسله على الاغراض بازيا فلا يرى له فى النشاط موازيا . الى ان صار حليف سقم وكآبة . وهوى نجمه من سماء الكتابة . وكان بعد ماأشفى على شفا . وأيس من العلاج والشفا . آنس من نفسه خفة . ومن قلبه الى السلو عطفة . فاحتفل لنزهة آثر بها من يود إيناسه . ويدير على سفرة المراح كاسه . بروضة قرب باب اغمات . تجلب الانس وتجلى الغمات . فبينما هو على المائدة ينشر فوائده . ويسرد قصه . ويبرد بمعين معناها غصة . إذ مر به طيف الحمام بغتة . فذهبت نفسه فلتة . فى عام سبعة عشر وثلاثمائة والف وكان فقده على السياسة الاحمدية . اعظم رزية ه اذ لم يحصل خلفه فى رتبته العلية . ما حصل من المزية . بل كان موته علامة ادبار تلك الايام . وانتثار ذلك النظام . ولله البقاء والدوام

الاديب الكاتب

« أبو محمد عبد الواحد ابن فقيرة المكناسى »

رحمه الله تعلى

فقيه محقق . عدل موثق . ذو خط بالحسن موصوف . وتقدم فى النوازل معروف . كان متصدراً للشهادة والافتاء بمكناسة . متميز أبجد: وكياسة ثم وقعت بينه وبين الفقيه القاضى أبى العباس احمد ابن سودة منافسة ومنابذة . أدت الى مناقشة ومواخذة . تخلص منها بعد الاشراف على تشهيره وحلق لحيته . وتخريق جلباب حرمته . ثم نقل الى الكتابة بالعدلية . فحلى جميع كتابها أقبح تحلية . ومنى منه وزيرها أبو الحسن المسفيوى بالجرح المولم . والقرح المظلم . لما اتصف به رحمه الله من الافراط فى الجرآة . على عظيم الاساءة . وكثرة الازدراء . بالكتاب والوزراء وكانت أفعاله وأقواله الجارية على سبيل البسط والدعابة مقبولة عند الجل مستطابة . حتى كان السلطان المقدس مولانا الحسن يتنزل لخطابه . ويسر بمسكت جوابه . ثم نقل الى الداخلية واستمر بها الى ان أتاه الحين المبرم . ونزلت به أم قشعم (١) فى عام نيف وعشرة وثلاثمائة والف

الاديب الكاتب

« أبو محمد الغالى ابن سليمان »

رحمه الله

---

١ » ام قشعم الموت »

ابناء سليمان فرقتان بفاس فرقة بدرب المعادى. أهل اشتغال بالامر المعاشى والمعادى. ليس لهم منافس ولا معادى ومنهم الزجال المشهور. بالقصائد التى حظيت بالظهور. المشتملة على رقة الغزل والغزل. المستميلة من صد عن سنن الغرام واعتزل. وفرقة بحومة العيون. أصحاب شهرة وشئون ولبعضهم فى الادب قدم. وانتظام فى سلك الخدم. وقد مر منهم فى هذا الكتاب اثنان. انقادت لهما الرياسة فى أسلس عنان. فلعبا فى ميدان السياسة بالسيف والسنان. وثالث كان له فى الفكاهة والنوادر افتنان وهذا الرابع يشار اليه بالاصابع عجيبة من عجائب المصنوع. وغريبة تطابق منها المنظور والمسموع. كاتب ذو بلاغة ومجون. وتعقل يشبه الجنون وتعلق بالاوهام والظنون. ولسان كالعضب الجراز. (١) وكلام كله مجاز شق بفضلة دهائه. كما شق نصر بن حجاج بفضيلة بهائه. حتى كاد يرمى لكثرة بحثه عن علل المكونات وانتقاده. بضعف اعتقاده. ويسقط من العيون. وتتناذره الاعيان تناذر منكر الديون. ومن سلك نهج الزلق فهو بالسقوط حرى وفى مثل هذا قال الزمخشرى

العلم للرحمان جل جلاله * وسواه فى غفلاته يتغمغم٢
ما للتراب وللعلوم وانما * يسعى ليعلم أنه لا يعلم

وقال الاخر

برح(٣) بى ان علوم الورى * اثنان ما عليهما من مزيد
حقيقة يعجز تحصيلها * وباطل تحصيله لا يفيد

---

١) العضب الجراز السيف القاطع ٢ يتغمغم لا يبين الامه ٣ برح به اشتد به اذاه

وقلت

خذ من الغفلة حظا (١) * تلق وجه الحظ (٢) طلقا
رب ذى بحث كثير * نال اقلالاً وضيقا
حكم العقل فأضحى * حكمه فى الناس حمقا

وكان جسوراً على لذاته . لاهياً عن معرة المقال واذاته . لا يرى مركب لهو الا امتطى متنه . واقتدى بهذا البيت الذى هو على الكثير فتنة

من راقب الناس مات غما * وفاز باللذة الجسور

على تقلله فى ملبسه ومطعمه . وتبتله (٣) لمن مد موائد أنعمه . وكانت له ملكة فى الفنون الادبية . خصوصاً الموسيقى والعربية . استكتب فى الخارجية ثم نقل الى الداخلية على تقصير من عنانه . واحتراس من يده ولسانه . الى ان نبذ الحياة من وراء . وأعيد الى الثرى . فى عام سبعة عشر وثلاثمائة والف بمراكش اما شعره فجله مقصور على الهزل . وان كان رقيق الغزل وبعضه نزيه جزل . ومن شعره قوله

لم أنسه مذ قال يوماً لى أه (٤) * وأنا عليه مخافة الايلاج
فاجبته دع ماتراجى من أه * واصبر على الادخال والاخراج

وهو فى تصريحه بفاعليته . أخف أمراً من ابن سليمان الاندلسى فى اقراره بمفعوليته . فى قوله

قالوا علقت به غلاماً حالكاً * فاجبتهم فى فيه مايشفى المهج
واذا جننت بحبه وغرامه * علقت فوقى منه حرزاً من سبج

١ حظا نصيبا ٢ الحظ الجد والبخت ٣ تبتله انقطاعه ٤ أه لغة مراكشية معناها لا

فانه وان أتى بالمعنى البديع . والسهل المنيع . فقد أقر بعمل يقال فيه استنوق الجمل .(١) ومن هذا النمط . قول من غض من قدره وغمط

قلت لتاج الدين فى خلوة * وقد علاه عبده الاصغر

التاج يعلوا فوقه غيره * قال نعم ياقوت أو جوهر

فانه وان جاء بالتورية . الياقوتية الجوهرية . فقد ادخل نفسه فى المذمة ووسمها بسقوط الهمة . فان الحاضر شريك الفاعل . كما ان المستمع شريك القائل . وأما نثره فقد عرفت باتقان النظم درره . ووصفت بالتحسين غرره . وصدحت برياض الطروس بلابله . ونصبت لترويض النفوس حبائله . وله شرح على قصيدة المالقى المسماة بأنجم السياسة . فى غاية الاجادة والنفاسة . عاقه واردحمامه . عن اتمامه . وتويلف فى أمثال العامة . وله قصيدة فى ملوك الدولة الشريفة العلوية . لها شرح سمى بالحلل البهية شمخ فيه صاحبه وخضع وخفض بزعمه ووضع وخرق ورقع والطيور على امثالها تقع ومن نوادره أنه كتب كتاباً بين يدى الوزير أبى عبد الله الصنهاجي وأتى باسم كان مؤكدا بضمير منفصل وبخبرها مفرداً فلحنه الوزير فى هذا التركيب . فرد عليه ولم يخش من مواخذة ولا تنكيب ﴿ بقوله تعلى اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء الاية ﴾ فاصاب غرض الاستشهاد . وقضى من وجهة التعريض المراد . وأطرق الوزير كانما القمه حجرا . وأشربه عياً وضجرا . ومن أقواله التى جرت بين الكتاب مجرى الامثال . قوله أصحاب صغار الاعمال

---

١) استنوق الجمل اى صار ناقة وهو مثل قاله طرفة ابن العبد

مستخدمون بالامال . فالكاتب يامل ان يكون وزيرا . والمخزني يرغب ان يكون رئيساً او قائداً كبيرا . فمنهم من يفوز برجائه ومنهم من يموت بدائه . انتهى بمعناه وهو رحمه الله ممن مات ولم يدرك من معشوق الجاه غرضا . ولا شفت له الايام مرضا

ما كل ما يتمنى المرأ يدركه * تجري الرياح بما لا تشتهي السفن

فكان حظه كلما اراد القيام قعدت به الايام . وكلما تانق فى كتاب أتاه من حيث لا يحتسب العتاب . وكان السلطان مولانا الحسن قدسه الله كثيرا ما يؤنبه ويعتبه لترك الادب فيما يكتبه . حتى انه وقع له على رقعة حركت منه غيظا واشفاقا . ﴿ الاعراب أشد كفراً ونفاقا ﴾ وكان الوزير ابو العباس بن موسى رحمه الله ارسله لقبض مال من القائد عيس ابن عمر العبدي ثم اتهمه بانه مد الى بعضه يد التعدي فاشخصه الى مراكش وثقفه ببعض الابراج واحرجه كل الاحراج فى الادخال والاخراج حتى عدم الصبر والاحتمال فادى ما اتهم به من المال عفا الله عنا وعنه بمنه

الفقيه الاديب الكاتب

﴿ ابو زيد عبد الرحمن بن محمد الشرفي ﴾

رحمه الله تعلى

الشرفيون ينتسبون الى شرف العقاب . فارقوا نعيم الاندلس لما نزل بها العقاب وكشف الاصبان عن وجهها النقاب . وحاول ان يتملك بعد الاموال الرقاب . فشح بفراقها وقطن . من جاد بالدين للوطر والوطن

وفر بدينه من أخلص لله فيما ظهر وبطن . وتخلص هؤلاء الشرفيئون
وغيرهم من تلك الباساء تخلص ذات النفاس . واستقروا بفاس. الى ان
رحب بيتهم . وسلك حيهم فى طلب الظهور ما سلك ميتهم . ووجدوا
فى شأنهم رفعة وفى عيشهم خفضاً ودعة . ومن يهاجر فى سبيل الله يجد
فى الارض مراغما كثيراً وسعة . وأبو زيد هذا وسطى عقدهم . ومجدد
مجدهم . رفيق جدى وشيخ أبى وممده من بحره الادبى
واعية عصره . راوية مصره . ذو مشاركة جليلة . وسجية بماء البيان بليلة
وكان يحفظ مختصر خليل . ويخوض فى بحور الشعر بفكر مديد وباع
طويل . استفتح بكتابة بعض عمال السراغنة . وظهرت غرة سعده بعد
أن كانت كامنة . ثم خطى خطوة ثانية . الى الكتابة بالحضرة السلطانية
ولما عزل ابو المكارم الجامعى عن الصدارة . زهد فى الكتابة ولزم داره
اذ كانت له لديه أوان الخدمة . حظوة وحرمة . الى ان ولى الحسبة بفاس
فكان المحك الفاضح لكل ذى مكيال وقسطاس . مع جدو قناعة واغلاظ
على الباعة . ثم عزل عنها لعثرة ما أقيلت وزلة قيلت . وهى ان السلطان
المقدس سيدى محمد لما كان له زمن خلافته من الاعتناء باستثمار المنافع
قدم طائفة من عبيده لتعلم الصنائع . فقبض المترجم له على واحد منهم
وأوجعه ضربا . ولم يرع له احتراماً بالخليفة ولا قربا . فتغوفل عن فعلته
وأغمض جفن المواخذة عن زلته . ثم تصدى لعدل كان له انتماء الى
العلامة الاوحد . القاضى مولاى محمد . حظى لاجله بوظيفة الشهادة
بعض موازين البلد . فصار له خصماً الد . وعزله عن وظيفه . وبالغ

فى تخويفه . وقل من اعتمد على جده ونبله . فلم يفلت صيد الولاية من حبله . وما أحسن قول لسان الدين رحمه الله فان غضضت طرفك أمنت عن الولاية صرفك . فقابله القاضى . بالحلم والتغاضي . ولما علم ذلك من كان يحصى عليه الانفاس . ابن الطالب عامل فاس . وكان أجرأ من خاصى أسد . على اذاية من صلح ومن فسد . يسير فى الحاضرة سيره فى البادية . من التجبر ومد اليد العادية . كأن زياداً حشو ثيابه . وأبا مسلم آخذ بركابه . والحجاج واقف ببابه . كتب لجلالة السلطان بما لم يجر وما جرى . وراش فى تحريك غضبه وبرى . فأمر بتاديبه . بالاغياء فى عذله وتانيبه . فبالغ فى الاضرار به . كما قيل وقع الدف بيد ضاربه . وقوبل بالتوبيخ والتهديد . وعومل بالقسوة والتشديد . الى ان شفع فيه صديقه الفقيه الوزير سيدى محمد غريط وبين حقيقة الواقع . وصرح بان خرق العامل ليس له الا العزل راقع . فقبلت شفاعته . وقبح فعل العامل وعظمت شناعته . إذ تعدى فى الامر حده . وشفى غيظه وحقده . ولم يرقب فى وصف العلم والخدمة . الا ولا ذمة . وما أحسن قول مولانا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه

وقيمة المرء ماقد كان يحسنه * والجاهلون لاهل العلم أعداء

وكان هذا العامل جمع جموعاً كثيفة . وخرج عن الطاعة بقبيلة نتيفه وتمنع واعصوصب . وقتل وغصب . ففوض السلطان المقدس مولانا عبد الرحمن النظر لولده المقدس سيدى محمد فى حسم مادة عدوانه فاستعان عليه بطائفة من اخوانه . فقعدوا عن نصرته . وسيق أسيراً الي

حضرته . ثم ولاه السلطان عمالة فاس فحكم فيها بما استشهى . ونهى عن العود الى الجور فما انتهى . وتداخل فى الاحكام الشرعية . وسلط ذئاب أصحابه على الرعية . حتى أفضى الحال بمن خالطهم من تجار فاس . الى الفقر والافلاس . والسلطان فى اشغال شاغلة . بعلاج القبائل الناغلة . على ما كان به من الكبر . وانكسار القوة الذى رام جبره بالحركة فما انجبر لاكنه تجلد واصطبر . ونظر فى نبا من عبر من الملوك فاعتبر . ومن الله بشد أزره . بولده المذكور فاشركه فى أمره . الى ان ختم صحيفة عمره واستولى الخسوف على قمره . وبويع ولده سيدى محمد فحذر العامل ان يكون بحذفه الابتداء . وان تعثر به الايام فينكشف عنه الرداء . وود الفداء ولات حين فداء . اذ كان اسلف الى السلطان المبايع ما أسلف من سوء الادب وقلة المبالات وهو مستخلف . وخامره الخوف حتى اشتدت به السوداء . وظن الاوداء من قبيل الاعداء . ثم أحس بحتفه فامر باحضار مكحلته وسيفه . وجعل يرطن ببربريته . ويلعن بان العدو طرقه بسريته وما هو الا الحمام الزؤام . الذى يريح الكرام من اللئام ولم يزل يخلط فى مقوله . حتى سقط من طواله فاماته الله على ما عاش عليه يحارب الموت بسلاحه . ويرى أنه قرن كفاحه . ويحكى ان الحجاج لما حضر أجله . واشتد وجله . اختلط وجعل يقول وهو بنفسه يجود يا قيود يا قيود . نسئل الله حسن الخاتمة . ونعوذ به من مصارع النفوس الاثمة . ثم استقدم الكاتب المذكور . للمحلة المخزنية بزمور فقد ملها والسلطان اذ ذاك عليل . وشمس عمره على رءوس النخيل توذن بالرحيل

وولى قراءة الحديث بمقامه الجليل. ولما توفى وبويع ولده السلطان المقدس سيدى محمد كلف صاحب الترجمة بعد مدة بمباشرة الاشغال الاجنبية وتصفح الرسوم الدينية . ثم صرف الى وزارة الخليفة بمراكش الى ان طرقته نزلة أذهبت حفظه واثقلت لفظه . فبارح الاهل والاخوان ودخل فى خبر كان بعد فجر يوم الاربعاء الثالث عشر من جمادى الاولى من عام اربعة وثلاثمائة والف رعمره ست وسبعون سنة وتسعة وستون يوماً ودفن فى الروضة المدفون فيها بعده الشيخ الجليل الذاكر سيدى محمد بن احمد المخلوفى الودغيرى المدعو الغياثى الادريسى رحمه الله خارج باب فتوح ومن شعره ما مدح به الامام الاشهر . الولى الازهر القطب الاظهر . مولانا ادريس الاكبر . رضى الله عنه ونفعنا ببركاته

حط الرحال بأهل الله وانشرح * واقرع بهم باب فضل الله ينفتح

هم صفوة الله بعد الانبياء فسل * من ربهم بهم ماشئت واقترح

قوم كرام على المولى الكريم حمى

من احتمى بهم والله لم يبح

وداد آل نبى الله مفترض * فاخضع بابوابهم ماعشت وانطرح

من لم يدن ربه بصدق حبهم * يحشر ورائحة الايمان لم يرح

لولا الامام ابن عبد الله نخرهم * بغربنا علم التوحيد لم يلح

ادريس جامع اشتات المحاسن كم * أتيح من شرف كالشمس متضح

ياطالع السعد بحر الجود عنصره * أنت المرجى لكشف الخطب والترح

أنت الملاذ اذا ما ازمة عظمت * وفوقت اسهما من منظر أشح

ان المقام الذى قدست تربته * كالمسك تربته والعطر ان يفح
ما أمه حرج فى نفسه قلق * الا وآب بصدر منه منشرح
إنا قصدناك نرجو امنك منقلبا * فيه المنى ودوام العز والفرح
ماذا عسى يبلغ المثنى عليك وقد * اتى بغاية مدح فيك منفسح
بحق راشد المولى صفيك من * ورثته السر مكنونا فلم يبح
والغوث ادريس من أضحت مئاثره
تتلى بمغتبق منا ومصطبح
اقبل مهيض جناح ام بابك يا * كهف العلا وأناله أعظم المنح

وقوله ما ذا عسى يبلغ المثنى عليك وقد . هكذا ذكره شيخنا العلامة البركة سيدى محمد بن جعفر الكتانى حفظه الله فى كتابه الازهار العاطرة الانفاس . والاولى ان يقول ما ذا عسى يبلغ المثنى عليك ولو كما لا يخفى على المتأمل ثم وجدت بخط من نقل من خطه ما نصه ما ذا عسى يبلغ المثنى عليك وان . وهو الصواب ومن شعره قوله مؤرخا وفاة شيخ الشيوخ . علم التحقيق والرسوخ . ابى عبد الله سيدى محمد بن عبد الرحمان الفلالى الحجرتى دفين قبة الولى الصالح الاشهر سيدى عبد العزيز الدباغ قدس الله سره ونفعنا به

زر قبر شيخ مديد العلم وافره * من لا نظير له فى الغرب سائره
تاج المحاسن مافى الدهر مكرمة * الا وتعزى الى ميمون طائره
محمد بن ابى زيد عنيت وهل * يطاق تعداد بعض من مئاثره
يوم الكرامة عفو جم شامله * ورحمة الله كنز من ذخائره

عام خمسة وسبعين ومائتين والف واجتمع مع بعض الكتبة فى منزل صديقه الوزير سيدى محمد غريط رحمه الله فقال الصديق المذكور

اصبح الجو لابساً ثوب دجن ١ * عنبرياً يجر فى الروض ذيلا
والندى قلد الغصون عقوداً * واستجازه فقال المترجم رحمه الله
كالعرائس فى المنصات تجلى
روض سعد زهى بصوت مغن * ينعش الروح اذ يحرك ذيلا
لا تقسه بشعب بوان حسناً * ان مدحت فذا اجل واعلا
بين ادواحه ارتشفنا كؤساً * للسرور من المدامة أحلا
حبذا نزهة بروض أريض * لم تزل آى شكر ربه تتلى
سيد هو فى المحاسن فرد * حازها منذ كان فى المهد طفلا
من به ازدهت الوزارة اذ لم * ترض الا سنى قدره بعلا
دام بالله يرتقى كل يوم * مرتقى فى مدارج العز سهلا
بالنبى محمد مع آل * وصحاب عليهم الله صلى

ومن شعره ما هو مكتوب باسفل منار مسجد الوادى بالعدوة ونصه

ليس ارتفاعى لضير * لاكن علوت لخير
أدعو أهيل ودادى * طرا بافضل ذكر
تقوى الاله أساسى * وعابد الله فخرى
لنجل أحمد فضل * يتلى بسر وجهر
به غدوت مناراً * فى عام لله شكرى

١» الدجن الباس الغيم الارض واقطار السماء ٢» شعب بوان لشداد بفارس احدى الجنان الاربع الدنيوية

انتهى وكان هذا المسجد مدرسة . لاغصان اللهو مغرسة . ترتكب فيها عظائم الفحشا . ممن شرب خمر الفساد فانتشى . الى ان اذن الله لتلك الخبايا ان تشهر . ولهاتيك البقعة ان تطهر . فعثر فيها على قتيل . نجى بيدنه من التمثيل . فازعج منها أولئك السكان . وهدمت منها البيوت والاركان . ثم جعلت مسجداً جامعا . وأبدلت من تلك الظلمات نوراً لامعا . وكان هذا العمل الذى يشكر ويحمد على يد الباشا الارشد . الحاج عبدالله بن احمد رحمه الله تعالى وكتب له رفيقه سيدى محمد غريط المذكور غب ايابه الحميد . من سفارته لمدريد . هذه الابيات

هو الجد من يعنى به فاز بالحمد * وخالطما يجدى وباعد ما يردى
وليس اخو دفى الورى بمؤخر * عن الغرض المحمود فى البدء والعود
ولم أر موصوفا به فى زماننا * سوى فاضل ندب يكنى أبا زيد
اهنئه والله يحفظ مجده
بمقدمه المصحوب باليمن والسعد
مبلغ آمال مقضى مئارب * مقابل صنع الله بالشكر والحمد
واسأل مولانا الكريم شفاءه * فذاك لدينا غاية السؤل والقصد
وعذراً له عن ان اعود جلاله * فحسبى مالى فيه من خالص الود

فاجابه بقوله

ايا آل غريط فرعتم ربى المجد * واوليتم صنعا جميلا بلا احد
اتتنى امداح هى السحر لو يرى * حلالا او الدر المفصل فى العقد

١» فرع صعد

بلى انني اصبحت منها بروصة * مفتقة الاكمام عن باسم الورد
فايه أبا عبد الاله فان لى * جميل اعتقاد فيك يقوى مع البعد
ونفسك قد هنات حقا اسيدا * عزيزا ومحمود المصادر والورد
ايبرح خل صح فى الله مذهباً
عن الود او ينفك عن صادق العهد
فلا زلت يافرد الجلالة ترتقى
مشار الى علياك بالجوهر الفرد

الاديب الكاتب

« ابو عبد الله محمد فتحا بن محمد بن محمد غريط »

رحمه الله تعالى

كاتب درب اليد واللسان. على الاساءة والاحسان. مصيب المقالة محظوظ الحبالة. ماجن يضحك الثكلى. (١)ويصور من المحال شكلا بطبع مساعد. على اقتفاء صاعد. (٢)وخط رفيع. فى وجهه الف شفيع وفعائل. تبسط يد العائل. ونوادر لجلب السرور بوادر. استكتب فى الخارجية ثم نقل الى الداخلية. ولما صحى من سكرة الشباب ونومته وصغى الى نصح المشيب ولومته. هدأ هياجه. واشتد اعتناؤه بطلب العلم وابتهاجه. حتى كاد صبح علمه يلوح. وروح نثره ونظمه يفوح فالمت به سكتة المته يوماً ونصفا. حتى صار لا يعرف ذاتاً ولا وصفا ثم قطفت زهرته. وعفرت فى التبر غرته فى رجب عام ستة وعشرين

١) الثكلى فاقدة الولد ٢ صاعد ابو العلا الشاعر اللغوي صاحب المنصور ابن ابى عامر

وثلاثمائة والف ودفن بمقبرة الموفق خارج باب فتوح

الكاتب الاديب الرئيس

«أبو الفضل عباس بن عبد القادر الفاسى»

رحمه الله تعالى

كاتب له صدر رحيب . وليس له من اسمه نصيب . بل كان مبسوط المحيا . كما قلت فيمن كان له سميا .

قالو لكل فتى من اسمه مدد * ولم يروا بالذى قالوه إلباسا
وانت سميت عباساً ولست أرى
جبينك الارحب المقبول عباسا

ذو ذكاء وشهامة . ومضاء وزعامة . طويل الباع وان كان قصير القامة

طويل النجاد طويل العماد * طويل القناة طويل اللسان

حلو المخاطبة والمداعبة . وان كان مر المعاتبة . يجامل من جزم بحقده حتى يشككه فى عقده . الى سياسة تسرى فى الاذهان . سريان النوم فى الاجفان . ورفق يخرج الصل(١) من جحره . وحيل تقنص النعاب(٢ فى وكره . واقتصاد . لشيطان التبذير بالمرصاد . استكتب فى الداخلية مدة وبلى فيها رخاءً وشدة وقلد السفارة لدولة الاصبان . فابان فيها من الحزم والنصيحة ما ابان . وآب منها مرعى الجانب . مقفى المطالب وكان فى ايام وزارة احمد بن موسى أحد عضدى هيئته . وثانى فرقدى حضرته . واستمر على ذلك مع الوزيرين بعده . يستخدم فى التقدم

(١) الصل بالكسر الحية ٢ النعاب الغراب

والنفوذ لديهما قلمه وسعده . الى ان استخلف مولاى عبد الحفيظ بمراكش فتولى تقييد مطالبه . لما كان له من الاتصال به . وسأل عمن يقدم لوزارته وأمل اغتنام الفرصة فى استشارته فقيل له انت أيه السائل . نعم المقدم لها والنائل ، لمزيد حرمتك . ومديد خدمتك . وكان يرغب فيما هو اعلا . وأغزر ثمرة وأغلا . رتبة يدنوا اليها باقرب من الشبر . فبعد عنها بعد العارف عن الكبر . ورام التخلص من ذلك التكليف فلم يطق والبلاء موكل بالمنطق . ولما زفت اليه تلك الوزارة وشاهد محياها . واستنشق رياها . استعذب اخلافها . وعاف خلافها . واستحال بجهمه بشرا وشكواه شكرا . والحوز اذ ذاك محل سعود الكاتب . والكنز المغنى عن القرض والراتب . والنعم ضافية . وموارد النفع صافية . والطرق اليها ليست بنائية ولا بخافية . وجو تلك الحضرة خال من مزاحم . آمن مما فى غيره من الحوادث والملاحم . (١) والكلمة مسموعة ، ويد التحجير مرفوعة ولما امتلاحوضه . وازدها روضه . اتهم بالتضريب بين السلطان وصنوه ومساعدته على أغراضه ولهوه . وأشخص الى فاس بحال تقشف وتشوف وتردد بين اطمئنان وتخوف . فاستكتب بالداخلية وقد اماطت الفتن نقابها وفتحت رؤوس العناد انقابها . واطالت رقابها . وسافر صحبة السلطان الى رباط الفتح . ثم وقعت حادثة فاس فرآ الرجوع اليها من أكبر النجح فلم يزل يتطارح ويستعطف . وبالاتحاف يستلطف . حتى اذن له فى السفر وأمر بالسعى فى انقياد من نفر . فانطلق من الرباط خائفاً يترقب ولو استطاع

---

١) الملاحم ج ملحمة الوقعة العظيمة القتل

لتنتهب. وساروهو ينظر خلفه. ولا يختار مخافة الاسترجاع وقفة. واستصحب كتاباً شريفاً اشتمل على تبرىء الساحة. والمقابلة بالسماحة. ونفى الموجودة وحسن العدة واسترجاع الجماعة الى السمع والطاعة والموعظة والتذكير والتحذير مما يعود بالنكير. وكان الكتاب من انشائه البديع. وصنيعه السهل المنيع فزاد قدومه الطين بلة. والمريض علة. لقيته حين قدم. فوجد موج الفتنة يصطدم. وجمرة الشحناء تحتدم. وسد ياجوج الثورة منهدم فالفيته مندهشا. ورايته عما كان عليه من الطلاقة منكمشا. متحيراً بين ان يقيم على العهد القديم. وبين ان يميل كل الميل. وهو لا يدرى مايدبر عنه اليل. ولا ما ياتى به السيل. فاخبرنى بانه دفع الى امر عظيم. وخطب جسيم. وهو ان احد جواسيس ذلك الطور. الذين لم يكن جليسهم جليس قعقاع بن شور. (١) انذره بان الناس اتهموه. بامر اختلقوه او توهموه. وزعموا انه ماورد الا لاخذ توقيع العلماء. والاعيان والكبراء على صك بيع المعادن المغربية. لبعض الدول الاجنبية. وغير ذلك مما يوغر الصدور. ويثير الشرور. وانهم هموا باستحلافه. وان ابى حكموا باتلافه وذكر لى انه لو شعر بما لفقه المفترى وتقول. لما تحرك من الرباط ولا تحول. ثم شاعت تلك المفتريات حتى لهج بها الصاحى والنشوان. لهج الشعراء بشعب بوان وهتف بها الصبيان والنسوان. هتاف الهرة حول الخوان. (٢) فعلق عليها ذوو الاغراض شروحا. وبنوا بها لبلوغ المراد صروحا. (٣) وحشر العلماء تحت جلابيب الظلماء. وامتحنوا واستحلفوا

---

١ » قعقاع ابن شور تابعى يضرب به المثل فى حسن المجاورة والمجالسة ٢ الخوان ما يوكل عليه الطعام
٣ » الصروح ج صرح كل بناء عال

وامتهنوا كانهم ما عرفوا. وبات بعضهم مسجوناً يسام اوهاماً وشجونا وشيع بعضهم بالتصدية والمكاء. (١) فى حالة توجب البكاء. وخصوا بمزيد الاذلال. لاختصاصهم بمن كان له فى الدولة شفوق وادلال. ولم ينتصر لهم احد ولا تالم. ولا اخذته رقة ولا تامل قوله صلى الله عليه وسلم ليس منا من لم يوقر كبيرنا ويرحم صغيرنا ويعرف لعالمنا حقه. ولا فكر فى ان من اذل حملة الحجة. اذله الله واضله عن المحجة. وان من اسرع الذنوب انتقاما. اهانة من اوجب له الحق احتراما

لا عاد يوم كان ذا * جور شديد واشتطاط

فالجهل فيه ذو اعتلا * والعلم فيه ذو انحطاط

ثم كان ما كان. من خلع بيعة السلطان فاستوزر المترجم للخليفة العلامة الخبير. الماجد الاثير. الذى لو لا تدبيره ورايه الاسد. لكان الخطب فى تلك الثورة ادهى واشد. صاحب الصيت الشهير والبيت الكبير مولاى عبد السلام الامرانى. وصافحته اكف السعود والتهانى. ولما قدم مولاى عبد الحفيظ لمكناسة استقدمه لاعتابه. واستخدمه فى وزارة العدلية ببابه ثم قدم لفاس فصرفه الى وظيفة كاتب ومشير. بادارة الصدر الوزير. ثم استنابه عنه فى غيبته. فاخرج ما فى عيبته. وحل من الامير. محل السر من الضمير. والشفاء من العليل. والاثراء من البخيل وما أحسن قول الملك الضليل

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى * ما الحب الا للحبيب الاول

١» التصدية التصفيق والمكاء الصفير

كم منزل فى الارض يالفه الفتى * وحنينه ابداً لاول منزل

والطف ما قيل

أتانى هواها قبل ان اعرف الهوى * فصادف قلباً خالياً فتمكنا

ولما آب منوبه الوزير المزوارى من وجهته . ظهرت له لوائح المكر من جهته . فاعترته حمى ذهبت بنفسه . وطمست حمى مسرته وانسه . فى ليلة الخميس خامس جمدى الثانية عام سبعة وعشرين وثلاثمائة والف ودفن بزاوية سيدى عبد القادر الفاسى رضى الله عنه ولم يكن له بالشعر اهتمام . ولا للسجع التزام . ولذلك كان اسرع الكتبة انجازا . وابلغهم حقيقة ومجازا وكان يوقع بين يدى السلطان فياتى بالعجب . ويؤدى مع الاختصار ما وجب . فمن ذلك انه وقع على رقعة رجل كان يكثر اليه انحياشه . سبقك بها عكاشه . وهو حديث شريف له قصة تضمنت ما آثر النبى صلى الله عليه وسلم به عكاشة وخصه .

الاديب الكاتب

﴿ أبو محمد المختار بن علي المسفيوى ﴾

رحمه الله

كاتب نجيب . ذو ذكاء عجيب . وفراسة . لعروق الاغراض جساسة . شاعر لم تلجئه الضرورة . الى نقب البيوت المعمورة . استكتب فى العدلية ثم نقل الى الداخلية . وا كتسب من وجوه النفع نعماً جليلة جلية لاستمالته القلوب بالطافه . واستعانته على المطلوب باتحافه . الى ان سافر

صحبة السلطان لرباط الفتح . وحضر الكسرة الغنية عن الشرح . فسلك طريق التجريد . مراداً غير مريد . وعبثت ريح السلب والتشريد . بغصنه الفريد

والمرء كالغصن من تراب * لابد ان يكتسى ويعرى

ثم قدم الى فاس بعد تامينه . وتلقى مرسوم الكتابة بيمينه . ثم سافر الى مراكش مدفن والده . وموطن طارفه وتالده ؛ ثم استقدم للحضرة العلية . وتظم فى سلك كتبة وزارة العدلية . ولم تزل صورة تلك الكسرة مطبوعة فى فؤاده تنقص كل حين من حدة فكره واتقاده . الى ان طرقه ضيف السقام ، وأخذته من يد الطبيب الجراحى يد الحمام . فى رمضان عام احدوثلاثين وثلاثمائة والف برباط الفتح ومن شعره ما وجدته بخطه

لقد زاد الوجود بك اعتزازا * ومن طرب به اهتز اهتزازا
وصبح النصر أسفر بالتهانى * وعزك فى البرية لايوازى
ووجه الافق منبسط المحيا * حكى فى وشيه الابهى طرازا
وقد غنى لسان الكون شكراً * وانشدنا الغريبة والحجازا
وأعلن بالهناء لعظم فتح * بشير يبتغى البشرى جهازا
الا بشراك يامالك المعالى * ومن ملك الجدود الغر حازا
فقد نصرت جيوشك أى نصر * وحلوا من سعادتكم بتازا
وهم فى رفعة و كمال عز * وتاييد به ملكوا الركازا(١)

---

(١) الركاز دفين اهل الجاهلية وقطع الذهب والفضة وهو المراد هنا

فخلوها وقد ظفروا وأثروا * وما طلبوا انزالا او نجازا
ومازوا طيبات من خبيث * وخير الناس من بالحق مازا
وقد نهجوا سبيل العدل فيها * وما ارتكبوا بها الا الجوازا
وقد خاب الدنى النحس مما * به منى عشائره فضازا(١)
والبسه العناد لباس خزى * ولم يلف المشوم له احترازا
وارداه الهوى لما ارتداه * فعنه الذل لا يبغى جوازا
كما خابت جموع البغى طرا * ونالت فيهم الفرص انتهازا
وقد نكصوا على الاعقاب قهراً * يؤمون البرارى والنشازا(٢)
وتاهوا فى فيافى الخوف لما * رأوا فى الجيش شاهينا وبازا
لبوسهم الهوان متى استقلوا * ومن فعل القبيح به يجازى
وكيف وقد طغوا وبغوا وضلوا * وفملهم استحقوا به الجزازا(٣)
وقد حادوا عن الرشد المهيا * لذا طلبوا بجهلهم البرازا
فجاءتهم أسود الخيل فوجاً * ففوجاً طبقت لهم البرازا ٤
فهدوا ربعهم وسبوا وغلوا * رءوساً عندهم كانوا عزازا
اذاقوهم وبال الامر حتى * قد احتزوا رءوسهم احتزازا
فسحقاً للمضل وما انتحاه * وما من ظالم الاعجازا
أمير المومنين أهنا بفتح * أتاح لنا الحقيقة والمجازا
فأنت نخار هذا الدين قطعاً * ففخرك سيدى بلغ الحجازا
وقد خفقت بنصر كم بنود * فهز الانس أرواحاً ورازا

---

١) ضاز جار ٢ النشاز المكان المرتفع ٣ الجزاز ككتاب الحصاد ٤ البراز ج برزة العقبة من الجبل

فأنشأنا المدائح والتهانى * باشعار لها المولى اجازا
خويدمك المقصر ماتوانى * مجيزاً فى مديحك أومجازا
فدم فرد المفاخر والمعالى * وعبد كم بما يرجوه فازا
ودونكها عروباً ذات حسن * بفضلك تستحق ان تجازا
يردد حسنها أن جا خطاب * لقد زاد الوجود بك اعتزاز
487 22 50 12 134 612 4

الاديب الكاتب

« مولاى عبد السلام المحب »

رحمه الله

كاتب أديب . شاعر لبيب . جر ذيول الفخر على البحترى وحبيب . ذو همة راقية فوق الكواكب . وآثار باقية فى صحف المناقب . وذكاء يستمد منه ذكاء . وخبرة صادقة فى فن التصوير ، وفطنة سابقة لاتقبل التزوير . ونية بالنجاح موصولة وطوية ليست عن رضاع الخير بمفصولة وعارضة معسولة . لم تكن عن الارتجال بمنقولة اسفر صبح افكاره عن الشعر الوسيم . وما سجى ليل عذاره . ولا قضى حكم التعليم بتلومه واعذاره . ولد فى بيت السلطنة . ونشأ فى دار اخواله الاغريطيين نشأة حسنة ؛ لم تعرف له صبوة . ولا حفظت له فى مضمار الجد كبوة ؛ ولما أينعت دوحة شبابه ؛ وزهت ثمرة آدابه . استكتب فى الداخلية ؛ بعض الايام العزيزية والحفيظية . فاجتهد فى تقليد اجيادها بجيد الامداح وسجع بالثناء عليها سجع المطوق على الادواح ؛ ولما سافر مولاى عبد

الحفيظ للرباط سفر تنازله عن الامامة . وسخائه بالامارة سخاء كعب ابن ماجه. تخلف عنه فيمن تخلف ثم لحق به لما تضايق فى المعاش وتكلف فاعيد الى خدمته . واقتاد اليسار بازمته . بيد أن العلة التى أزمنت بجثمانه ومنعته من اطمئنانه . لم تغادره حتى أذوت غصنه الرطيب . وانتقل الى ملتقى المحب والحبيب . فى أوائل شوال عام احد وثلاثين وثلاثمائة والف وقد كنت رثيته بقصيدة وهى وان كانت تخطر على عجل . وتتعثر فى ذيل الخجل من العقائل المتبرجة فى هذا التاليف . بحلل التحبير والتفويف فلها بالمقول فيه تنويه وتشريف ، نصها

نغالط بالامال والحكم واجب

ونستوهب الامهال والعمر ذاهب

ولولا أمانينا وحجب نفوسنا * عن الغيب ما لذت لدينا مشارب

حيارى فلا ندرى بيوم انتقالنا * كما ضل بين النجح واليأس هائب

وما الحى الا طعمة لمنية * براثنها(١) لم ينجح منهن هارب

فبينا تراه أيداً متماسكاً * اذا به منحل العزيمة شاجب ٢

وأى محب لم تنله كريهة * وأى زمان ليس فيه مصائب

كان بنى الانسان بل كل محدث * على لجة الايام طاف وراسب

هو الموت جل الله قاهر خلقه * يروع من ذكراه ضار وضارب

فاين الملوك الصيد أين عديدهم * وأين القصور الشم أين المواكب

وأين أباة الضيم أين اقتدارهم * وأين بناة المجد أين المناصب

---

١) براثنها أظافرها ٢ شاجب هالك

وأين بنـو الاداب أين سراتهم * وأين رجال الشعر أين الحبائب
وأين ذوو الاقلام أين خيارهم * وأين ذوو الاحلام أين العصائب
محاهم من سفر الوجود معيدهم * لاصل الثرى والفرع للاصل آئب
وأعظم رزء تشتكى النفس حره * نوى من اليه تدنى وتناسب
خليلى اما الصبر عنك نخائن * وأما فؤادى فهو بالوجد ذائب
وكانت ظنونى أن يتاح اجتماعنا * فلم تجدنى تلك الظنون الكواذب
فئـــاه ليـــوم ثم آه لليـــلة * كساها إهاب الحزن ناع وناعب
وأضحت لها الاقلام تخدش طرسها * وتذرى الدموع السود وهى نوادب
وكنت لها نعم الموفى حقوقها * إذا كل فكر أو توقف كاتب
وكنت بروض العلم انضر زهرة * فذبلها ريح من الحين(١) عاصب
وكنت أديب العصر والجوهر الذى
تنافس فيـــه مشرق ومغارب
وكنت بتقوى الله أشرف آخذ * وأول ساع حيث ترضى المناقب
نشأت على هدى وجد وعفة * نقى الحلى لم تستملك الملاعب
عكفت على الاصلاح طوعاً ولم تقل
وللهو منى والخلاعة جانب
وما لك فى غير المعارف رغبة * ومالك غير الذكر والفكر صاحب
ومت وعند الله أعظم نعمة * لمن هو فى رضوان ربه راغب
فما للقوافى بعد فقدك محكم * وما للمعانى بعد رزئك جالب

١» الحين الموت

معان إذا ما الناظمون تكلفوا * فهن بأكناف الجمال كواعب
كواعب تهتز النفوس لظرفها * كأن وسمت بالسحر منها الترائب
ترائب فيها للنواظر جنة * وفيها لاوصال القلوب جواذب
بدائعها مشهورة وحديثها * يصححه عن شاهد الحسن غائب
وما لعلوم العصر مثلك عاشق * وما لنتاج العقل مثلك طالب
وما لاخي ود وعهد وصحبة * سواك أنيس أو رفيق مواظب
قضى معك دهراً لم يمل وانما * قضاه وجد الارواح لاشك غالب
لئن سترتك عن جفوني تربة * فلم يحجبنك عن ضميري حاجب
يصور فيه الوهم منك خلائقاً * مهذبة هي الكبا والكواكب
لتبك عليك كل عين مليئة * بحبك حتى تضمحل السواكب
عليك من الرحمان أوسع رحمة * تؤم حماك الرحب منها سحائب
ومالي وللشعر القوى انتقاده * بضعف القوى والرزء للرشد سالب
واني على ما بي هتفت مؤرخاً * بقد نال أعلى الخلد زاك مراقب
343 28 664 111 81 104 1331 عام

وقد أثبت من شعره ما يكون لثغر البلاغة شنبا . ولكاس الفصاحة حببا من أبكار معان كأنهن اللؤلؤ والمرجان . لم يطمثهن انس قبله ولا جان . والفاظ برزت عن اختيار . قريشة النجار لم تزل خياراً من خيار

كما اشتهت خلقت من ماء لؤلؤة * في قالب الحسن لا طول ولا قصر

وقيدت من نثره ما لو تروحن لكان حوراً وولدانا . أو تجسم لكان دراً وعقيانا . فلو رآه الفتح لبنى أمره على الضم والتقبيل . وقال هل الى مرد

من سبيل . أو صاحب الخزانة لرغب فى ادخاره . وكف عن اعجابه
وافتخاره . أو ابن ابى حجلة لثمل بعقاره . وأقصر عن مطاره . ولا بدع
ان أطلت العنان فى تقييد نظمه ونثره . وأفعمت العيبة من دره وتبره
مع نظائر شعرية . ونوادر نثرية . تحقق لذوى الجد والمجون . مايرجون
والحديث شجون . فترجمته هى الخاتمة الحلوة العاطرة . لهذه المأدبة الفاخرة

تمتع من شميم عرار نجد . فما بعد العشية من عرار

رأيت بخطه ما نصه وقلت أمدح النبى صلى الله عليه وسلم وقد حذفت
منها ما زاد على مدحه صلى الله عليه وسلم وذكر ليلة ميلاده

أشجى فؤادك بارق الانواء * أم ذكر رامة ١) أم نسيم قباء ٢
أم ذكر وجرة ٣) أم جئاذر ٤) جاسم
والمنحنى أم ساكنى البطحاء
سقياً لهن معاهداً وملاعباً * لمهى محجبة وعين ظباء
لله أيام لنا سلفت بها * جاد الزمان بشر بها بصفاء
جاريت فيها الى الصبابة والصبا * رخو الاعنة أصهب الصهباء
سكران سكر مدامة وصبابة * خلع العذار أجر فضل رداء
قضيتها اضغاث أحلام نائم * قد أيقظته إشارة الرقباء
ياعاذلى لو كنت تدرى ماالهوى · أبدلت لامك عاذلى بالراء
دع عنك تحذير المحب فانما * يزداد بالتحذير فى الاغراء
أأروم إخفاء المحبة والهوى * والدمع جار ولات حين خفاء

---

١) رامة موضع بالبادية ٢ قباء موضع قرب المدينة ٣ وجرة موضع بين مكه والبصرة ٤ جئاذر ج جؤذر ولد البقرة الوحشيه وبنو جاسم حى قديم

كم ذا التعلل بالاشارة و الكنى * مترددا كتردد الفأفاء

ما العشق من خلق ولا فعلى باف * عال المغازل ليلى أو أسماء

بل طيبة الغراء سؤلى ومقصدى * عين الوجود وسيد الشفعاء

ختم النبوءة صفوة النور التى * قد أودع الاجداد للاباء

والنخبة العظمى التى قد بشرت * بمصون سرها سائر البشراء

لله ليلة كان ساطع نورها * بتوارد الانباء والاضواء

يا زاجر الوجناء يقصد طيبة * رفقا بقلبي زاجر الوجناء

بالله ان عرجت نحو مقامه * وحللت بالاكناف والارجاء

عفر خدودك عن عبيد مسرف * ولتسع بين مخافة ورجاء

يا خير من وطئ الثرى ماذا عسى

يجدى لديك تمدحى وثناءى

هل بعد مدحك فى المثان يروم مد

حك معشر الخطباء و الشعراء

يا متعب الاقلام بالتعداد ما * لخصائص المختار من احصاء

صلى عليك الله أزكى صلاته * والال والاتباع والصحباء

قوله كتردد الفأفاء قال صاحب القاموس الفأفاء كفدفد وبلبسال مردد الفاء ومكثره فى كلامه وفيه فأفأة اه وهى من عيوب المنطق كاللثغة لكن الثانى مستحسن فى بعض الحروف ومن ذلك قول الصاحب ابن عباد موريا

وشاذن قلت له ما اسمه * فقال لى باللثغ عباث

فصرت من لثغته الثغا * وقلت أين الكاث والطاث

وقولى مورياً ومجنساً فيمن يجعل الكاف همزة

والثغ ريقه راح ووجنة

وصدغه حولها كالورد والآس(١)

سألته علة من كأس مبسمه * تشفى بها علة المتيم الآسى(٢)

فقال لى وهو من اجابه ثمل * دع المطامع يا عليل فى الآسى(٣)

وقولى فيمن يجعل الراء غيناً مورياً

قلت لذات اللثغ إن الهوى * طرى فقالت إنه طاغى رى

قلت وسيف اللحظ يبرى الحشا * قالت لعمرى انه باغى وى

وقال فى مولدية حذف منها ما زاد على مدحه صلى الله عليه وسلم

لمع البرق فاروى كمدى * شبته ليلاً كسيف مغمد

مومضاً من رامة او اضم * باسماً عن برد أو حبب

وأرانى من سناه ابراً * ترفأ السحب بخيط أسود

خافق الجنح ولولا برد ما * كان من ريح لحالى كبدى

أيه البرق الذى أحبابنا * لم يزالوا مثله فى الموعد

هل لايام مضت من عودة * على ان ما مضى لم يعد

سمحوا فيها لنا بقربهم * حتى قلنا ما لنا من مبعد

ثم شحوا وافترقنا بدداً * هل ترى من جامع للبدد(٤)

هل ترى أحظى بوصل أهيف * ساكناً قلبى بعيش أرغد

---

١ و٤ الآس النور المعروف ٢ الآسى الحزين ٣ الآسى الطبيب ٤ البدد المتفرق

رشأ يرنو بعينين فكم ☆ قتلت أجفانها من أسد
قلت قلبي ماله من مخلص ☆ غير مدح المصطفى محمد
ودواءى وشفاءى ذكره ☆ ليس لى فى غيره من مقصد
خير مبعوث لخير أمة ☆ النبي العربى السيد
شهد الظبى مع الضب له ☆ ولمن من قبله لم يشهد
والحصى قد سبحت فى كفه ☆ وبكى الجذع له بالمسجد
ورجوع الشمس يوم خيبر ☆ اذ دعا ثم اضطراب أحد
وانشقاق البدر منه آية ☆ نورها ذو بصر لم يجحد
معجزات كالنجوم ما لها ☆ فى سماء فضله من عدد
حبذا ليلة فيها وضعه ☆ مثله فى مثلها لم يولد
خرت الاصنام فيها وبدا ☆ لجميع الخلق ما لم يعهد

قوله شمته ليلا كسيف مغمد. هو بحسب الظاهر تشبيه غير متلائم الطرفين لاشتماله على مشبه به خفى بوصفه بمغمد وقد يقال أنه شبه البرق فى حال لمعانه وخفائه بسيف جرد ثم اغمد لكنه لا يفهم من ظاهر لفظ مغمد كما لا يخفى والله أعلم اه

وقال يمدح سيدنا ومولانا ادريس رضى الله عنه ونفعنا به ملتزماً حرف الهاء

سيحضر مهر النصر ان احجم المهر ☆ ويأتيك بعد الصبح بالظفر الظهر
وينظم هذا العقد بعد انتثاره ☆ وتخدمنا الايام والخلق والدهر
وتقتنص الامال بعد شرودها ☆ ويظهر بعد الهمس من رسمنا الجهر
فقد خطب الخطب الجليل فضيلتى ☆ ومن خطب الحسناء لم يغله المهر

واني بادريس بن ادريس عائذ

اذا استرسل الخطوب واعصوصب الصهر

خليلي كيف اترك البحر زاخراً ☆ وأسئل دون البحر من كله نهر

وكيف يتيم الفكر يترك أصله ☆ فيرهقه التزييف من شأنه القهر

أمولاى يا ادريس يا ابن محمد ☆ أغثني فقد خان الحشا البطن والظهر

أمولاى أنت بابنا لنبينا

وهل تعرف الاعوام إن جهل الشهر

أمولاى ان أوليتني العطف لم أبل

وان حشدت طسم(١) وعملاق(٢) اوفهر

أمولاى انى ضارع متوسل ☆ شفيعى هم آباؤك السادات الطهر

عليك سلام الله ما هبت الصبا ☆ وماطاب فيك الزهر أوشفت الزهر

وقال يمدح سيدنا ومولانا أحمد الشاوى رضى الله عنه ونفعنا به

الى احمد الشاوى أمت وأملت

وجوه ترى من سره البشر والبشرى

واذلابى العباس قدت مطيتى ☆ فلاغرو أن ارمى بها السهل والوعرا

أمد له كفاً من الله طالباً ☆ بغير حساب لاترد به صفرا

وآنس يسراً بعدما كنت لاأرى ☆ لمدى ولا زجرى يمنى ولا يسرى

قصدت به بيت القصيد فانه

لباب حمى ادريس ذى السدة الكبرى

١» طسم قبيلة من عاد ٢ عملاق العمالقه قوم تفرقوا فى البلاد من ولد عمليق

ولابد للحجاج ان طال شوقهم ☆ واعوز بعدالبر ان يلجوا البحرا
مناقب ان تتلى فليس بنافع ☆ تلاوتها سبعاً ولا رسمها عشرا
ومن رام ان يحصى دقائق سره ☆ فقدرام للارمال والمطر الحصرا
تجف لها الاقلام والبحر حبرها ☆ وتخرس لا نظماً تقول ولا نثرا
وكل كريم طارد الفقر وحده ☆ وهذا العمرى طارد الجهل والفقرا
فلولا أبو العباس مايدرك المنى ☆ ولولا سواد العين لم تبصر البدرا
عليه سلام الله ماغاص غائص ☆ ونظم فى أسلاك مدحته الدرا

قال وقد كنت استغثت بأهل بدر رضى الله عنهم بهذه القصيدة وشاهدت أثر ذلك من فضل الله وبركتهم

الايا جميل الصبر عاشقك النصر ☆ فبشرى فان الوصل يسبقه الهجر
ولا تقنطن بالصبر فالصبر رحمة ☆ وآخره حلو واوله مر
وكيف وماأفنيت فى الصبر ساعة ☆ ولامر لاعام عليك ولا شهر
فديتك لا تاسى فما ينفع الاسى ☆ وهل يصلح العطار ماأفسد الدهر
فديدن هذا الدهر عزة أعبد ☆ وذلة أحرار فما يصنع الحر
لحون كثير الرفع فى غير بابه ☆ وينصب ما من حقه الجزم والجر
جحود ولكن فى الكلام موحد ☆ تسلسله فى الجهل ليس له دور
مللت بقاءى فى بنيه وما أتت ☆ على سوى عشر وسبعة لاعشر
وما ذاك الا حينما أدجى طالعى ☆ بليل خطوب لا يبين له فجر
فيا أهل بدر كيف تظلم ساحتى ☆ بظلم وأنتم عندى الشمس والبدر
أجيبو انداءى واجبروا كسر طائر ☆ بغاث غريب ضامه البازو النسر

سجوع على السعدان يندب إلفه ☆ مهيض جناح خانه العش والوكر

قلت قد عنت لى بقوله فديدن هذا الدهر الى قوله ليس له دور. نبذة أدبية اذكرها امتاعاً للناظر. واتحافاً للمحاضر. وهى الحمد لله المنفرد ببقائه وقدمه. مخرج الوجود من عدمه. الى فسيح فضله وكرمه. مجلله بسوابغ نعمه يولى ويعزل. ويعلى وينزل. فالسعيد من خضع لماقدره ورضى بما أبرزه ويسره. والبعيد من وقف مع الحوادث. ولم يسند الامر للباعث الوارث. وما ترك من الجهل شيئاً من أراد أن يظهر فى الوقت غيرما أظهره. جاعل الحظوظ والافهام متفاضلة. والايام متداولة بين عرب المعمور وعجمه. والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد شامخ المجد والسودد. المخصوص بشفوف المحل وعظمه. المقتبس نور الهداية من مشكاة كلمه. الذى تزلزلت أركان الجهل برسوخ قدمه. وعلى آله وأصحابه. المستمسكين بأسبابه. المتحلين بجواهر حكمه. أما بعد فان سوء حظ العاقل. وسعود جد الغافل. ما زالت تلهج بذكرهما الشعراء والادباء فى كل زمن. لهجهم بذكر الاطلال والدمن. فمنهم من أسند الامر الى مدبره. وبرئ من حوله وتدبره. ومنهم من استعدى وتظلم. واسرف فيما به تكلم. ومنهم من جادل وسلم. فمن الاول قول الامام الشافعى رضى الله عنه

ومن الدليل على القضاء وكونه ☆ بوس اللبيب وصفو عيش الاحمق

فاذا سمعت بان مجدوداً حوى ☆ عوداً فاورق فى يديه فصدق

واذا سمعت بان محروماً أتى ☆ ماءً ليشربه فغص فحقق

وقول الاخر

كم من قوى فى تقلبه * مهذب الرأى عنه الرزق منحرف
ومن ضعيف ضعيف فى تقلبه * كانه من خليج البحر يغترف
هـذا دليل على ان الاله له * فى الخلق سر خفى ليس ينكشف

وقول الاخر

كم عالم يسكن بيتاً بالكرا * وجاهل له قصور وقرى
لما قرأت قوله سبحانه * نحن قسمنا بينهم زال المرا

وقول الاخر

كم كافر بالله أمواله * تزداد اضعافاً على كفره
ومومن ليس له درهم * يزداد ايماناً على فقره
يالائم الدهر وافعاله * مشتغلا يزرى على دهره
الدهر مامور له آمر * ينصرف الدهر على امره

ومن الثانى قول الراوندى

كم عاقل عاقل أعيت مذاهبه * وجاهل جاهل تراه مرزوقا
هذا الذى ترك الاوهام حائرة * وصير العالم النحرير زنديقا

قال الدسوقى هو احمد بن يحيى بن اسحاق الراوندى بفتح الواو نسبة الى راوند بفتح الواو من قرى ساسان قريبة من اصبهان والاكثر على انه كان زنديقا فقد كان يعلم اليهود الحيل والشبه اتفق له انه اخذ منهم الف دينار وألف لهم كتاباً رد فيه على القرآن وسماه الدامغ للقرآن وقيل انه كان من الاولياء اهل الدلالة على الله وان ما نقل عنه من تعليم

اليهود الشبه وغير ذلك لم يصح كما قال الفنارى وقبل البيت المذكور

سبحان من وضع الاشياء موضعها * وفرق العز والاذلال تفريقا

ومن قبيل كلام ابن الراوندى قول بعضهم

أعطيتنى ورقاً لم تعطنى ورقاً * قل لى بلا ورق ما تنفع الحكم

نخذ من العلم شطراً واعطنى ورقاً * ولا تكلنى الى من جوده عدم

ولما قال هذا القائل ما ذكر سمع هاتفاً يقول

لو كنت ذا حكم لم تعترض حكماً * عدلا خبيراً له فى خلقه قسم

هلا نظرت بعين الفكر معتبراً * فى معدم ما له مال ولا حكم

وقد رد العلامة عبد الرحمان عضد الملة والدين على ابن الراوندى بقوله

كم عاقل عاقل قد كان ذا عسر * وجاهل جاهل قد كان ذا يسر

تحير الناس فى هذا فقلت لهم * هذا الذى أوجب الايمان بالقدر

ومنه قول ابى نواس

رزق التيوس يجيئها بسهولة * وذوو الفصاحة رزقهم مسجون

ان كان حرمانى لاجل فصاحتى * فامنن على من التيوس أكون

ومنه قول السيد عبد الرحيم العباسى

من يبغ بالفضل معاشاً يمت * جوعاً ولو كان بديع الزمان

تبغى الحجا ثم تروم الغنى * يا قلما تجتمع الضرتان

والبيت الاول عقد قول بعضهم من أراد أن يا كل الخبز بادبه فلتبك عليه البواكى ومنه قول الباخرزى

كيف لا يمسك عنى برقه * بعد ما أمسك عنى وبله

ساءنى الدهر لانى عاقـل * ليت أنى مثل غيرى أبله

ومنه قول الاخر

ومالى لدى دهرى ذنوب اعدها * سوى تهمة الاعداء لى بالفضائل

وانى منها تبت توبة نادم * مقراً بانى اليوم أجهل جاهل

ومنه قول الشيخ بهاء الدين بن الحسين العاملى بعد ان وصف مصر

من شاء ان يحيى سعيداً بها * منعماً فى عيشة راضية

فليدع العلم وأصحابه * وليجعل الجهل له غاشيه

والطب والمنطق فى جانب * والنحو والتفسير فى زاوية

وليترك الدرس وتدريسه * والمتن والشرح مع الحاشية

الى م يا دهر وحتى متى * تشقى بايامك ايامية

تحقق الامال مستعطفاً * وتوقع النقص بثاماليـه

وهاكذا تفعل فى كل ذى * فضيلة او همة عالية

فان تـكن تحسبنى منهم * فهى لعمرى ظنة واهيـة

ومن الثالث رسالة لبعض الادباء المصريين نصها

ياصاحبي دع عنك قول الهازل * واسمع نصيحة عارف بالحاصل

اجهل تجد صفو الزمان فانه * من قسمة الفدم الغبي الجاهل

ودع التعقل بالتغفل يستقم * امر المعاش نحظه للغافل

وارض البلادة تغتنم من بابها * مالاً وجاهاً بعد ذكر خامل

واذا أبيت سوى العلوم فلا تضق

بحروب دهر لا يميل لفاضل

قلب تواريخ الالى سبقوا تجد * دنياك ما قيدت بغير الباطل
تجد الافاضل فى الزوايا كلهم * حال الحياة وبعدها بمحافل
العلم ستر كالسحاب به ترى * شمس الحقيقة خلف ذاك الحائل
هل ابصرت عيناك ديواناً به * مدح البليغ جميل سعد حافل
ان قلت اى فاذكر لنا من ناله * اولا فعش كالناس فى ذا الساحل
ضدان لا تلقاهما فى واحد * مال الغبي وحكمة للكامل

فله التصرف فى قالوا وقلنا . لا نالوا ونلنا . له من الذهب قناطير . ومن المال قدر النقير . فاذا وضع نقير العفة . أمام الف قفة . تساوى مع جامع الحطام . فى كسوة وطعام . ولا اختلاف الا فى الالوان . ومظاهر الاكوان . فما رأينا غنياً ياكل الذهب . ولا فقيراً يطعم الحطب . ولا مثرياً جعل ثوبه عقيانا . ولا فاضلاً مشى عريانا . واذا استوى الناس فى هذه العادة . كان الفضل لاهله زيادة . ومن ربح الفضل غبط . اذ يرى عمل غيره حبط . فطرة الله التى فطر الناس عليها . فعش بحالة اوصلك اليها . ولا تظن أن الوسائل هى الفواعل . بل الفاعل المختار هو رب الاثار . فقد تولاك طفلا لا تعرف الحيلة . ولا تتصور الوسيلة رفع زيداً وعمرا . وجعل لهما غنية وامرا . ليستخدمهما لك عند ما تظاهر فضلك . فلك الراحة وعليهم التعب . ولهم الغلظة ولك الادب لا ذكر لهم بعد ذهاب الجسم . والفاضل خالد الرسم . وسيرتهم من المدميات . وسيرته من الباقيات الصالحات . بخ بخ للادب . مع قلة الارب وتعساً تعساً للمال . مع سوء المثال نعم ان مستفعلن فعول . ليس فيها

خل ولا بقول . والفاعل والتمييز . غير الذهب الابريز . والبديع والبيان
لا تشترى بهما الاطيان والهندسة والحساب . والكيميا وعلم
الاسطرلاب . قل ان تدخل فى الاسباب . وتوسع مادة الاكتساب
فلو أتيت الجزار . بديوان مهيار . واشارات الرئيس . وموجز ابن
نفيس . والدر المختار . ومفردات ابن البيطار . ووسائل الابتهاج
ومخترعات ابن الحجاج . ومعاهد التنصيص والتهذيب والتلخيص
ومجمع الميدانى . واجزاء الاغانى . والبحر والغنيه . والهداية والقنية . وما
يتبعها من كتب العلوم . والحدود والرسوم . وبعته ذلك برأس عجل
أو أكارع رجل . لرآنه المغبون . اذ باع اللحم بالفنون . وحملك هذه
الاسفار . وقال اذهب بها الى العطار . فان اعطاك قطعة صابون . برسالة
ابن زيدون . او درهماً من الطيب . بمغنى اللبيب . او اوقية من الفلفل
المعلوم . بالشفا واحياء العلوم او بعض التوابل . بانساب قريش والقبائل
فتعال خذ الشاطور والوضم . والحقنى بهما بالعدم . ثم خذ القاموس
والصحاح . ولسان العرب والمصباح والمنهاج والمفتاح . والبهجة
والايضاح . والزبد والمنخول والروض والمحصول . ومجمع البحرين
والمحيط . والمستصفى والوسيط . ومفاتيح الغيب ولباب التاويل . وروح
البيان واسرار التنزيل . وكامل المبرد والتجريد . والمواقف والعقد الفريد
والمطالع والمقاصد . والفصول والفرائد . وايساغوجى والغرر والجوهرة
وتناسق الدرر . والفتوحات وكشف الران . واليواقيت والاتقان
واذهب بها فى الحال . الى الخضرى والزيات والبقال . فان اعطوك بعض

البقول . اوجانباً من الخلول . او درهماً من الزيت . توقد به فى البيت
نخذ الخطاف والسكين . ودعنى فى الملإ مسكين ؛ ولا ينفرك من
الصناعة ، كساد هذه البضاعة . فان شرف الانسان . موقوف على
العرفان . وانك وان فارقت صاحب الميرة . ولزمت ساحة البيت الصغيرة
فعما قريب تنجلى شمس الكروب وتمحى آثار الخطوب . ويقطع نحر
العسر . بسيف اليسر . فتجلد ولا تكن من القانطين . واصبر فان الله
مع الصابرين . انتهى ولى من هذا القبيل رسالة كتبتها للمترجم حين
لج الزمان فى حربه وهجم . وكثر الاختباط . وقل الاغتباط . وانحل
النظام بالرباط وصرنا افرغ من حجام ساباط . نرغب فيما كان زهيدا
ونرى من مات حتف انفه شهيدا . الى ان تقشعت تلك السحابة
واسترجع الزمان جيشه فعجل انسحابه واراح الله من تلك الاوجال
والاوحال . وازاح غيث فضله الامحال * ما بين غمضة عين وانتباهتها *
يقلب الامر من حال الى حال * ونصها سيدى ادام الله اعزازك . وعضد
بالتوفيق حقيقتك ومجازك . كلانا يتمنى . ولايدرى ما يتسنى . ايفوز
سهمه . وينال بتصديق ما تصوره وهمه . ام تطوى شقة اعماله . على
غير آماله . فان الحظوظ لا تتخير استحقاقا . والدنيا لا توثر مودة
واشفاقا . ودينار الجاه لاياالف صرة . ولا يبقى لكل عين قرة . بل يذهب
حيث صرفته القدرة . والرتب عارية يثقل ارجاعها . وثدى يلذ رضاعها
ويصعب انتزاعها . ومن اولع بشىء صور له شكلا موهوما . وان
كان فى الخارج معدوما . فمن تيمته الدنيا يراها جميلة المحيا . تميل دلالا

وتجر من البهاء اذيالا . ومن اعرض عنها يخالها شنعاء الطلعة . سيئة النجعة . مكروهة للشم والتقبيل . لها فى المكر دبير وقبيل . وقد قال ابو نواس فى بيان مهيتها

انما الدنيا طعام * وغناء ومدام
فاذا فاتك هذا * فعلى الدنيا السلام

وقال فى تحذير داهيتها

الا كل حى هالك وابن هالك * وذو نسب فى الهالكين عريق
اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت * له عن عدو فى ثياب صديق

فحسن الظنون . ولا تقل ما قال الجنى للمجنون .

كلانا مغرم فى حب ليلى * بفى وفيك من ليلى التراب

وان سوء الحظ كثيراً ما علق بالاديب . وفتك باغراضه فتكة شبيب والزمان طالما تبرم من تنكراته . وتذمم من تطوراته . والدين غض طرى . ومن شوائب الشبهات عرى والحرمات معظمة . والحدود محترمة . والخطط لا ينشر لواها . على غير أهل بلواها . والمومنون إخوة . والسابق للمسبوق اسوة . والفاضل لا يظهر للمفضول احتقاراً ولا نخوة . والمنقطع الزاهد . عليه منه شواهد . فكيف بزمن أوثرت فيه الشهوات والشبهات . وكثرت به المباهات والابهات . واشتملت الصدور على البغضاء . وقل الاحتمال والاغضاء . وعذب النفاق . وصعب فى سبيل الخير الانفاق . وعظم على الدينار لا على الدين الاشفاق . وامن المكر وخيف الاخفاق (١) وطوى ثوب التوبة على دخل (٢) واقتربت

١» الاخفاق الخيبة ٢ دخل عيب

مسافة الخلق بين القول والعمل ، وصار المستمسك من الفضل بادنى علقة ، والمتقلد من التقوى باوهى ربقة ، تكثر اتباعه ، وان تبين ابتداعه طلباً للمزيد ممن حظى من الدنيا بيسير ، وطمعاً فى الحصول ممن انقلب عنها بصر حرصه خاسئاً وهو حسير ،

إنا لفى زمن ترك القبيح به * من أكثر الناس احسان واجمال

فالعمل معلول ، والتابع مخذول ، والمتبوع ان لم تنتج المطالب مملول فهذا كتاب الله فاين المتحمل لاعبائه ، والمتأمل لانبائه ، وهذا هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاين المعتصم بحبله ، والمامون على آدائه كلا لقد صدئت القلوب ، فعز المطلوب ، واستغفر الله من هذا الغلط الذى فرط ؛ لعل للزمان عذراً وانت تلوم . وكم تحت ثياب الجليد من كلوم ، (١) والرزق مقسوم ، ليس له سبب معلوم ؛ وقد تخطئ الشبكة وتصاد باليد السمكة ؛ وقد يحرم ذو الحركة ، ويظفر العاجز بالبركة .

كم مقيم فازت يداه بغنم * لم تنله بالركض كف مغير

جبر الله كسرنا ؛ وفك من وثاق الغفلة اسرنا ، وشد باللطف أزرنا ، ومحى بالعفو وزرنا ، والسلام على مقامكم ما هز النسيم منكبا . وانفتحت اكمامه عن عرف الند وارج الكباء انتهى

ومن هذا المعنى قول ابن حزم

لا تلمنى اذا سبقت لحظ * فات ادراكه ذوى الالباب

يسبق الكلب وثبة الليث فى العد * وويعلوا النخال فوق اللباب

والقول الذى يتمسك بسببه . ويمضى على مذهبه ، من لم يزهد فى الدينار

(١) كلوم جراح .

والدرهم ء زهد الفضيل وابن ادهم . قول الخليفة الرشيد رحمه الله للاصمعى اكتب ولو على تكة سروالك

عش موسراً او معسراً * لابد فى الدنيا من الهم

وللاديب الشريف الفاضل سيدى احمد المصرى فى مكارم الاخلاق مقالة لها مناسبة بهذا المقام اشتملت على فوائد سياسية وادبية وتاريخية نصها . باب التاريخ .

وتلك الايام نداولها بين الناس . يقال ان الامام عمر بن الخطاب عليه السلام لما نزلت هذه الاية الشريفة . وتلك الايام نداولها بين الناس قال ابشروا يا رعاة الابل او الغنم خلاف من الراوى فاما تداول الايام بين الناس فامر قضت به طبيعة العمران وحكمت بوجوده اطوار الامم الماضية وتلك تواريخ القرون الاولى اتت شاهدة بصدق الخبر وجلية الاثر وهذا زماننا الذى نحن فيه قد اقام الادلة على تقلب الناس فى ايام نعيمها وبوسها على الرغم من كل تدبير قامت به عقولهم وقررته افكارهم لحفظ مستقبل حياتهم ولما كان تداول الايام بين الناس فى الحقيقة الكونية والنشاة الوجودية إلزامياً اقتضته طبيعة الحياة لتساوى بين افراد الهيئة الاجتماعية والدائرة الانسانية فنشبه الايام ا دورة الحياة بظبية حولها رآلها فاذا اعطفت على جماعة واعطتهم ثديها وسمعت حنين الاخرين انثنت نحوهم وألقمتهم ثديها فاذا قوى عليها فريق ثار الفريق الاخر عليه والقوى يغلب الضعيف ولا يمكنها ان تسلمهم نفسها فى آن واحد لكثرتهم فازدحموا على هذا المنهل العذب ونسى الجميع ما هنالك من لزوم

الاقتصاد فى المعيشة والاكتفاء بالضرورى من القوت حتى آل الامر بينهم للشحناء والقتال وتجمع الفريق لاغتصاب حق الاخر حتى ارسل ربهم من يوقفهم على حدودهم ويعرفهم واجباتهم ويذكرهم انقضاء الحياة وأنهم سيرثون أرضاً غير ارضهم باعمالهم وتوجههم نحو خالقهم ولما كانت الرسل منهم تحكم عليهم البشرية كما تحكم على الاخرين فلم يذعنوا اليهم ولم يسمعوا نداءهم وأساؤا الظن بهم يخشون ان القصد منهم عن اغتنام فرص الحياة لتخلص الحياة لهم فيتنعمون كما يشاءون فاعطاهم ربهم من العفة والصبر على مكاره الحياة وايدهم بالمعجزات الباهرات حتى دان اخوانهم لاقوالهم ورضوا بما جاءو به شرعاً لهم اذ وقف كلا منهم عند حده والزمه بامور يقوم بها حفظاً له ولبنى نوعه فاستقام البعض وحفظ العهد والميثاق ونكث البعض الاخر واتبع هواه ومن هنا افتقر اولو الامر للقوات التى بها يمكنهم ردع الثائرين ضد القانون الشرعى والحالة المرضية وانتظمت الحكومات وترتبت قواعدها واحكامها حسبما تقتضيه احوال الناس واخلاقهم فى كل زمان ومكان ولما دان الناس للانبياء بما ايدهم به ربهم من خوارق العادات وجاء بلسانهم من آياته البينات فكان الاقرب فالاقرب للانبياء سواء كانت القرابة نسبية او عصبية يكون له السلطان بعد هلاكهم خصوصاً بعد صيرورة احكامهم الى العدم فاذا مضى جيل او أجيال ونسخت الشرائع بالفترة وتبدلت الاحوال وافاضت الخلائق فى امور انفسهم وجعلوا سلطانهم أهواءهم تغلب الاقوياء على الضعفاء والارذلون هم الاكثرون ووصلت بهذه الداعية

العصبية إليهم المكانة العضمى وأخضعوا الناس لاحكامهم فاذا مضى على
ذلك جيل او أجيال وصاروا أولى بأس شديد وعاثو فى الارض واكثروا
فيها الفساد أرسل الله عليهم من عنده عذاباً استاصل شافتهم او التى على
قلوبهم عداوة تداعوا بها للهلاك حتى يقوم الضعفاء من رقدة الهوان
والخمول وهكذا عادة الحياة الدنيا يرفع ربك فيها أقواماً ويضع آخرين
وفى بعض الاخبار أن ابن الشجرى بينما هو جالس فى درسه إذ سأله سائل
ما شان ربك اليوم فلم يحر جواباً وكرب من هذا الامر فرآ النبى صلى
الله عليه وسلم فى ليلته فقال له إن سائلك هو الخضر عليه السلام وسياتيك
فى الصباح فقل له شؤن يبديها ولا يبتديها يرفع اقواماً ويضع آخرين
فلما اصبح وجاء الخضر عليه السلام وأجابه ابن الشجرى فيقال انه قال له
صل على من علمك واذا لم تات إليهم الدنيا من هذا الوجه يرتفع شأنهم
فيها بعقولهم وسمو مداركهم وحكمتهم فان العاقل الحكيم مرفوع
الرتبة على الملك الجاهل واذا لم يتجه اليه الملك اتجهت اليه الرعية وخافه
الملك على ملكه فتقرب اليه بالهدايا والتحف وهناك كانت له الدولة والعز
الشامخ والفخر الباذخ خصوصاً إذا صادم المظالم وعمل على دحض كل
اضطهاد جاء نحو الضعفاء شان كل حكيم سعى فى عمران بلاده بتدبيره
ورأيه ودولة العلم موطدة الدعائم ثابتة الاركان وهذا كله من ادوار الحياة
وانتقالاتها بالناس من طور الى آخر فمن ملك اليوم يملك غداً سنة الله
فى عباده ولن تجد لسنته تحويلا واذا جئناك بخبر من تغلب على الممالك
بدهائه ومكره او بعلمه وحكمته أو بشجاعته وقوته من غير بيوت المجد

العريقة فى الغنى والسودد ولا تجدن شيئاً من ذلك يدوم لاحد فنحتاج لمجلدات وطول زمان وانما نتكلم على بعض أفراد استئناساً بالموضوع حتى يعلم المطلعون أن دورة الحياة لا تتعلق برفع قوم دون آخرين لانها كما قلنا كالظبية التى لا تفرق بين صغارها بل هم عندها سواء واذا توسعت فى البحث تجد ذلك حاصلا فى غير النوع الانسانى حتى فى البقاع فقد قيل

واذا نظرت الى البقاع وجدتها * تشقى كما تشقى العباد وتسعد

تعلم أرسطوطاليس قليلا من الزمن فى أترينوس من آسيا الصغرى وفقد أباه وأمه وهو صغير جداً ولما بلغ السنة السابعة عشر من عمره ذهب الى اثينا وأخذ فيها الحكمة عن أفلاطون اليونانى فقيل ان ذو فسطاليس الملك اتخذ لولده بيثاغوراس بيتاً للحكمة وأمر أفلاطون بتعليمه وكان غلاماً متخلفاً قليل الفهم لا ذكاء عنده خامد القريحة وأرسطوطاليس غلاماً ذكياً حاد الذهن وكان أفلاطون يعلم بيثاغوراس الاداب والحكمة وأرسطوطاليس يعى كل ما يلقيه أفلاطون على ابن الملك من التعاليم الحكمية والاداب ويرسخ فى ذهنه حتى اذا كان يوم العيد زين بيت الذهب الذى هو بيت الحكمة وألبس بيثاغوراس التاج وحضر الملك مع أرباب الدولة على العادة وصعد أفلاطون وولد الملك الى مجلس الحكمة والشرف على رؤوس الاشهاد فلم يورد الغلام شيئاً ولا نطق بحرف فاعتذر أفلاطون بانه لم يقصر فى تعليمه وارشاده بما فى وسعه ثم قال يا معشر التلامذة من فيكم ينوب عن بيثاغوراس فثار أرسطوطاليس وصعد الى مجلس الشرف وأخذ يسرد جميع ماالقاه افلاطون

الى ابن الملك لم يغادر منه حرفاً فقال افلاطون ايها الملك هذه الحكمة التى القيتها على ولدك قد حفظها هذا اليتيم فما احتيالى فى الرزق والحرمان ثم انصرف الجميع وقد اغتبط افلاطون باوسطوطاليس واعتنى به بعد ذلك ومكث عنده نيفاً وعشرين سنة وكان كثير التعظيم له بحيث انه اذا جلس وطلب أحد منه الكلام يقول اصبر حتى يحضر الناس وربما قال اصبر حتى يحضر العقل

ليس على الله بمستنكر * ان يجمع العالم فى واحد

فانظر الى الحكمة كيف رفعته على ابن الملك وصارت منزلته بها بين العالم اجمع ارفع منزلة وأسمى درجة فاذا أضاف الى حكمته دهاءً يتوصل به الى الملك لا ستوى على عرشه وأصبح ملكا حكيما ولكن دورة سعادته وقفته عند هذا الحد ومع ذلك فكان الاسكندر فيليبش لا يبرم أمراً او ينقضه الا باشارته وكان بمنزلة الوزير والمشير الى ان توفى الاسكندر ومن كلامه الذى كتب به للاسكندر أيها الملك لا تنخدع للهوى وان خيل اليك ان فى انخداعك له خداعه فقد يسترسل الانسان وهو يظن انه متحفظ واجمع فى سياستك بين بدار لا حدة فيه وريث لا غفلة معه وامزج كل شكل بشكله حتى تزداد قوة وكن عبداً للحق فعبد الحق حر وليكن وكدك الاحسان الى الخلق ومن الاحسان وضع الاساءة فى موضعها وكن نصيح نفسك فليس لك أرأف بك منك واذا اشكل عليك امر فاضرع الى الله تعالى يبلغك هذه الغايه فانه يفتح لك المرتج واذا فاتك شيء فاعلم ان ذلك لسهو عرض لك فى الشكر على ما افادك

ومهما أخطأك شيء فلا يخطئك الفكر فى الرحيل من هذه الدار ون
العجائب الدهرية ان العقلاء مهما اجهدوا النفس فى حفظ مستقبل حياة
ذرياتهم وعملوا على وصول مجدهم اليهم لا تصغى الحكمة الكونية اليهم
بل تعيرهم اذناً صماء لما هنالك من لزوم انتقال الهيئات والاحوال من
أناس الى آخرين للتداول شان التساوى والترتيب الالهى لما اظهر
ارسطوطاليس كتبه فى الطبيعيات وما وراءها والرياضيات وكان الاسكندر
فى آسيا فلما علم بذلك اعتراه غم شديد لانه كان طماعاً حريصاً على ان
يكون السابق فى كل شيء فبعث الى ارسطوطاليس بالرسالة الآتية من
الاسكندر الى ارسطوطاليس ليس من الصواب ما فعلته من اظهار
كتب العلوم ليتداولها عموم الناس لانه اذا فشى بين الناس على اختلاف
انواعهم ما نعرفه فباى شيء نفضلهم ولا يخفى اننى أوثر ان اكون فوق
غيرى فى المعارف الشريفة على ان اكون اعظم منه شوكة وبأساً فكتب
اليه ارسطوطاليس تسكيناً لغيظه اننى اظهرتها ولكنها لم تظهر واراد
بذلك انه اغمض عبارات مذهبه بحيث لا يهتدى الى ما فيه من المعارف
ولم تدم المودة بينه وبين الاسكندر ومن هنا تعلم ان الاسكندر قد
فطن الى انه متى اخذ الناس العلم وجالت افكارهم بما وصل اليهم من
الحكمة تحول السودد والفخار الى الاقوى علماً وربما انتقل الملك عن
ولده او عنه فى حال حياته فما سمعنا ان متغلبا تغلب بجهله بل لابد من
داعية قوية فى نفسه مكنته من الامر فهذا ابو المسك كافور بن عبدالله
الاخشيدى كان عبداً لبعض اهل مصر اسود اللون شديد السواد بصاصاً

ثم اشتراه ابو بكر محمد بن طغج الاخشيد في سنة اثنتي عشرة وثلاثمائة بمصر من محمود ابن وهب بن عباس بثمانية عشر ديناراً وترقى عنده الى ان جعله اتابك ولديه ولما تولى مملكة مصر والشام ولده الاكبر ابو القاسم محمود قام كافور بتدبير دولته احسن قيام الى ان توفي وتولى بعده اخوه ابو الحسن علي فاستمر كافور على نيابته وحسن ايالته الى ان توفي علي المذكور ثم استقل كافور بالمملكة من صفر سنة ست وعشرين وثلاثمائة واشير عليه باقامة الدعوة لولد ابي الحسن علي بن الاخشيد فاحتج بصغر سنه وركب بالمطارد واظهر خلعاً جاءته من دار الخلافة وكتاباً بتكنيته وامتدح باحسن المدائح وما احسن قول ابي الطيب المتنبي فيه من قصيدة كلها درر وغرر

فواصد كافور توارك غيره * ومن قصد البحر استقل السواقيا

فجاءت بنا انسان عين زمانه * وخلت بياضاً خلفها ومآقيا

وكان يدعى له على المنابر بمكة والحجاز جميعه والديار المصرية وبلاد الشام من دمشق وحلب وانطاكية وطرسوس والمصيصة وغير ذلك ولم يصل كافور الى ما وصل اليه الا من ذكائه وفطنته فقد حكى عنه انه سمع دق النوبة فاهتز كما يهتز العبيد عند الرقص وخاف ان يلاحظ عليه احد فاتخذها عادة حتى عرف بها وقال المتنبي اني كنت اذا دخلت على كافور وانشده يضحك الي ويبش في وجهي الى ان انشدته

ولما صار ود الناس حسباً * جزيت على بتسام بابتسام

وصرت اشك فيمن اصطفيه * لعلمي انه بعض الانام

قال فما ضحك بعدها فى وجهى الى ان تفرقنا فعجبت من فطنته وذكائه ولما فارقه المتنبى هجاه ومن قوله فيه

من علم الاسود المخصى مكرمة * اقومه البيض ام آباؤه الصيد
ام اذنه بيد النخاس دامية * ام قدره وهو بالفلسين مردود
وذاك ان الفحول البيض عاجزة * عن الجميل فكيف الخصية السود

وليس امر كافور ببعيد من الملك فان حرمته اخذت تزداد وهيبته تكبر فى العين كلما تقرب من الملك واستعمله فى اموره حتى كان من امره وتغلبه على المملكة ما كان واما ابو سعيد القرمطى واسمه الحسن بن بهرام الجنابى الذى اظهر مذهب القرامطة فاصله من جنابة بلدة بساحل بحر فارس وكان دقاقاً فنفى عن جنابة فخرج الى البحرين فاقام بها تاجراً يبيع الطعام وجعل يستميل العرب بها ويدعوهم الى نحلته حتى استجاب له اهل البحرين وما والاها ولما قتله خادمه الصقلبى او الصقلى فى الحمام قام بعده ولده ابو طاهر سليمان بن ابى سعيد القرمطى وكان شهماً شجاعاً ذا دهاء ومكر وقصد البصرة فى ربيع الاخر سنة ٣١١ ووضع السيف فى اهلها هو ومن معه من الرجال وعدتهم الف وسبعمائة رجل من الاشداء فقتلوا خلقاً كثيراً واستدامت فتنته زمنا طويلا وكانت اشد فتنة على الاسلام فقد تعرض القرامطة للحجاج بالنهب والسلب والقتل والحريق وكذا فعل اولئك القوم بمكة ما لم يفعل فقتلوا الناس فى الحرم وفى البيت نفسه وقلعوا الحجر الاسود وانفذه ابو طاهر الى هجر وقلع باب البيت وطرح القتلى من اشراف مكة وغيرهم فى بئر زمزم ودفن الباقين

فى المسجد الحرام ثم رد ما امكنه رده مما اخذه من البيت بدعوة المهدى العلوى بافريقية ولا زال امر القرامطة بعد ذلك يقوى وتشد وطأتهم على اهل الاسلام حتى مات ابو طاهر بالجدرى فى رمضان سنة ٣٣٢ ولم يكن غرضنا بذكر تلك الحوادث الا عبرة لمن يعتبر وان الاحوال لا تدوم لاحد ولابد يوماً ان يقوى الضعيف على القوى ويتغلب عليه بحكم الوراثة الطبيعية والنشأة الكونية وبهذا استقر للتساوى بين بنى النوع الانسانى على جودى البراهين ولو تتبعنا اخبار القرون الاولى لوجدنا مما يماثل ذلك شيئاً لا ينحصر وفى العصور القريبة ما هو اعجب من ذلك فانكم ايها المطالعون لو سمعتم بان ولد اسكاف صار ملكاً عظيماً لبهتم لهذا الخبر وقضى عليكم بالعجب ان لم تكذبوه وتجعلوه مستحيلا وها انا قاص عليكم نبأ جون ادمس المولود سنة ١٧٣٥ فى مدينة برنترى من ولاية مستشوستس ابوه ابن هنرى ادمس الذى نزح من انكلترا سنة ١٦٤٠ كان شماساً وفلاحاً واسكافاً ومع قلة ماله تمكن من تعليم ولده هذا فى مدرسة عالية فبرع فى العلوم حتى صار من المدرسين لاصول الصرف والنحو فى مدرسة صغيرة وفى تلك الاثناء ثارت الحرب على فرنسا فكتب جون ادمس الى بعض اصحابه مقالة ضمنها بعض اقوال تتعلق بمستقبل الشعوب التابعة لانكلترا وتجارتها ومستعمراتها حتى عده الذين وقفوا على تلك الكتابة من رجال السياسة ثم انصب على مطالعة الشرائع والقوانين فمهر فيها وسنة ١٧٦٤ اقترن بابنة قس من مدينة ويموث تدعى ابيغائيل سمت كانت عائلتها اعلى منزلة من عائلته وكانت على جانب

عظيم من النباهة والحذق وذات اخلاق كريمة ثم اخذ جون ادمس المذكور يجد فى تحصيل مركز فى مجالس الحكومة الامركانية وتعاطى الامور السياسية ولم يمض الا قليل واشتهر امره وارتفع شانه وتقلد عدة ماموريات فى مجالس بلاده وكانت له اليد الطولى فى سن النظامات الاساسية التى اتخذت دستوراً للولايات المتحدة الامركانية للان وارسل الى فرنسا وانكلترا وهولاندة فى ماموريات مخصوصة فكان فى كل ذلك يظهر من الحذق وحسن التدبير والحزم ما اكسبه شهرة عظيمة واعتباراً عموميا حتى كان كثيرون يحسبون انه اعقل وانشط واشجع رجال السياسة فى بلاده ولما انتظمت احوال الولايات المتحدة بعد انفصالها عن انكلترا انتظاماً رسمياً وكان واشنطون رئيس الجمهورية انتخب مستر ادمس هذا نائباً للرئيس وجعل رئيساً لمجلس الشيوخ ولما اعتزل رئيس الجمهورية الاشغال بعد نهاية مدة رياسته الثانية كانت المزاحمة على كرسى الرياسة بين جفرسون وادمس هذا ولما كانت اصوات انتخاب ادمس اكثر من اصوات انتخاب جفرسون دخل فى ريأسة الولايات المتحدة فى ٤ اذار مارس سنة ١٧٩٧ فى وقت كانت الاحوال فيه فى اضطراب وارتباك ويكفى من ذكرنا شاهداً واستدلالا على تداول الايام بين الناس مصداقاً لقوله عز وجل وتلك الايام نداولها بين الناس فوجب على الانسان حينئذ ان لا يذم الزمان وينسب اليه الغدر والخيانة وليس من شان الزمان ابرام امر او نقضه وانما هو متداول بين الناس بالامر الالهي والحكمة الاقدسية فاذا جاءت دورة السعادة لقوم هيئت لهم

أسبابها وسهلت امورها وربك الفعال لما يريد انتهى ومما يناسب هذا المقام ما قاله محمد ابو الحسن البصرى رحمه الله

ترى الدنيا وزهرتها فتصبو * وما يخلوا من الشبهات صب
فضول العيش اكثره همـوم * واكثر ما يضرك ما تحب
فلا يغررك زخرف ما تراه * وعيش لين الاعطاف رطب
اذا ما بلغة جاءتك عفواً * نخذها فالغنى رعى وشرب

وهذا مجال تكل السنة الاقلام. فيما قيل فيه من نثار ونظام. فالاولى الاجتزاء من بحره بنغبة. (١) لمن له فى الاقتصاد رغبة. وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم انتهى

رجع الى شعر صاحب الترجمة قال وكتبت وقد طلب منى بعض الطلبة استعطاف القاضى فى مراده الذى تضمنته الابيات عام ثلاثة وعشرين وثلاثمائة والف

اقاضى القضاة وغيث العفاة * ومن لاح فى دارة العلم بدرا
اذا ازهرت منك بيض الايادى
فانك لاشك انت ابن خضرا
اتانى عبيدك احمد راج * لديك بشعرى يمناً ويسرا
فلا تصرفنه مع الوزن فيه * ومعرفة لا تخالط نكرا
يؤمل نظماً بسلك العدول * وعلمك بالنقد فى النظم ادرى
فحقق لديه مجاز الرجا * لعلك تغنم ان شئت اجرا
وقابل بفضلك منى الفضول * فعذرى عندك يحتاج عذرا

١» النغبة الجرعة من الماء

وما لى وللشعر هل مثلى من * يقول مع الجهل نظماً ونثرا

تلاطم بحر العروض العريض * فمد على مده الكسر جسرا

وخلفه صغر السن فى * مقدمتين فكبرى وصغرى

ولكن لخاطره قد جبرت * وان كان قد قاد فكرى جبرا

وان يسئل المولى عنى فانـ * ـى من العلم عبد السلام المعرى

انا ذا المحب محبكم * فلا تجعلوا منكم الوصل هجرا

وقوله فلا تصرفنه مع الوزن فيه الخ هى تورية تجاذب اولو الادب اذيالها وتعاطوا على بساط التنافس جريالها . قال ابن عنين

شكا ابن المؤيد من عزله * وذم الزمان وابدى السفه

فقلت له لا تذم الزمان * فتظلم ايامه المنصفه

ولا تعجبن اذا ما صرفت * فلا عدل فيك ولا معرفة

وقال الكمال البارزى

ايا عمر انزجر عن مثل هذا * فاحمد بالولاية مطمئن

فان يك فيك معرفة وعدل * فاحمد فيه معرفة ووزن

والبيتان جواب للشيخ عمر بن الوردى عن قوله لما عزل عن ولاية القضاء ووليها اخوه احمد

حملتنى واخى تباريح البلا * وتركتنا ضدين مختلفين

يا حى عالم عصرنا وزماننا * الك التصرف فى دم الاخوين

كانه يشير الى قوله صلى الله عليه وسلم من ولى القضاء فقد ذبح بغير سكين وقد استعمل لسان الدين بن الخطيب دم الاخوين تورية قال فى

كتابه الصيب والجهام والماضى والكهام وقلت فى معنى التورية الطبية بالدواء المسمى بدم الاخوين فى شأن السلطان الخائن اسماعيل واخيه قيس وهذا الدواء انفع الاشياء للجراح الطرية

باسماعيل ثم اخيه قيس * تاذن ليل همى بانبلاج
دم الاخوين دوى جرح قلبي * وعالجنى وحسبك من علاج

ويشبه قول البارزى قول الحسين بن الريان

اتيت خانة خمار وصاحبها * مماجن متقن للنحو ذولسن
وحوله كل هيفاء منعمة * وكل علق رشيق اهيف حسن
فقال لى اذرآعينى قدانصرفت * الى النساء مقال الحاذق الفطن
انث وركب وصف واعدل بمعرفة
واجمع وزد واسترح من عجمة وزن

ومن بديع ما وقعت فيه التورية بالالقاب النحوية رسالة للقاضى محيى الدين بن عبد الظاهر فى شفاعة ما نسبح على منوالها وهى ادام الله نعمة مولانا ولا زال علم علمه مرفوعاً ابدا . وبناء مجده منصوباً بخفض العدا ولا برحت اقلامه لافعال الشك جازمة . ولاعدائه متعدية . ولآرائه لازمة اما بعد فان فلاناً حضر وادعا انه رخم فى غير النداء . وجزم والجزم لا يدخل فى الاسماء . واستثنى من غير موجب نخفض والخفض من ادوات الاستثناء . وذكر ان العامل الذى دخل عليه منعه من الصرف ولزمه لزوم البناء . واجتمع معه فى الشرط وافرده بالجزاء . والمأثور من مكارم مولانا نصب محله على المدح لا على الاغراء . ورفع اسمه المعرى من العوامل

على الابتداء . ففيه من التمييز والظرف . ما يوجب العطف . ومن المعرفة والعدل ما يمنعه من الصرف . لا زال مولانا باباً للعطف والصلة . ومئاثر مكارمه متصلة لا منفصلة . انتهى

قال صاحب الترجمة وقلت فى التغزل

وسمى بها حمراء مثل خدوده * وعيـونه وثغيره البراق
يمشى على رود (١) يميد تأوداً * فكأنما يمشى على الاعناق
وكأنه الف كغصن مائل * مترنح يختال فى الاوراق
راقت شمائله ورق شموله * فتشابه الاقداح بالاحداق

والبيت الرابع كقول الشيخ علي الكيزانى

رق الشراب ورقت الكاسات * وتشابها فاضاءت المشكات
اشرب هنيئاً ان فهمت حديثنا * انت الكليم وذاتك الميقات

وقول الصاحب بن عباد

رق الزجاج وراقت الخمر * فتشاكلا فتشابه الامر
فكأنما خمر ولا قدح * وكانما قدح ولا خمر

وقول ابن الزقاق

سقتنى بيمناها وفيها فلم ازل * يناز عنى من ذا ومن هذه سكر
ترشفت فاها اذ ترشفت كاسها * فلا والهوى لم ادر ايهما الخمر

قال وقلت عام ١٣٢٠ متغزلا ومورياً باسمى

ايا من زاده قد وصدغ * مضاعفة وزاد فى ملامى
افادانى به التعريف حقا * فلم انكره من الف ولام

١) رود مهل

بقدك او بصدغك ان تنادى * ايا مولاى عبدك يا غلامى
وان تفش السلام على مجاز * فانى حقيقة عبد السلام

قال وقلت متغزلا فى عام ١٣٢٣ وانى ارى هذا من ابتكارى والطف ما قيل فى المعذرين من حسن التعليل

يقولون من تهوى التحى وتغيرت * محاسنه عن وجهه وتعمما
فقلت غلطتم انما درى اننى * احاول لثم خده فتلثما

قلت كانه ينظر الى قول القائل

قوم لهم شرف العلا من حمير * وان انتموا صنهاجة فهم هم
لما حووا احراز كل فضيلة * غلب الحياء عليهم فتلثموا

قال وقلت مكتفياً فى اسم الخيلى وقد كنت عجزت عنها

ايا لفؤادى ما لقيت بليلة * على الصبح فيها قد غدا النصر لليل
كمى بحب الخيل همت صبابة * وغير عجيب ان صبوت الى الخيلى
فياليت شعرى هل ابيت بصهوة * اعانق لدن السمر محمرة الذيل

قال وقلت مورياً باسمها

ايا لائمى فى الخيل ليس نصيحة * ولكن به عما انال بها عجز
اعد نظراً هل تارك الخيل عاقل * وفى بطنها كنز وفى ظهرها عز

قال وقد جعل الله هذا الكنز كنزا لا ينفد وعزاً لا يذل صاحبه وفى هذين البيتين ما لا يعبر عنه من الابداع السرى والتلميح النورانى والله ذو الفضل العظيم لا مانع لما اعطى سبحانه اه

قال وقلت ارثى مولانا الوالد قدس سره ابا عبد الله سيدى محمد المهدى

المحب المتوفى ليلة الاحد فى الساعة السابعة منه وهو السابع والعشرون من محرم الحرام عام احد وعشرين وثلاثمائة والف

سل الدار عن سكانها اين يمموا * واين ثووا بعد الرحيل وخيموا
اذا وردت ماء النعيم مطيهم * فقد لفحت قلبي الكئيب جهنم
فعذرى فى جف المدامع واضح * وانى يسيل الماء والنار تضرم
اتانى كتاب ناعياً بفراقهم * فعاد نهارى داجياً فهو مظلم
اقلبه طوراً وتزداد لوعتى * كما ازداد سماً من به عض ارقم
وقد كان قلبي بالرزية مخبرى * فصار بياناً ما له اتوهم
هو الموت مر فى المذاق وشربه * على كل حى واجب متحتم
ارى الدنيا بحراً زاخراً وهو ساحل * وبعض الورى غرقاه والبعض عدم
وما هذه الاعمار الا سفائن * مجاذفها الايام تمضى وتصرم
اباد الردى آباءنا وجدودنا * وكل تساوى آخر ومقدم
عجبت لمن يبنى القصور جهالة * وقبره ما تحت الثرى متهدم
اغرك من دنياك حسن ابتسامها * حذار حذار عطرها فهو منشم(١)
اتلهوا ضلالا فى امان وهذه * طيور المنايا فوق رأسك حوم
تروح وتغدو لا لديك تفكر * ولا عبرة كانما لست تعلم
وما فات فى الدنيا كمثل محمد * وقد صار للدار التى هى ادوم
لقد عاش لا شئ يخاف عقابه * ومات ولا شئ له يتندم

---

١) منشم كمجلس ومقعد عطر شاق الدق او قرون السنبل سم ساعة وبنت الوجيه العطارة بمكه ركانو اذا ارادوا القتال وتطيبوا بطيبها كثرت القتلى فقالوا اشام من عطر منشم ق

مضى غير صاح من هواه وسكره * الا انه هـــو المحب المتيم
ومذجذبت ايدى الحبيب بضبعه * غدا بلسان الحال عنه يترجم
ولو كان كل ميت كمحمـد * لهان على الناس الذى هـو اعظم
فياليتنى قد كنت عند احتضاره * اقبل ذاك الكف منه والثم
ويا ليتنى قد كنت عند محمد * اذا ماهم صلوا عليه وسلموا

قال وقلت مكتفياً ومجنساً

ايانفس لا تضجرى وابشرى * بنيل المنى وبنيل المرام
ولا يكسر الياس قوس الرجا * حتى ترين نبل المرامى

قال و كتبت للفقيه الوزير الاعظم سيدى محمد المفضل غريط ابقاه الله فى بعض الاغراض مانصه مضمناً

امولاى لوان امرأالقيس حاضر * لساعدنى بالقيل منه وبالقال
وقال ولم يذكر طلولاً واعصراً * الا عم صباحاً ايها البصل الغالى
ولم تستفز الخمر والصيد عقله * واشغله عن رأله(١) ذكر ريالى
ولو انما اسعى لادنى معيشه * كفانى ولم اطلب قليل من المال
ولـكننى اسعى لمجد مـؤثل * وقد يدرك المجد المؤثل امثالى
بقيت بقاء الدهر غير مذمم * فمالنا بعد الله غيرك من والى

وكتب للوزير المذكور

ايهاذا الوزير دمت جمالاً * وثمالاً (٢) للملك والضعفاء
لا تدعنى بلا كساء فانى * لست قار للنحو دون الكساء

١» الرأل ولد النعام ٢ الثمال ككتاب الذي يقوم بامر قومه

علها ان تكون جعدية الشعـ * ـر وعلي كنابغ الشعراء
نخريف الزمان غنا تولى * منذر الناس بحلول الشتاء
حين تندى الانوف من كل وجه * كاكف تندى من البخلاء
ويصير الانام طرا مجوساً * من رهين لجذوة باصطلاء
وترى القين(١) قدغدا وهو محسو * د على انه من الاشقياء
لاتدعني بلا جزور فقد كد * ت لحظى يخيب فيك رجاءى
ما دعوه الخليع ثور سمين * اصفر اللون اخضر الامعاء
لو رآه لحسنه سامرى * كان منى المفدى خير الفداء
يا عماد الورى تقبل فضولا * من نظامى يا نخبة الفضلاء
لا تعجب فالشعر كالطير يغشى * رغبة الحب منزل الكرماء
زادك الله نعمة فى سمود * واعتلاء يا سيد الوزراء

قوله ويصير الانام طراً مجوساً . قول ابن سهل

فؤادى حنيفى ولكن مقلتى * مجوسية من خده النار تعبد

ارق تشبيها واحسن على الاحتراس تنبيها . ومن حسن الاحتراس وبديع الاقتباس . قول ابى نواس .

كسر الجرة عمراً * وسقى الارض شرابا
صحت والاسلام دينى * ليتنى كنت ترابا

وتبع ابانواس فى اقتباسه . الا انه جرده من حسن لباسه بعض الادباء فى رثاء العلامة ابى محمد عبد السلام جسوس المخنوق ليلة الخميس خامس

١» القين الحوادج اقنيان وقيون

وعشرى ربيع الثانى او منتصف ربيع النبوى عام واحد وعشرين ومائة والف

اى حبر مات صبراً * شب فى العلم وشابا
اودعوه الترب قبلى * ليتنى كنت ترابا

ويشبه قول ابى نواس قول ابن الزقاق

وحبب يوم السبت عندى انى * ينادمنى فيه الذى كنت احببت
ومن اعجب الاشياء انى مسلم * حنيف ولاكن خير ايامى السبت

وقوله اصفر اللون اخضر الامعاء . قد حملته المقابلة فيه على تناقض بين ونقد متعين . وهو ان اخضر الامعاء انما يوصف به المهزول . من كل ما كول . ويقال على سبيل الكناية فلان اخضر الامعاء . يراد انه قليل النعماء . ولو قال احمر اللون اصفر الامعاء لسلم من هذا الايراد واصاب ثغرة المراد . فان قيل كنى باخضر الامعاء عن كثرة رعيه للخضر . ففيه نظر . وهو ان الخريف ليس فيه من الربيع مرعى . يملا ضرعا . وما احسن ما قيل

ان الملام بذى الهوى متقيد * كتقيد الايراد بالاقوال

وهذه انما هى مباحث فكاهية . لا منازع فقهية . والا فهذا الشعر هو السحر المعجب . والانيس المطرب . والتحفة السنية . والغنيمة الهنية قال وقلت مخاطباً للحضرة الادريسية الحسنية المحمدية زادها الله تكريماً وتعظيماً فى ليلة الخميس ١٩ رمضان المعظم عام ١٣٢٣ فى بعض الاغراض

امولاى ادريس انت الملاذ * وانت المعاذ وانت المناص(١)
ببابك تنمو غراس المنا * وتثمر بالغيث منك العراص
ويلفى المزاد ويلقى المراد * ويزجى الشريد ويرجى الخلاص
تعودت من جودك المستفاض * عوائد جمت بدون اختصاص
ففرعت كم شامخ من هضاب * قرعت به فاتحاً كم خصاص(٢)
فلست ابالى برامى نبال * تعود عليه عواد عواص
فجاهك لى خوذ(٣سابغات * فلم اك اخشى انتقاص اقتناص
وجيشى الخميس وخيسك(٤) كهفى
ولا كالكهوف ولا كالصياص(٥)
ولا غرو انك شبل الرسول * ونائبه فى مدان وقاص
ومحيى رميم عظام الهدى * وبانى الاساس له بالرصاص
عليه الصلاة وازكى السلام * وآله والصحب اولى التواص

قال وقلت فى مدح المقام الادريسى الفاسى زاده الله شرفاً ونفعنا ببركاته آمين

بباب قطب المغرب * تحظى بكل ارب
ادريس نجل المصطفى * من عجم وعرب
الطيب بن الطيب بـ * ـن الطيب بن الطيب
فهو كالترياق(٦) للـ * ـحوائج المجرب

١» المناص الملجأ ٢ الخص بالضم البيت من القصب ٣ خوذ ج خوذة بالضم المغفر ٤ الخيس بالكسر موضع الاسد ٥ الصياصى ج صيصة بالكسر الحصن وكل ما امتنع به ٦ الترياق بالكسر دواء مركب

لا تنكر الزحام فيه * فهو عذب المشرب
فلتقرعن مصراعه * قرعاً بحسن ادب
بنية خالصة * تر عجاب العجب

قال وقد عقدت فى هذا قول الامام اليوسى فى مولانا ادريس رضى الله عنه فوجدته للحوائج ترياقاً مجرباً فى كلام له فى كتاب المحاضرات فى زيارة الاولياء ه

قال وقلت فى مدح الجناب الادريسى الازهر امدنا الله بمدده الاوفى آمين

لمولاى ادريس ابن ادريس رتبة
تود الثريا أن تكون مكانها
فلو كان بعد جده من نبوة * لنالها دون العالمين و كانها

اه وقوله هذا اشارة الى قول بعض العارفين لو قدر ان يكون بعد النبى صلى الله عليه وسلم نبى لكان مولانا ادريس رضى الله عنه نبياً اه قال وقلت امدح الولى الاشهر الكبريت الاحمر .ذا الجذب الربانى. والكشف الرحمانى سيدى منصور بن سيدى سعيد القطب الاكبر ابن ابى عثمان المشتراى رضى الله عنهما ونفعنا ببركاتهما آمين عام ثلاثة وعشرين وثلاثمائة والف

طلول عفت آياتها ادمع الطل * وطال على اشخاصها العهد بالظل
طلول لسلمى لانحات رسومها * كمالاح وشم الواشمات على رجل
ولم يبق من آثارها غير مابدا * على الخد من خيلان اوحدق نجل

تمشى بها الارام كالروم فى الضحى * فيحسبها المنتاب من عدد النمل
باتلع يغلى المسك فى عقد نحره * فيغلو اذا اهريق صائكه(١ المغلى
واحور مخضوب الاكارع والشوى(٢)
خضيب بلا حنا كحيل بلا كحل
تهيج به هوج الرياح لواقحاً * فتعقب من نكبائها المحل بالمحل
ولوجادها من جود منصور ماطر * لاسمع فى ارجائها دوى النحل
هو الوابل الهطال والاسد الذى * يحامى بلا ظفر ويصمى بلا نبل
هو ابن ابى عثمان والوارث الرضا
وهل يرث الليث الهصور سوى الشنبل
مناقبه كالشمس فى رونق الضحى * واسراره مثل الكواكب فى اليل
وفرع على اقوى الاصول نباته * واطيبها والطيب فى الفرع بالاصل
امولاى يا منصور انى رضيعكم * تحنوا فان الام تحنوا على الطفل
وانى بلا ريب محبكم الذى * برابط راج منكم صلة الوصل
وانى لخفاف الجناح اليكم * على قصه فى الشوق صرت لذا اشغل
فيا ليت شعرى هل ابيتن ليلة * واصبح فى مكناس حطت بكم رحلى
بمغنى السنا والعز والسعد والهنا
ومعنى الهدى واليمن والخير والفضل
بعود بلا تدخين ماء بلا قذى * عطاء بلا من وجود بلا مطل
وانى اذا ما سرت نحو حماكم * فماسرت من اهلى الا الى اهلى
عليكم سلام الله مافاح ذكركم * وعطرت من مسك الختام به قولى

١» الصائك اللازق ٢ الشوى اليدان والرجلان

اه قال وقد وقع لى التوارد فى هذه القصيدة مع الرستمى فى قوله فى التقسيم

فتى حازرق المجد من كل جانب * اليه وخلى كاهل الشكر ذا ثقل

بعفو بلا كدر وصفو بلا قذى * ونقد بلا وعد ووعد بلا مطل

قلت ومثله فى التقسيم قول الاخر

ارى الدهر ان يبطش فمنك يمينه

وان تبسم الدنيا فانت لها ثغر

عطاء ولا من وحكم ولا هوى * وحلم ولا عجز وعز ولا كبر

قال وقلت فى يوم عاشوراء من محرم فاتح عام ١٣٢٣ وكان يوم الجمعة وهى مذكرة ذكرت بها نفسى ونصيحة خصصت بها رأسى . وفقنا الله للخير آمين

ياطالب العلم ما اجملت فى الطلب * العلم ويحك غير كثرة الكتب

لاكنه كثرة الازمان تقطعها * بالجد والجهد لا باللهو واللعب

وان تكون اخا عقل وذا عمل * وان تكون اخا صبر على التعب

فالصبر اوله صبر وآخره

احلى لصاحبه من ذائب الضرب

تمسى وتصبح ذا جوع وذا سهر

وفطنة المرء فى التسهيد والسغب

فذلك العلم ليس العلم ما جمعت

كف الجهول من الاوراق والقصب

كالعير يحمل اسفاراً وليس له

منهاسوى الحمل او يجثوا على الركب

مثل الذى صار يفنى وهو ذو صمم

امواله فى اشتراء آلة الطرب

يخال ذا العلم عبداً تحت طاعته * إذا دعاه بما يدعا به يجب

هيهات لم يحمل الهندى ضاربه * وقد رمى السهم من بالسهم لم يصب

إن الذى كثر الجهال خشيتهم * مشقة العلم والحرمان بالادب

أخبرنى رحمه الله قال اجتمعت ببعض أفاضل الطلبة. وأعيان الكتبة وكانت له خزانة كتب منتخبة. أنفق موجوده فى جمعها. وجمع أنسه فى رفعها ووضعها. فجعل يذكر لى ما اشتملت عليه الخزانة من غريب المؤلفات. وبديع المصنفات. فانشدته هذه الابيات غلطة لولا ثقته بالود لعظم جرمها. وانقلب الى سهمها. فلما سمعها اطرق استحياء. وانقبض بعد ان كان يظهر بسطاً وازدهاء. وصرت لا أقدر ان أحدق اليه ولا أستطيع ان أرد كلمة عليه. اه

قال وكتبت لمحل ولدى الفقيه الوزير الصدر الاعظم سيدى محمد المفضل غريط مهنئاً له بخصة فرغ من عملها بعرصته الميمونة متعه الله بها ومتعنا به آمين عام ١٣٢٣

فرحى بايام الربيع وفصله * فرحى بايام الشبيبة والصبا

زمن يروق نضارة وغضارة١ * ابداً وتحمد ريحه عند الصبا

قدختم الاغصان من أزهاره * وكسي معراها وتوج الربا

١» الغضارة النعمة والسعه

وأقام أطيار الوكون سواجعاً * فكأنما أوحى لها ان تخطبا
وكانها جاءت مهنئة بما * اولاكه رب الانام وماحبا
وبخصة رفع الكمال عمودها * فكأنما جاءت لكيما تشربا
إني ليمنعني إذا شبهتها * بالكف منك مخافتي ان أكذبا
فلان كفك دائماً دفاقة * بخلاف تلك فربما ان تنضبا١
أبقاك ربي للانام ذخيرة * وأنالك العمر الطويل الاعجبا
بسعادة وسيادة وجلالة * فمن الانام لعمري أنت المجتبي
واليك تهنية فقد أنها كها * عبد السلام ومن يراك له أبا

اه وقد وقعت له غفلة في هذه الابيات البديعة الغراء. كما وقعت من غيره من فحول الشعراء. في قوله بخلاف تلك فربما ان تنضبا. ومع ذلك فقد نضبت تلك الخصة. وأجدبت هاتيك العرصة. لما ازدلف الى مولاي عبد الحفيظ كل هماز مشاء بنميم. مناع للخير معتد أثيم وأغروه باعطائها لقرد من قردة الاشلاح. محب للافساد عدو للاصلاح كغيرها من أملاك من لم يجد حميماً شافعاً. ولا حامياً نافعا. فلما حلها طاف عليها من عيشه طائف. وخشن أماكنها بعد ان كانت محل الطرف واللطائف. وما أدراك بمن شب في مرابض البقر وطب بسحيق البعر واستكن في بيوت الطوب. ومواقع الخطوب. بين غارة غادية ورائحة وسيول طافحة. وأوساخ على الوجوه والاطراف لائحة. واقذار فائحة فهل يعتبر الحدائق المدبجة. والابهاء المزدجة. والمنازه المزخرفة. بالرقوم المصنفة. إنما هي كالحكمة لا تعطى الا لذويها. ولذلك قيل فيها. ترفعياً

«١ تنضب تغور

لقدرها وترفيها

نزه الحكمة عمن * سمعه ليس يعيها
خير ما يجلب للاسد * واق ما ينفق فيها

وقد قيل سكنى الاعراب . عنوان الخراب . وأعانه على تعديه . وأبدى ما لم يكن بيديه وعاث معه وأفسد . وتنمر بصحبته وتأسد . من فيه من القرابة شائبة . وسجية الى النفاق جاذبة . يميل مع كل ريح . ولا يبالى فى اغراضه الفاسدة بكناية ولا بتصريح . ولا عجب فى فعله ولا غرابة فانه من عصابة

أظهروا للناس دينا * وعلى المنقوش داروا
وله صلوا وصاموا * وله حجوا وزاروا
لو علا فوق الثريا * ولهم ريش لطاروا

حتى قيل فيهم

طف بالبلاد وابحثن * فى مغرب ومشرق
فلا ترى فى أهلها * مثل بنى الموفق
فى المين والافساد بيـ * ـن الخلق والتملق
من يرجهم يرج من الـ * ـقربة رشح العرق
فاجتنبنهم واستعذ * منهم برب الفلق

وقلت فيه على الخصوص

يقولون لى ان المضلل مولع * بشتمك فلتسلك الى هجوه نهجا
فقلت هو الشيء الذى تعلمونه * يضر ويوذى وهو أحقر ان يهجا

غايته التربع على المـوائد . والدخول فى الجموع كالنون الزائد . والتشبع والفخر بنفيس الغير وجيده . كالخصى يفخر بمتاع سيده ومن انكرما هو عند الحر مشكور . من رب المحل المذكور . إذ اراحه من دبغ الجلود فهو الام مولود . ولقد صدق ابو الطيب فى قوله

اذا انت اكرمت الكريم ملكته * وان انت اكرمت اللئيم تمردا
فوضع الندى فى موضع السيف بالعلا
مضر كوضع السيف فى موضع الندى

وقد كنت دخلت روضة لبعض كبراء الكتاب تشابكت خمائلها وتساجلت بلابلها . حين كان ذلك القرد متمكناً من تلك العرصة . والمضاف اليه ينتهز فى الافساد كل فرصة . فحركت طربى . وأججت حربى . فقلت وان لم يكن الشعر . فى ذلك الوقت الوعر . منتهى اربى

تذكرنى معاهد كم عهودى * بذات الطل والظل المديد
نلم بحوزها فنذوب شوقاً * ونمنحها التحية من بعيد
كانا لم نكن فيها نساقى * كؤس الانس بالقصر المشيد
ولم تمل الغصون بها نشاوى * ترنحها البلابل بالنشيد
ولم يكن الزمان لنا مطيعاً * نصرفه كتصريف العبيد
وليلات الحظوظ بنا زواه * زواهر فى المصادر والورود
تناط بنا المعالى والامانى * على رغم المعاند والحسود
مضت أيامنا فغدت حديثاً * يقصر سرده ليل الصدود
يقول الفكر حين نفيض فيه * الايا عين بالعبرات جودى

ولم تر قبل ذا عيني عرينا * غدا مأوى الارانب والفرود
وان من العجيب حلول نحس * عظيم الشؤم منزلة السعود
فلا غفر الاله لساكنيها * ولقوا صولة الزمن العنيد
يؤنسنا الرجاء اذا قنطنا * ويحملنا على الصبر الحميد
وما ندرى لعل الله يوماً * يمن علينا بالفضل المزيد
فما اشتدت صروف الدهر الا * تلتها مواهب الرب المجيد
فترتحل العوارض عن حمانا * الى مأوى المعارض والطريد
فكم عان اضر به اضطرار * حباه الله بالخير العتيد

وقد ابلغ الله الامنية . وحل طاسم التحجير عن تلك العرصة الهنية وطرد البومة الى وكرها. وطهر الساحة من جورها ومكرها . ولم تجد لها من ناصر ولا مصرخ . بعد ان كادت تبيض وتفرخ . ورجع شباب الروض الى عنفوانه . وماؤه الى فيضانه . والله لا يخيب راجيا ولا يطرد من باب فضله لاجيا .

ولرب نازلة يضيق لها الفتى * ذرعاً وعند الله منها المخرج
ضاقت فلما استحكمت حلقاتها * فرجت وكان يظنها لا تفرج

قال وقلت عام ١٣٢٢ فى شأن جارية اشتريت لى على يد نخاس يعرف بابن كيران وراعيت فى اسمه غير الاصل فى اللغة

مجاز الامانى صار حقا حقيقة * فقد آن بالامال ان اسمع البشرى
وانتعلن خف المنى غير راجع * بخف حنين بعد ماخلتنى بشرا
وان ابن كيران وان طال مطله * أنالنى بعد النفخ من طيه نشرا

وقال عام ١٣١٨ بمراكش

يامتى يشتفى الفؤاد بوصل * بعد قطع ويولف المنفور
كان ما كان انى من أهل بدر * كل ذنب جنيته مغفور

وهذا كقول الشاعر

يابدر أهلك جاروا * وعلموك التجرى
وحرموا لك وصلى * وحللوا لك هجرى
فليفعلوا ما أرادوا * فانهم أهل بدرى

غير ان هذه الابيات البهية . امتازت ببديع التورية . وقد ثمنها ابو عبد الله محمد بن احمد بن علي الهروى رحمه الله المعروف بشمس الدين بن جابر الضرير صاحب البديعية المعروفة ببديعية العميان فقال

لم يبق فى اصطبار * مذ خلفونى وساروا
وللحبيب أشاروا * جار الكرام فجاروا
لله ذاك الاوار * بانوا فما الدار دار
يابدر أهلك جاروا * وعلموك التجرى
كانوا من الود أهلى * ما عاملونى بعدل
أصموا فؤادى بنبل * يابين بينت ثكلى
ياروح قلبى قل لى * أهم دعوك لقتلى
وحرموا لك وصلى * وحللوا لك هجرى
حسبى وماذا عناد * هم المنى والمراد
وان عن الحق حادوا * أو جاملونى وجادوا

يامن به الكل سادوا * والكل عندى سداد
فليفعلوا ما أرادوا * فانهم أهل بدر

ويشبهه قول ابن الخطيب رحمه الله

بابى بدر غزانى * مستبيحاً شرح صدرى
فانا اليوم شهيد الـ * ـحب فى غزوة بدر

وقال فى رثاء الفقيه العلامة أبى عبد الله محمد بنيون رحمه الله

الكون أصبح ظاهر الاوصاب * والدهر جرعنا كؤس الصاب(١)
باشد رزء فى الزمان وحادث * وأجل خطب فى الورى ومصاب
فبكل قلب حسرة وتأسف * وبكل عين عبرة كعباب(٢)
هل هو الا الموت قصاب الورى * ما حيلة الاغنام فى القصاب
أبداً يفجعنا بأفضلنا فكم * أخذ الرؤوس وشال بالاذناب
لابد فى الدنيا وان طال المدى * من فرقة الاخوان والاصحاب
كل الحياة بها كلمعة بارق * والعمر أجمعه كفىء سحاب
واذا نظرت الى الوجود بأسره * لم تلفه الا شراب سراب
ذهب الامام محمد لسبيله * يا حسرتاى ولات حين اياب
علامة العلماء حافظ عصره * من كان فى التدريس ليث الغاب
ذهب الذى فى العلم يفتح دائماً * للجاهلين مغالق الابواب
ذهب الذى قد كان فى أوج الهدى * نجم اهتداء لنا وخير شهاب
ذهب الذى قد كان فى ليل الخطا * ان جن بالافهام بدر صواب

١» الصاب ج صابة شجر مر ٢ عباب كغراب معظم السيل

أسفى على شمس المعالى كورت * والفضل والارشاد والاداب
أسفى على روض المعارف قد ذوى * وغدت مقاصده طلول خراب
ما كنت أحسب قبل رفع سريره * أن البحور تسير فى الاخشاب
من للمجالس والمنابر بعده * من للدروس ووجهة المحراب
من للعلوم اذا تحجب وجهها * فيميط عنه لنا لكل حجاب
من للعباد اذا أصابهم الظما * لمعين ورد عنده وشراب
لو قبله تفدى الكرام من الردى * لفداه أولوا شيبة وشباب
ما كان الا التبر عاد لاصله * وغدا بمعدن جندل وتراب
عز العزاء به وقد عظم الاسى * فعرا اللسان تحير الالباب
فلقد تنكس رأس كل يراعة * ولقد تشتت شمل كل كتاب
سيان إيجازى بذكر ثنائه * ورثائه من بعد اواطنابى
لو كان يمكننى عتاب للردى * عاتبته فيه أشد عتاب
لاكنها ايدى المنية طالما * نبذت لقشر وانتقت للباب
انى ليحزننى به ويسرنى * ان حل بالفردوس خير جناب
فى مقعد صدق ينعم دائماً * بجميل اعمال وحسن ثواب
لولا الحياة لكنت تسمع حورها * نادته بالتاهيل والترحاب
وتقول ارخ عند افيا جنة * لمحمد زلفى وحسن مئاب
44 364 127 122 453 92 124

قوله فى مقعد صدق ان ابقى على اضافته كما هو فى رواية القرآن العظيم
ادى الى اختلال الوزن وان روعى الوزن بفصلهما بالتنوين ادى الى

مخالفة القاعدة النحوية التي هي عدم اجتماع التنوين والاضافة كما قيل

وكنا تخمس عشرة فى التئام * على رغم الحسود بغير آفة
وقد اصبحت تنويناً واضحى * حبيبي لا تفارقه الاضافة

وليست مخالفة هذه القاعدة من الضرورات المجموعة فى قول الزمخشرى

ضرورة الشعر عشر عد جملتها * مد وقصر وتخفيف وتشديد
وصل وقطع وتحريك وتسكينه
ومنع صرف وصرف تم تعديد

نعم اذا قطع النظر عن الاقتباس . وانتقل الى الوصفية من الاضافة او البدلية كما فى تفسير الجلالين لم يبق التباس . ولا حذر من الاعتراض ولا مخافة . كقوله تعلى والسماء ذات الرجع ولارض ذات الصدع انه لقول فصل وقول سيدنا علي بن ابى طالب رضى الله عنه فى الصلاة المنسوبة اليه المذكورة فى الدلائل ذا منطق عدل وخطة فصل اه والمرثى بهذه القصيدة كان اوحد زمانه حفظا وتحقيقا وفهماً وتدقيقا . ممن علوا من المدد التجانى وانهلوا . ولتلقين الورد أهلوا . مع زهد لم تتعلق معه آمال وحال ما تحول ولا مال . واعراض عن ذوى المناصب والجاه . وانقطاع الى الله واتجاه . أصيبت إحدى كريمتيه فما أخطأت سهام فكره . ولا انطفأت ذبالة ذكره . وانما وسم بالتصغير للفرق بينه وبين سميه وقريبه العلامة الكبير . حضرت مجلساً له فرأيت منه بحراً يتدفق . وكنزاً لا يتكلف ولا يتنفق . وكان صاحب الترجمة ممن انتفع به فى الطريقين وبرز فى حبه على الفريقين . رحم الله الجميع بمنه اه

قال وكتبت للوزير سيدى محمد المفضل غريط عام ١٣٢٣

يا كعبة المجد الذى * حاز المعالى حبسا
أنت ربيعنا فلا * غرو به ان نكتسا

قال وكتبت لحضرة أمير المومنين مولانا عبد العزيز طالباً الانتظام فى سلك الكتاب المستخدمين بنظر الفقيه الوزير الصدر الاعظم سيدى محمد المفضل غريط واشارته يوم السبت الخامس عشر من شعبان من شهور عامنا ١٣٢٣ وكون القصيدة من الخفيف باقتراحه على ايضا

هل لارض الحجاز او للعراق * مثل بدر للغرب دون محاق
مثل بحر ان طم يوماً بموج * فجميع الملوك مثل السواقى
مثل سلطاننا العظيم المزايا * جامع المجد بالسيوف الرقاق
وارث الملك عن ليوث ضوار * حائز السبق من فحول السباق
عز مثلا عبد العزيز بفخر * تقصر الشمس عنه فى الاشراق
وسخاء لو كان يشبهه الغيـ * ـث لعم البلاد بالاغراق
ذا عبيد السلام يرجو بسلك الـ * ـكاتبين الكرام نظم اتساق
بمقام الوزير صدر المعالى * أعنى غريط عقد تلك التراقى
عاقل ناصح خديم قديم * لعلاكم فى فرقة وتلاقى
سادن كعبة المفاخر مفتا * ح لباب الحقوق والارزاق
ياسليل النبي ان يقصر المد * ح لعجزى فانى طال اشتياقى
أنت روح الانام والعلم والديـ * ـن الحنيفى والنور للاحداق
ألزم الله شكرك الخلق طرا * فهم كالحمام بالاطواق

حفظ الله مغرباً أنت فيه * ووقتك البغاة منه الاواقى
ولك النصر حيثما كنت سيف * قاطع الايدى ضارب الاعناق
وبقيت المنير فى كل أفق * فى بروج السعود والفتح راقى
يتغنى بمدحك الشرق والغر * ب سلوا عن نغمة المشاق

وقوله اعنى غريط . صوابه ذاك غريط لاجل الوزن قال و كتبت للجمع السلطانى وقد اقترح على فيمن اقترح عليهم القول فى تاريخ تمام بناء قنطرة الرصيف وتجديدها و كنت ثالث ثلاثة فجاءت قطعتى بعناية الله وفضله غاية قصرت عنها مداركهم ولهجت بها الالسن دونهم وهو بعد الحمدلة والتصلية قد أجابتكم عارضة المملوك يا علامات سالم هذا الجمع . برفع الطاعة . جهد الاستطاعة . ونصب السمع . فقال على لسان ذلك الجسر رغبة فى التنشيط للعروض الاولى وضربها الثانى من البسيط . ملتزماً ومصرعا . ومؤرخاً ومرصعا

انظر بدائع تجريدى وترصيفى
ولطف صنعى فى فاس وتصريفى
دع الرصافة والجسر الذى ذكروا * فما حوى حسن تقويمى وتحريفى
فقد حبانى أمير المومنين بما * زاد الرعية تكريمى وتشريفى
عبد العزيز جمال الملك جددنى * من ليس يحتاج فى فخر لتعريف
لازال يوسف فى خلق وفى خلق * وفاس مصر وهذا الجسر كالريف
وقل لرائم تاريخى وطالبه * اليوم كمل تجديدى وتطريفى
عام ١٣٢٣

قال وقلت والغرض يظهر من فحوى القطعة ملتزماً ما لا يلزم

لقدعجب الناس من أمر تازا * وحيرهم زحفها الواقص

وقدوسدوا أمرهم أهلها * وكلهم مطرب راقص

فلايعجبوا الاضطراب الزمان * فان الزمان لهم راقص

قلت لم تزل هذه المدينة مطمح الامراء . ومرمى أفكار الوزراء . إذ هي العقيلة المخطوبة بألسنة الاقلام المطلوبة بنفائس النفوس والاموال العظام ولم ينجع في ترويضها احتيال . لتوغلها بين جبال . وليوث وأشبال . طالما تساقوا كؤس المنون . وقاموا في مجامع الوغى بكل مسنون . حتى صار فتحها من كواذب الظنون . مشبها باجتماع الضب والنون . ويكفى عبرة أنباؤها المسطورة . وخبرة وقائعها المشهورة . الى ان أزيح امتناعها وأميط قناعها . لمن هو كفا لكل كريمة . جدير بكل منحة جسيمة . الامام الذى تسجد لحسنه الاقمار والشموس . وينقاد بسعده الباهر كل ابى وشموس سلطان العصر مولانا يوسف أبد الله عزه ورعيه وأيد بالنجح والتسديد سعيه . فكتب في ذلك بما نصه وبعد فغير خفى عنكم ما كانت عليه الاحوال بتازة وخنيفرة من الاضطراب . واثارة نار الفتن بنواحيها منذ ازمان وأحقاب . حتى صارتا مركزين لمأوى الفساد والثوار . وملاذين لاعتصام ذوى الجرائم والاوزار . ظانين انهم في معاقل لا تصلهم فيها قوة . ولا تفتح يد في جدار منعتها كوة . فمالوا بسبب ذلك في الفساد مع كل ريح واجابوا نداء زعماء الفتن بالكناية قبل التصريح . جاهلين عواقب الخروج عن الطاعة . معرضين عما اوجبه الله عليهم من الاستقامة والتمسك

بحبل الجماعة . وكون الطغيان . عاقبته الخسران . ولما تمادوا على فعلهم الذميم . وابوا ان يقلعوا عن مرتع بغيهم الوخيم . وازداد تجاهرهم بالفسوق والعداء . ومد اليد فى الطرق بنهب الامتعة وسفك الدماء . وعلمنا أنهم لا يوخذون بيد السياسة واللين . ولا ينقادون الا بما ينقاد به اضرابهم من المردة المعتدين . أصدرنا أوامرنا الشريفة بالانتقام منهم وردهم للصلاح والاستقامة . واستئصال عرف الفساد من تلك المرابع التى جعل فيها عشه ومقامه . فكانت البداية بالنقطة التازية حيث احيط بعصاتها إحاطة السوار بالساعد . ونالت العقوبة منهم الاقارب والاباعد واذ عرجلوا بنقيض قصدهم الفاسد وجمع لهم بين جلب المصالح ودرء المفاسد . ابدل خوفهم فى الحين امنا . ونحسهم سعادة ويمنا . واسبلت عليهم بعد العقوبة اللازمة ستور الرافة والحنان واصبحوا فى نعمة لا يقوم بشكرها منهم لسان . ثم صرفت الوجهة الى خنيفرة التى كان يظن ان إدراكها اعز من بيض الانوق . وطالما حاول اهلها مقابلة الحق بالباطل وان الباطل لزهوق . ففعل بهم مثل ما فعل بأشياعهم . وتلك عادة الله فى المفسدين امثالهم . ومعلوم انهم هم الذين فتحوا على انفسهم ابواب النكال لانفرادهم عن الجماعة وملازمتهم للبغى والضلال . واعلمنا كم لتاخذوا حظكم من الفرح بجمع كلمة المسلمين على الصلاح . وتواطئهم على الطاعة الكفيلة بسعادة المستقبل وكل نجاح حيث ان فتح هاتيك الجهات سيكون سبباً فى تقريب المواصلات ونشر الامان . وتمهيد وسائل الاصلاح فى كل مكان . وداعياً لروجان التجارة التى هى اساس الثروة

والارتقاء . وعنوان الراحة والسلم فى سائر الانحاء . وسيرفع المستقبل عن محيا هذه الايالة السعيدة براقع الخفاء والاحجام . ويعرج بها قريباً الى سماء الظهور والمدنية المؤسسة على أحسن نظام . وتنجلى الحقائق ويعم الحبور . وتبتهج الخواطر وتنشرح الصدور . والله ولى التوفيق والهادى الى سواء الطريق والسلام فى ٢٧ رجب عام ١٣٣٢

قال و كتبت للفقيه الصدر الاعظم سيدى محمد المفضل غريط رعاه الله

يا من اذكره طوراً وأشكره * طوراً العارض جود منه منبجس
إن الذى وردت أمساً حقائبه * تفاح لبنان ام تفاح أندلس
أهدت اليك بنات الروم منهابه * ما كان منها بالوان الحياء كسى
خد لمستلم ورد لمنتشق * خمر لمغتبق جمر لمقتبس
فانعم على ولو منها بواحدة * فقد مددت اليك كف ملتمس
وما أخالك تنسانى لتافهة * فان غيرك من ذكرته فنسى
كنت المفدى باهل اللؤم قاطبة * بجبهة العير يفدى حافر الفرس

وقال

لاتحقرن امر الصغير فان الـ * ـرب محتاج الى الغرزة
وربما الفيت فى بيدق * ما لم تكن تلفيه فى الفرزة

وهذا كقول ابى نصر السعدى

فلا تحقرن صغيراً رماك * وان كان فى ساعديه قصر
فان السيوف تحز الرقاب * وتعجز عما تنال الابر

وقول الاخر

لا يستخفن الفتى بعدوه * أبداً وان كان العدو ضئيلا

إن الغذى يوذى العيون أقله * ولربما جرح البعوض الفيلا

وقول الفقيه عمارة اليمنى

إذا لم يسالمك الزمان فحارب * وباعد إذا لم تنتفع بالاقارب

ولا تحتقر كيد الضعيف فربما * تموت الافاعى من سموم العقارب

فقد هد قدماً عرش بلقيس هدهد

وخرب فار قبل ذا سد مارب

إذا كان رأس المال عمرك فاحترز

عليه من الا نفاق فى غير واجب

فبين اختلاف اليل والصبح معرك

يكر علينا جيشه بالعجائب

قال وقلت أمدح شيخنا الفقيه العالم العامل الشريف سيدى محمد بن جعفر الكتانى حين قدومه من آداء فريضة الحج

وقالوا أتى المولى الامام ابن جعفر

من الحج أمساً قلت ياحبذا الامس

إذا عاد مبروراً من الشرق حجه

فلا غرو ان عادت لمغربها الشمس

وقال زعم بعض الاصدقاء من الطلبة أن رجلاً بمصر أعرس بفتاة أدبية وطلب منها القول فى دم العذرة فانشدت أبياتاً ضمنتها بيت المتنبي

لايسلم الشرق الرفيع من الاذى * حتى يراق على جوانبه الدم
ونسى الابيات المضمن فيها قال واستحسنت انا ذلك جداً حتى نظمت ذلك بقولى ملتزماً عام ١٣٢٩

قالت وقد فض الختام اماترى * كيف البهار سطا عليه العندم
فتفتحت اكمامه وتفتقت * واهتز منها مؤخر ومقدم
فاجبتها والدهر يسقط زهرها
بيديع بيت حسنه لا يهدم
لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى
حتى يراق على جوانبه الدم

قلت اذكرنى هذا التضمين تضمينى لبيتين من قصيدة للمتنبي فى رثاء غلام لسيف الدولة وهو

اقول لظبي امنى متستراً * على غفلة من عاذل ورقيب
فاطفأ برد الذعر نار عزائمى * وخالفنى عند الكفاح قضيبي
يعز عليه ان يخل بحاجة * وتدعوا الامر وهو غير مجيب
وكنت اذا ابصرته لك قائماً * نظرت الى ذى لبدتين اريب

كما اذكرنى حكاية ادبية سمعتها ممن رواها عن الاديب الكاتب ابى عبد الله محمد ابن سليمان المتقدم ذكره وهى ان أحد اكابر الشرفاء . حضر مجلساً لبعض الظرفاء . قد اشرقت فيه كواكب الاكواب على هالة العقار . ورفعت رنات الغوانى على نقرات الاوتار حتى نشرت الحميا على العقول شعاعها ودر ثديها فاستلذت الشفاه رضاعها وأدى الحال الى ما هو معروف بين

أهل هذا الشان إذا جار الساقى . واحمرت المثاقى . وبلغت روح الليل التراقى ووقع التنازع فى الباقى من تذكرمافات . من النوادر والخرافات والتبارى فى اظهار ما كان فى صدف القلوب مكنوناً . معرباً او ملحوناً . فانشد البيت بعض الندامى وأظهر له استحشاناً واستعظاما . يعنى قول المتنبى

لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى
حتى يراق على جوانبه الدم

فلما انقلب الشريف لكناسه . وحل بين صحبه وناسه . دعا بعض حظاياه فلم تسمع دعاءه . ولم تلب نداءه . فنهض وسورة الخمر تؤجج حربه وتمثل فى فكره طعنه وضربه . على السيف مشتملا . وبالبيت متمثلا وانبت له فى جسمها شرحاً . حتى أثخنها جرحا . ولو لا انقاذها من ذلك الامر الجلل . لسبق السيف العذل . اه بمعناها ولا باس بتكثير السواد فى هذا المقام . بذكر تضمين حكيت فيه تخيل منام.

وهو

وسارية والليل مثل إهابها * وفكرى يبدى فى المنى ويعيد
وبينى وبين الخدر سور ممنع * ومستاسد ماضى الشباة شديد
وما كنت ادرى ان نومى صائد * مهاة قلوب الناظرين تصيد
لها كفل يرتج رجاً كانه * سفين على متن الخليج يميد
وقد كقد السمهرى ومبسم * به جوهر يسبى العقول نصيد
هى المسك فى لون وريح وخصلة * بل هى تزكوا قيمة وتزيد
ولما تداعينا الى الوصل وانتهى * اليها لدى التقبيل منى بريد

وحاولت تسكين الفئاد بضمة * تقابل فيها أعين وخدود

وقد جال كفي فوق سطح منعم * على نه عند المراس حديد

وقام العويل يقرع القفل سائلا * وعينه بالدمع الغزير تجود

اذا تجيا الصبح اقبل مسفراً * وللقلب منى لوعة ونشيد

سرى طيف سعدى طارقاً يستفزني

سحيراً وصحبي بالمهاد رقود

فلما انتبهنا للخيال الذي سرى * اذا الجو قفر والمزار بعيد

ولا ملام على من حام ولم يرد . وهم ولم يزد . اه وقال رحمه الله

طال عتبي على الزمان واني * لا أرى بعده عليه مزيدا

ان يكن نفعه اليك قديماً * فانتظر ضره اليك جديدا

لست فيه ارى الصديق صدوقا * غير انى ارى المريد مريدا

وقال مهنئاً امير المومنين مولانا يوسف خلد الله ملكه ونصره . وعمر بالفتح والظهور عصره

حسن الزمان فحسنه لا يوصف * لما بدا ملك المحاسن يوسف

مولىً اتاه الملك عفواً انه * بجماله هو الخبير الاعرف

فعلى خلائقه دليل خلقه * ان الدليل على المعانى الاحرف

مولىً له كرسى المحافل مجلس * وله السروج لدى الجحافل موقف

ملا القلوب جماله وكماله * فلها اليه تشوق وتشوف

لو ان للشمس المنيرة بعض ما * لسعيد طلعة نوره لا تكسف

اوان للبحر الخضم نواله * ما كان يزجر بعد مد يقذف

ما كان بالدست السنى مشرفاً

لا كن به الدست السنى مشرف

يا فاس مصراً صرت أنت بيوسف

والنيل كف عطائه المتريف

يامصرنا بشرى بريف مخصب * من بعد قحط والبقية تخلف

يامصرنا بشرى أتاك به الهنا * وأتى الغنا مافيه عنك توقف

والغرب أصبح ضاحكاً مستبشراً

بثغوره الغراء لا يتخلف

والناس قدعم السرور جميعهم * سيان فيه منكر ومعرف

بشرى بسيدنا ومولانا الرضى * ميعادها من ربنا لايخلف

سلطاننا الملك الهمام المنتقى * حقاوسيدنا الذى نستعطف

من كان أولى بالذى بمناله * قدخصه المولى الرحيم الارأف

جود وحلم زان حسنهما العلا * ماحاتم فى جوده ماأحنف

عقل وعلم بالتقى قد وثقا * إن التقى تقوية لا تضعف

اه ما وجد منها ورأيت بخطه ما نصه ضمنى بعض الاوقات والمجالس يوماً بباب عجيسة المبارك فى شبه نزهة بصاحبنا الفقيه العالم الاديب الشاعر المكثر المؤلف المدرس سيدى احمد سكيرج وصاحبنا الفقيه العالم التاجر الاديب اللبيب الحاج عبد الكريم بنيس وصاحبنا الفقيه الناسخ الشيخ الظريف سيدى محمد المعروف بالتونسى فجرت بيننا المذكرة فى علم البيان وانجر الى مبحث الفصاحة من التخليص فى قول العباس

ابن الاحنف

ساطلب بعد الدار عنكم لتقربوا

وتسكب عيناى الدموع لتجمدا

فقلت ان علماء البيان من المتكلمين على التلخيص على كثرة اختلافهم فى هذا البيت لم يذكروا معنى المعاكسة فيما اعلم وهى اجلى الوجوه التى يرتفع بها التنافر فى البيت فقال بنيس ان سيدى حمدون ابن الحاج قد ذكر ذلك فى حاشيته ولم أكن رأيتها قبل واخرج كراساً منها وجعل يسرد علينا المحل المقصود فقال سكيرج ينبغى ان ينظم هذا المعنى يعنى معاكسة الدهر ويزاد عليه ان الدهر يتفطن للذى يطلب نقيض مطلوبه ليظفر بمطلوبه كالعباس بن الاحنف فلا يسعفه بمراده ثم نظم بيتين ولم يرتضهما وقد نظمت فى اليوم الثانى الماضى بعد الاجتماع هذا المعنى وزيادة فى قطعة وهى هذه

الدهر ان نظرت فى شكله * وعكسه سجنجل الهند

يفطن ان غالطته فى الذى * تريده بالعكس والضد

فان طلبت البعد كيما تنا * ل القرب نلت غاية البعد

فلتطلب القرب ليجرى على * عادته لتحظى بالقصد

وسجنجل الهند مرءاة الهند المعروفة اه ما وجدته بخطه رحمه الله

ولاحمد الغسانى فى تشبيه الخسوف

كان البدر لما ان علاه * خسوف لم يكن يعتاد غيره

سجنجل غادة قلبته لما * أراها شبهها حسداً وغيرة

وكان معنى المعاكسة يختلج فى صدرى فادفعه بكونى لا أدرى . فلما ظفرت بهذه الدرر . واهتديت بسنا هذه الغرر . قلت مضمناً ولاس فهمى ممكنا .

وفيت لكم جهدى وأوفيت خلتى

فابغضتمونى والخئون محبب

فسوف أشوب الود كى أحرز الصفا

وأطلب بعد الدار عنكم لتقربوا

وقد يصلح الشىء النفيس بضده

وذا عند أهل الذوق أمر مجرب

غير إنى ملت الى التجريد . واكتفيت باصل المعنى عن المزيد . وان كان يقال شتان ما بين الخل والحميا . والقفا والمحيا فاقتفاء أثر الاذكياء مباح والتشبه بالكرام رباح . فكاهة

اجتمعت أنا والمترجم له مع أحد أدباء مراكش بروضة نمت محاسنها ونمت بالطيب مجالسها ومساكنها واعتدلت أوزانها . ومالت أغصانها بعضها على بعض . بتقبيل وعض ومدت الخصص مذانبها . كشمطاء نشرت ذوائبها . أو سوسنة غضة . أو رقعة فضة . ذهبت يد الشعاع جوانبها . والزهور كالكواكب . هيأت لاميرها مواكب . والطيور تترنم فى ميدانها على عيدانها . فكان يومنا كما قيل

ياهل ترى أظرف من يومنا * قلد جيد الافق طوق العقيق

وانطق الورق بعيدانها * فاطربت كل قضيب وريق

والشمس لاتشرب خمر الندى * فى لارض الابكؤس الشقيق

وكان ثالثنا قد خلع الزمام . وأماط الكمام . (١) وأبطل فى حرم الزهد الاحرام . بصيد الارام . وأباح السجود . بمحراب النهود . وصحح حل المعقود . ووجود المفقود . بميمات الثغور والفات القدود . وأجرى العمل بما تخطه العيون بالاهداب السود على صحائف الخدود . ودرأ الحدود عن مصاب الصدود . ورءا شفاء الابدان . فى لقاء الولدان . واشتهر بين الاعيان بحب القيان

أدعى باسماء نبزا فى قبائلها * كان أسماء أضحت بعض اسماءى

وكان لمح على حين غفلة . قينة فى حفله . طلعت فى أفق المحاسن بدرا وحلت من دست الملاحة صدرا . بطرة . فوق غرة . كقطعة عاج . أو قمر داج . وحاجبين مقرونين . كقوسين أو نونين .

وعينين نجلاوين لو رقرقتهما * لجو السماء لا ستهل سحابها

وثغر يفتر . عن جوهر ودر . وخد كالشقيق . أو تعويذ من عقيق . وقد رشيق كغصن يميل . على كثيب مهيل . الا انها سوغت جناها . لكل من تمناها . وفتحت فناها لجميع من عناها . فوصلها ورد وهجرها آس ليس لعليلها من آس . ولا لسليبها مواس . وما احسن قول ابى نواس

ومظهرة لخلق الله وداً * وتلقى بالتحية والسلام

أتيت لبابها أشكوا اليها * فلم اخلص اليه من الزحام

فيامن ليس يكفيها خليل * ولا الفا خليل كل عام

١» الكمام بكسر الكاف ما يكم به فم البعير ليلا يعض

أراك بقية من قوم موسى * فهم لا يصبرون على طعام

وهى بقية من أولئك القوم . أسلمت ثم سلمت بضاعتها بارخص سوم ففتن ذلك الاديب بتلك القينة . فتنة جميل بثينة . وهام بهواها . فى قربها ونواها . هيام قيس بليلى . وهتف بذكرها نهاراً وليلا . حتى اكثرت وجده . وأطالت كده . لما استندرت وجده .

ونضت عنه برد اتقائه . لما سعدت بشقائه . فانشأ أبياتاً أعرب فيها عن استسلامه . لحكم غرامه . وتيهه بغزاله . على اشكاله . وفوزه باينناسه بعد ايناسه وغيبته عن احساسه . بنعمته و كاسه . وهى

سلطانة سلطانة العشاق * بجمالها تزهوا على الاطلاق

حازت بهاءً بارعاً وملاحة * من اجلها همات دموع مئاقى

يا ليلة بوصالها قد انعمت * ما أنت الا منية العشاق

طولى وصولى بالحبيبة لا يرى * مثل لها فى سائر الافاق

فتانة حسانة تصبوا الى * قول القريض جميلة الاخلاق

يا منيتى يا بغيتى لا تبعدى * انى اليك على المحبة باقى

نغمات موال اجيدى حبتى * واسق الحبيب مدامة الترياق

جودى بوصل واشفعيه بقبلة * حتى يلذ له بطول عناق

انى فديتك شيق لك عاشق * والوصل فيه راحة المشتاق

العشق فيه سعادة وشقاوة * لا كننى من اسعد العشاق

ثم رمى الينا برقعته . ورام وصل قطعته . فساعدناه بعد ان لذنا بالاحجام عن التشبه بمعين الحجام . فقال الشريف صاحب الترجمة وقوله وسطى

هذه القلادة . والقنديد المحلولى بالاعادة .

ذكرى الحبائب اضرمت اشواقى * فبللت من فرط البكا اطواقى
ليس المحب وقد جفاه حبيبه * مثل المحب مـواصلا بتلاقى
تهنا غزالتك التى علقتهـا * بفتىً رقيق الحسن دون عتاق
فهى الغزالة فى المكانس نفرة * وهى الغزالة فى سنا الاشراق
فاجعل لها الاحشاء منك مكانساً * والقلب منزلة فسعدك باق
واحذر سوالفها اذا ما أرخيت * فهى الاراقم ما لها من راقى
واهاً لها لو هى تلدغ عاشقاً * فالريق من فمها لكالترياق
لاسيما ان كان ممزوجاً غدا * بطـلا باقداح على احـداق
فاسلم ابا الفضل الاديب ودم لها * اسداً تراه مهذب الاخلاق
أسـداً بمنزلة تدوم سعودها * فى بهجـة ومسرة وعناق
والدهر طوع والحبائب وصلها * ابداً كمثل الدهر دون فراق
فى نعمـة وتمتع بحبيبـة * تسبى العقول بنغمة العشاق

وقلت

لله درك قدوة الحذاق * أتحفتنى بقلائد الاعناق
وردت على وفى الفؤاد تشوق * وتشوف لحدائق الاحداق
عم ليلة وردالرسول مبشراً * فديتها بنفائس الاعلاق
بغزالة تغزوا القلوب بنظرة * فلذا غدت سلطانة العشاق
جنـيـة فتانة ميالة * إنسية الاوصاف والاخلاق
تشفى ضنا خلد المحب بظلمها (١ * وبظلمها تذكى غضا الاشواق

١) الظلم بالفتح ماء الاسنان

فلك الهنى فلتسعدن بحضرة * جلس الحبيب بها وقام الساقى

وجمعنا يوم أرسل القيظ فيـه أنفاسه . وأظهر الجـو لجينه ونحاسـه بروضة تجرى الانهار من تحتهـا . وتحار الافكار فى نعتها . فجلسنا امام خصة . تبرد الغصة . كانها تقدف ورقا . فيستحيل شهاباً محرقا . او ذيل ابلق جرى فى مضار . فلعبت به الريح عن اليمين واليسار . او راية بيضاء مطوية . فوقها درة خضراء سنية . فقال الاديب المراكشى فى وصفها

انظر الى الخصة الحسناء قد نصبت * أنبوبهـا يرتمى بالماء فوارا

يعلوه من فوقه شبه السبيكة قد * علا وجاوز فى ارتباع اشبارا

اعلاه ليمونة خضراء يانعة * تهتز كالتاج فوق الرأس مدوارا

فى وسط روض به تسقى ازاهره * طابت وطاب بها المقام اوطارا

وطلب اجازتها فقلت

اصبحت فى روضة الاشعار مدارا

تسح طورراً وتنشى الزهر اطوارا

ماذا اقول وما ابقيت من صفة * الا وادمجتها فى القول مغوارا

اما التى قد غدت بالماء دافقة * ترى الاشعة فى اطرافها نارا

تلك المنى وحبيب القلب فى دعة

مع مطرب محسن يجس اوتارا

وقال صاحب الترجمة

لله منتزه قلتم لبهجته

وصفاً ومدحاً لفرط الزهو اشعارا

مالذة العيش الا فى مشاهدة * للحسن عند مقام طاب ازهارا
واغيد متعاطى الكاس قد مزجت
بريقه الشهد ادواراً فادوارا
وفى مساجلة الندمان بعضهم * بعضاً تشعشع للاذهان انوارا
فذلك العيش ليس العيش فى رتب
للظهر تقصم للاضرار اظهارا

ومن شعر المترجم له

يا سيداً قد اظهرت * آدابه سر الصناعة
يا فارساً فى شاوه * جمع الشجاعة والبراعة
ما ضره ان لم يهزاا * سيف ان هز اليراعة
بجزالة فى رقة * وسهولة هى المناعة
ومكارم ومحاسن * تنسى الغطارف ١ من قضاعة
يهنيك شهر الصوم فيه * دقيقة الخيرات ساعة
شهر به ربحت تجا * رتنا ووفرت البضاعة
صرنا كصبيان القطا * م نهاره عن ذى الرضاعة
فانجز لموعدك الكريه * م به باتحافى بساعة
اعطاك ربى ما تشا * بالمصطفى عين الشفاعة
صلى عليه الاهى * والال من بهم الضراعة

وقال

١ » الغطارف ج غطريف بالكسر السيد الشريف

بابى الثغور لها الجفون تحوط * وصحائف فيها العذار خطوط
وشويدن خالطت فيه صبابتى * كالخمر اهنا شرابها المخلوط
ياعاذلى لو كنت تبصر حسنه * لعلمت انى بحبه المغبـــوط
وعلى م يقبل فى الغرام عذوله * وعلى م يقبل فى الهوى التغليط
وحسدتنى حسد الورى لترفعى
لما سمـوت ومعقلى غريط
رجل السياسة والرياسة والدها * وصف يناط بذاته فينيط
و كفى دليلا باسمه وصفاته * فالفضل فيه مركب وبسيط
لا يزدهيه اذا ازدهى من دونه ا * افراط فى العلياء والتفريط
لا يحدث التمزيق عنده لابس * الا ورايه عندها التخييط
ما الطير من احسانه تختاره * انضاره ام حبه الملقوط
فاذا اشدت فهو الثناء كانما الة * قريظ فى آذاننا التقريط
عندى من نعمائه المركوب والا * ملبوس والممضوغ والمسروط
ومواهب بيض الوجوه مليحة * ما شانها مطل ولا تثبيط
لازال يولينى الجميل ببره * ويزيل عنى شكيتى ويميط
فليهنه الاضحى السعيد فانه * عيد نداه جماله المشروط
عيد يسر مع الانام بيومه * بعد الجوارح اكلب وقطوط
واليك عذراء وليدة يومها * ومن الطروس المهد والتقميط

ومن نثره مقامة تدل على علو مقامه . فى نثاره ونظامه : وهى حكى الضحاك بن بشير قال ضمتنى يد الرفقة والعشرة . مع اصحاب بفاس كالنجوم

عشرة . بلوت شجرهم مر اوحلوا . وخطبت صحبتهم فوجدتهامن الموانع خلوا . رضعوا من الادب الاخلاف والافواق . (١)وفطموا عن ضرعها الخلاف بالوفاق . طالما حنكتهم التجارب رغبة ورهبة . وسامتهم الايام فرقة وغربة . حتى الفتهم الاسنمة والغوارب . واختصمت فيهم المشارق والمغارب . وصارت جميع البلاد لهم اوطانا . والمنازل كلها اعطانا(٢) وكان لى فيهم صاحب هو واسطة عقودهم . وحبة عنقودهم . امتزجت روحى بروحه امتزاجا . واعتدل طبعى بطبعه مزاجا . اخلص كلانا الصاحبه جهره وسره . ووثقنا بخير مودتنا فلم يتق شرى ولم اتق شره . وحينما القينا عصا الترحال بفاس وتخلصت الرحال بوضع ثقلها من معرة النفاس اصبحت الطرق بالقطاع شاغرة . (٣)وعوادى الفساد لافواه الفتن فاغرة . (٤)وامست السهول وهى وعرة . واعثرت الخيول بعرة واستنسرت بغاث الطير . وانتشرت بغاة الضير . وذلك بشغب شيطان يزعم انه من الملائكة . واشداقه لحنظل الباطل لائكة : فاعوزتنا السيوف ففزعنا للاقلام . وارهفنا بصحائف الكلام صفائح الكلام . فاذا نحن جعنا . لاقراص الاوراق رجعنا . واذا نظما . نظمنا نظما وترانا نثرى اذا نثرنا نثرا . فنظم ذلك الصاحب قصيدة ميلادية انتقل فيها من المديح النبوى . الى المدح السلطانى المولوى . واشار فيها لذلك الفتان الخارجى الذى شاب الموارد لما شب نار شبيب . وعقد للفتنة فى الدين والدنيا

١»الافواق ج فيقة بالكسر اسم اللبن يجتمع فى الضرع بين الحلبتين ٢ الاعطان ج عطن محركة وطن الابل ومبركها حول الحوض ومربط الغنم ٣ شغرت الارض لم يبق بها احد يحميها وضبطها فهى شاغرة ٤ فغر فاه كمنع ونصر فتحه

كل سبيب . الخارج من الهدى بالضلال . والشبيه فى اخلاقه الشيطانية بالصلال (١) الدعى الشاق للعصا . الداعى الشقى بما لم يطع الله به بل عصا واستشارنى فيها . هل يثبتها او ينيفها . فامرته ان يقصد بقصيدته تلك دار الخلافة وليات من الباب . من له من الرياسة والسياسة اللباب دستورها المبجل المعظم . وعقد وزارتها . الامثل المنظم . من اذا وعد فالسموأل . واذا أعطى فحاتم اذا يسئل . اكرم من تكرم فى عصره وتفضل وزير الوزراء سيدى محمد المفضل . قال غريط قلت غريط . ذو التقريظ للمعالى والتقريظ ،

وزير يود السيف والسهم عزمه * ورأيه فى امضائه وسداده
وصوب الندى كقطرة من نواله
على صبه او نقطة من مداده

فارصد ليلة الاحتفال . فلك عند ملكها ايمن فال . حيث الالسن باسرار المديح بائحة . والمباخر بالند فائحة . والانشاد يرجع ويردد . والعهود القديمة تذكر وتجدد . و كواكب الشموع والمشاعل تزهر والجفان والاجفان هذه تكسر وهاذى تسهر . والموائد تنصب وترفع والعوائد الكريمة صلتها للموصول تدفع . قال الراوى . فكتب القصيدة بما اخشاب خط ياقوت المستعصمى . وكان عنه ابن مقلة عمى . وانتظر ليلة المولد وورود صافى ذلك المورد . وربيع امامه وصفر وراءه و كرم الصدر الوزير حفظه الله يضمن عند صدوره وورود رواءه

انتهى

١» الصلال بالكسر ج صل الحية

وله مقامة ارتكب فى الخطبتين اللتين ذكرهما فيها الحذف وهو من انواع البديع نصها حكى الفتح بن سعد قال وافانى المطهر بفاس. الارجة الارجاء الطيبة الانفاس . والزمان ربيع لا خريف . والهواء ظريف. والطعم غير حريف . فى مقام شريف . وعيش رخيف . وظل وريف . فقضيت بها شهر الصيام . وشفعت المقام بالقيام . وشاهدت فى جباه الليالى غرر الايام وتجافيت عن مضاجع النيام . وكنت ممن وفد لتهنية شمس الخلافة العلوية والامامة . التى لا تحجبها غمامة . ولا يروع فى حرمها شاهين حمامة حيث الوفود لهم دار المقامة . والضيافة على طول الاقامة . وعرض المقامة . فلما كانت صبيحة العيد . وقال المغلس سعد (١) ام سعيد . وقد أخذ الناس بالتجمل . بعد اخذهم بالتأمل . وبدا وجه الفطر اوضحا وحشر الناس ضحى . وافاق النهم من سكرته وصحا . التحمت بسدى هاتيك الحاشية. وراءنا المشاة والغاشية . على عتاق افراس . تميس ميس العواتق بالاعراس. وتزرى بحماحمها وصهيلها بسجع الحمائم بين الاغراس. وبغال فارهة . للمشاء ودودة وللهماز كارهة . من كل مطية وطية . غير مجفال ولا بطية . انشط للعطو من الكريم للعطية . ذوات سروج مفضضة ومذهبة . واعنة مفوفة ومهذبة . وقرابيس لا مقعرة ولا محددة ولا محدبة . وادوات ليس بغيرها معلمة ولا مؤدبة . بعد ان لبسنا الجديد والثمين . واكلنا السميذ والسمين . واثرنا بالمفرحات والمفرجات الكمين وتقارضنا الثناء والمصافحة مع من بالمصافات قمين . من قريب وقرين

---

١) سعد ام سعيد فى ق قولهم اسعد ام سعيد اى مما يحب او يكره واصله ان ابنى ضبة ابن اد خرجا فرجع سعد وفقد سعيد فصار يتشاءم به

وامير وامين . فلما خرجنا الى المصلى . وانتظمنا فى سلك من جلى وصلى
برز السلطان تقفوه المراكب والمواكب . وتحف به الملا كما حفت بالبدر
الكواكب . فى ابهى ابهة رغبة ورهبة . وابهر بهجة هبة وأهبة . وقدجرت
بنات الخيول . وجرت طواويسها الذيول . وشالت بخراطيمها الفيول
وسالت باعناق المتفرجين السيول . والاعلام خافقة . والاسواق نافقة
والينابيع دافقة . والطبول طافقة . والاصوات والبوقات والمزامير متوافقة
وكانما الربيع عاد عنفوانه . ولم يفت إبانه وأوانه . وقد تفتحت من الحلى
والحلل اكمامه . وتفتقت ازهاره واختلفت الوانه . وكسى الاكام والبطاح
ورده ونرجسه واقاحه واقحوانه . وآسه وياسمينه وسوسانه . وبنفسجه
المسلول من قفاه لسانه . واطربت من المعازف والاغانى على اعوادورقه
من ورقه فى عيدنا عيدانه . وخدمتنا احراره وعبدانه . الى ان وصلنا
الى المصلى وترجل الناس للصلاة . وضجوا لها ولا ضجيج الحجيج بالفلاة
وتقدم السلطان يتلوه الوزراء والكتبة والقضاة والولاة . فلما اديت
السنن . وتمت النعم والمنن . واتبع السنن . واخذ كل موضعه . واعمل
بعد الاندلاق عضبه ومبضعه . وألقى بصره للخطبة ومسمعه . قام
الخطيب واستقل . وقال وقد رشقته المقل . من الاكثر والاقل . صادعاً
بصوت جهورى . صادر عن ثغر جوهرى . الحمد لله ارحم الرحماء
واكرم الكرماء . واحلم الحلماء . واحكم الحكماء . هو الله لا اله الا هو
سمك السماء . وأرسى المهاد على الماء . وعلم آدم الاسماء . مؤمر الامور
ومعمر المعمور . ومكور الدهور . ومصور المهر والممهور . اوحده واحمده

حمداً دائماً ما دام كماله وآلاؤه ومدده . وأصلي وأسلم على رسوله إمام الرسل الرسول الامي الهادى المهدى رسول طاهر مطهر كامه الحصى وما حصر حاصر عدد علاه ولا أحصى . طوع ماعصى . وأعطاه الله ولواءه ما لا أعطى موسى والعصا . أعلم وعلم وكرم وأكرم وكرم وواصل ووصل ووصى وعلى آله الاكارم . أهل المكارم . وأولى المراحم وأسد الملاحم . كرام أعلى الله علاهم ووالاهم وولاهم . وأولاهم ما أولاهم هدوا هداه وأمّوا مداه . صلى الله على علاه وعلاهم . وسلم سلاماً مسرمداً دائم . ما طعم طاعم وصام صائم . واصمى رام ورام رائم . وحمد حامد ومدح مادح . وحصد حاصد وصدح صادح . وكد مكد وكدح كادح . وصلى مصل وسلم مسلم . وكمل مكمل وأسلم مسلم . وكلم مكلم أهل الاسلام . على سائركم السلام . الا اعلموا واسمعوا واعملوا وعوا أطولكم لعمر الله ساعدا . أطوعكم لله مساعدا . وأفلحكم حلا لا أصلحكم حالا . وأحلكم حلالا . وما الصوم رحمكم الله طول الصدى والطوى لا والله الصوم وصل الهدى وصلم الهوى دوام الارعوا . وصرم الاصرار وما حوى . الا والله ملككم مرادكم ومرامكم وكمل لكم أمركم . وأعلى على لوح السهى رسمكم وسمركم وعمكم طولا وأولاكم ما أولى . أطعمكم وأرواكم حولا حولا . كرم موئلا ومولى . أطلع مطالعكم سعودا ومطامعكم وعودا . وردكم الى معاد عائد محمود العوائد . ممدود الموائد موطا الوسائل والوسائد . مطهى (١) العصائد . موصد المصائد . الا واسعدكم رحمكم الله سامع سمع وأطاع . وعمل ما علم واسطاع . لامر الله ورسوله

(١) المطهي المطبوخ

المطاع . مما مولای رسول الله صلی الله علی علاه وسلم أودعه المسامع
ورواه آله اللآلئ اللوامع . لدى المعامع . مما هو معلوم لا معلول صح
مدا ولاودالا ومدلول . لطعام الطاعم لا لطمع الطامع . الا اطعموا
رحمكم الله السائر والسائل . واكسوا العاری والعائل . الا وأولاكم ولاءً
لاهل اللأواء . أولاد آدم وحواء . أهل اللحم والحلواء . كما الای حکم
حکمها . وأحكم محكمها . والمسلم السالم المحلل ما أحل الوحی المکرم والمحرم
ما الله ورسوله على أهله حرم . والله أسئل لی ولکم رد السداد والالهام
ودرء الالحاد والاوهام . والسلوك لاهدى المسالك . لا لادهى المهالك
لا اله الا هو الملك المالك ورحم الله امرءاً ادعا وما ادعا . وروى وارعوى
ووعى . وسعد وساعد ولصالح الاعمال سعى . ثم ان الخطيب جلس
جلسته المضروب بها المثل فی القصر . لا لاعیاء . ولا لعی ولا حصر
ولا للإفراط فی الحصر . وما کان الا کلمح البصر . حتى کر ثانیا لعنان
الخطابة ثانیا . وحرك من به وزره مثالثا ومثانیا . وقال . وما استثقل
ولا استقال . وکانما نشط من عقال . احمد الله وله الحمد کما هو اهله
وأصلی وأسلم علی طه محمد السامی علی کل هلال مهله . وعلی سائر الاده
وآله . ما آل امر الی مئاله . الله الله . سامحکم الله . ودعوا المطهر
اکمل وداع . وادعوا الاهکم أکرم مدعو لسائل وداع . وسلوا دوام
ملك امامکم الامام الاوحد . امام حد ما الله ورسوله لکم حد وعم عدله
وطوله کل احد . امام حمی حماکم . وحرس مالکم ودماکم . ودسر کل
مارد سام سماکم . امام علوی عالم . وملك سری سری ... ملء المعالی

والمعالم . العلم رأس ملكه . والعدل اساس ملكه . والسعد والحلم حامله
والرأى الاسد عامله . امام همام سعد آمه وآمله . ادام الله عصره
أسعد الاعصار . وادار على اعدائه . دوائر الاعصار . واعلى مصره على
سائر الامصار . والله احمد لى ولكم واصلى واسلم على روح الارواح
وعلى آله اكمام الادواح . ما كر سحر ورواح . وهمى مطر سماء وسماح
وسدد سمهرى رماح . قال الراوى ثم ان الخطيب ترجل بعد ما ارتجل
وقدسبق فى الميادين كل اغر محجل . واستلم اليد الشريفة التى عن تشبيه
اياديها بالبحر تجل . وقد لهجت بخطبتيه الالسنة . وطفقت لحلوهما من
الاعجام مستحسنة . حين التذت بهما الاسماع كما تلتذ الاجفان بالسنة
حتى كانهما ابلغ من خطبة زياد . ومصقع (١) المصاقع قس اياد . وانهما
خطيبتا اعراس لا خطبتا اعياد . زانهما العطل عن حلى الاجياد . او
رمكتا مضمار الضمر الجياد . فلما انثنى الموكب السلطانى تفديه الجحافل
وتؤدى الى ذاته النبوية هناءها المحافل . وتمترى من بركات دعواته
المستجابة الضروع الحوافل . فى الفرائض والنوافل . وقد قامت العساكر
المعسكرة صفا . وقصفت رعود الانباط النافضة قصفا . وعصفت
عواصف الزحام والاطيط (٢) عصفا . وعقدت السنابك من العثير (٣)
سحائباً غير هامية ولا هامعة . وبروق الاسنة من جوانبها بارقة لامعة
والابصار والاسماع رائية وسامعة . وقد رجع الجم الغفير على غير ما تاه
وهام كل حزب بما لديه وتاه . واصطحب كل فتى فتاه . اذ واتاه

---

١) المصقع البليغ ٢ الاطيط الصوت ٣ العثير التراب والعجاج

وتواصلت الارحام • وكثر الاسداء فى الزيارة والضيافة والالحام • من بنى سام وحام • يممت دار امامنا الخطيب مع غلمة من انجب تلاميذه وقد تفرغ لرغفان درمكه (١) وسميذه وتفرد فى بهو مزخرف • على سرير مرفرف • وبساط اعتدل واحرورف • فى روض أريض • قد ذال وريض وصف حسنه طويل عريض • وهواؤه صحيح ونسيمه مريض • وامامنا الخطيب • يتأود تاود الغصن الرطيب • وقد عبق من اردانه الطيب والاكواب موضوعة • والاكواس مرضوعة • والرقاب خضوعة وقد وصله من الحضرة الملوكية على حسن عروسيه المجلوتين عند الصلاة ماسنى له به تنقيطهما من سنى الجوائز والصلات • وما أصلت به مغمد الدواعى والبواعث اى اصلات • وهو ينشد ببال رخى وصوت رخيم ثناءً على ذلك الجناب العلوى العلوى الفخيم • ونداء لنادى نداه من غير ترخيم • ويقول

يا عيد مطلعك السعادة * بحمى له الخيرات عادة
بحمى امير المومنيـ * ـن بقيت ميمون الاعادة
ملك مدائحه غنى * حقا وخدمته افادة
سبط لا كرم مرسل * لولاه ما عرفت مجادة
من معشر ملكوا القلو * ب مع الزمان بلا مقادة
فاعظم به تاجاً لمفـ * ـرقهم وبالجيد القلادة
تاج المعالى والمعا * لم والعلوم المستجادة
بدر الهدى بحر الندى * اس السياسة والسيادة

(١) الدرمك دقيق الحوارى

اربى على المنصورفى * تلك الجلالة والجلادة
وحسامه السفاح أفـ * ـنى ذا الابابة بالابادة
ما شئت من علم وحلـ * ـم فى العبارة والعبادة
وهويت من حسن الحديـ * ـث روى ثقاة عن قتادة
وطلبت من عدل واحـ * ـسان شهامة او شهادة
هيهات تدرك مدحه * منى الاشارة والاشادة
ولو اننى فيه الـكميـ * ـت اوالفرزدق ذوالاجادة
وحبيب طى والرضى * والبحترى ابو عبادة
وابن الحسين اخو الفصا * حة والبلاغة لا البلادة
فله الهنا وله البها * بك بالزيارة والزيادة
والعز والنصر المعز * ز بالاراحة والارادة
ولتهن يا عيد عليـ * ـه بالرفادة والوفادة
عيد سعيد دائماً * عبد لسيد كل سادة

قال الفتح بن سعد فعلمنا ان امامنا خطيب مشاعر . وكاتب شاعر وحادى ايانق واباعر فهنيناه بازدياد اللهى . بعد الهناء بازدراد اللهى وانصرفنا وكل منا قد صار بمحاسن الممدوح . المقتبس منها حسن المادح مولعاً مـولها . والسنتنا رطبة بالدعاء . بعد افعام الوعاء : لهذا السلطان ؛ الذى يسلوا الغريب بحضرته الشريفة عن الاوطان . ولوالتقتا عليه حلقتا البطان . والسماء التى يسق منها ولا يشقى بها الاشيطان وحمدنا الله تعالى الذي احيا به موات الدين والادب . واقام به أود العلم والفضل

بعد ما احدودب . حتى نسلت اليه العلماء والادباء من كل حدب. وطار
كل منهم تحت ظلاله ودرج ودب . وصار مجازاً من اجازته السنية
وجوائزه السنية بالقنطار والاردب . انتهت

وله مقامة أخرى . أحرز بها فى مقام الادب شفوفاً وفخرا . وهى حكى
الحارث بن همام قال لم أزل أتقلب فى البلاد . تقلب الطارف والتلاد
وأتلون فى أطمار الغرباء . تلون الحرباء . يوماً بالعرب العرباء . وليلة فى
العجم العجماء ، وطوراً أندلسيا . وتارة طرابلسيا . وحيناً جنيا وساعة
إنسيا . الى ان طوحت بي للمغرب الاقصى سفرة . كادت ان تحطنى
الحفرة . فصغت الاهوال من معادن البر والبحر . وغصت ظلماتها
غوص اليراعة فى الحبر . فدخلت فاس حمئة شمس النبوءة . وخيمة المكارم
المكلوءة . أجمة ادريس بن ادريس ؛ الجمة ليوث الاقراء والتدريس
والحمة اللادغة بمعيارها التدليس . مجمع البحرين العلم والمال . وهامة
النحرين العمل والمال . والصر (١) قد حل بها والحصر . وبكت السماء
ولا بكاء الخنساء على صخر . والبرد قد ارغم الانوف : وأغرم الانوف
واستعذت له من المطارف الصنوف . والشتاء قد اطلع على العالم طالعاً
منحوسا . وصير العالمين مجوسا . فئاويت الى ركن الراحة وتبطنت
عباءة الاستراحة . بعد زيارتى الحرم ، ولا جرم . انه معاذ من اجترم
واستلمت تابوت السكينة المحترم . فلما تعاقب الاصباح والامساء. وقيل
يا أرض ابلعى ماءك ويا سماء ربحت الترهات والبنيات. وجلت فى الاعمال
بعد النيات . فاوجف اليل على بعض المساجد وكاب البيات . والسحاب

١» الصر بالكسر شدة البرد

قد استانف مداره : والقمر قد لقى سراره . فلم يعد مداره . فى ليلة ليلاء لايصدر عنها جنب . ولا يبصر الكلب فيها الطنب . فلما أديت تحية المجد . وتوسطت أسطوانات المسجد . اذا بزرافات مجتمعة . وآذان مصيخة مستمعة . قد احدقوا بشيخ مختصر . إحداق الخاتم بالخنصر يهذب الاذهان . من غير ادهان . وينشط العقول من العقال ويبسط بخفته من العويصات الثقال . فسمعته يقول ايها ايها المتجشمون مشاق التعليم . المحتشمون فى أخذ أظافير الجهل بالتقليم . إنما أتيتم لتحفظوا لا لتحفظوا . وأوتيتم لتعوا اذ تسمعوا . لا لتسمعوا فا كتبوا . ولا تنكبوا وحثوا . لتحدثوا . وتعلموا التعلموا . واصبروا لتبصروا . فانكم حضرتم لتحضروا ! . لا لتحظروا . فلا تضجروا . وإياكم والكسل فان من توانى توى . ومن تهاون هوى . ومن مل . زل . وان داعية الملل للاعمال مفسدة . ولا داعية الملل للافئدة . فتيقظوا . ولا تغيضوا . فتتغيظوا فان العلم عروس لا يرضيها الا افناء ميعة (١) الشباب مهدا ولا يواصلها الامن رد سائل نفسه نهرا . ويتيم شهوته فى سلك خيط التحجير قهرا واعلموا ان المعلم كالطبيب . بما عدا المواساة والمواتات نفسه لا تطيب فانفقوا لتنفقوا . وتناسقوا ولا تتنافقوا . وتحاموا الحسد . كما يتحامى الجرب الجسد . وكونوا كلئالىء السمط . ولا تكونوا كاسنان المشط وتعاونوا على البر والتقوى . فانهما العروة الوثقى . والركن الاقوى . قال الراوى فلما فضت نفثاته السحريه . وضفت نفاثاته الشحرية . حلت الجماعة له الحبا . بعد ان عقدت عليه الحبا . فازدحمت معها لتقبيل كفيه

١) ميعة الشباب والنهار اولهما

والتبرك بما يتفله من بين فكيه . فلم تكن منفضة . الا بعد بذلها اليه الفضة . ولا منها من ذهب . الا بعد إعطائه الذهب . فقال يا بنى ليس بالقبل . تقبل . ولا بالبوس . ينجلى عنك البوس . فامعنت فيه النظر فاذا هو ابو زيد السروجى . ذو اللجاج الحجاجى والاحتجاج السريجى . فلما عرفنى تبسم . فتعاميت عما توسم . الى ان فرغ بعد غرب الكارعين من الرا كعين الورد . وقد تفتح الياسمين فى وجنات الشيخ والورد . فلم اتمالك نفسى حتى عانقته معانقة الغصن الصبا . وعاقتنى العبرة عن تتميم أبا فقال دع فى بيتها التصلية والبكاء وهلم عد لمبيت التصدية والمكاء فقلت قاتلك الله او تخبرنى . قال اخبرك وأجبرك فانى أرى جناحك مهيضا فقف نهوضا . فصاحبته الى خمه . (١)وكن سكونه وضمه . وطفقت أفنده على استلذاذ قند التعليم . وأقول له اوما ذلك لوجه الخلاق العليم فقال عد عن القند ودونك النقد . من صير فى جوهرى . ثم أنشد بصوت جهورى (٢)

لا تعجلن بلومة الله * يث الهصور على الرشا (٣)
فالدهر الجانى الى * أخذى على العلم الرشا (٤)
وأخو التعلم ماتح * لابد ان يلقى الرشا (٥)

ثم أخذنا نقص أعاجيب الفراق والتلاقى . حتى بلغت روح اليل التراقى فودعته وودعنى . وأودعنى من مر نواه ما أودعنى انتهت يوم الجمعة ١٣ من رمضان المبارك عام ١٣٢٣ قال وقد سميتها بالمقامة الادريسية

١» الخم بالضم قفص الدجاج ٢ جهوري عال ٣ الرشا بالفتح الظبي ٤ الرشا بالضم ج رشوة الجعل
٥» الرشا بالكسر الحبل

فجاءت ببركة المذكور فيها رضى الله عنه غاية فى هذا حسبما يظهر للناقد البصير والله الموفق قلت

هى كالمقامة الحريرية الاولى نفساً ونسقا . وزهراً وورقا . وأحكاماً وتاسيسا . وابداعاً وتجنيسا . فلو لم تكن المقامات المذكورة مقصورة على الخمسين . مشهورة بالحفظ والتدوين لقيل هذه منها . ولم تتميز عنها فتبارك الله أحسن الخالقين . مؤيد من شاء بالهدى الواضح والفتح المبين

الله يعطى من يشا * ءفلا تكن متعرضا

وهذا آخر ما تفتحت عنه كمائم التيسير . وسجعت به حمائم التعبير . مع فراغ جيب التحصيل . واستطالة سلطان الحصر فى مواقف التفصيل على أنى لم اؤلف فى فن تشعبت طرائقه . وتشبثت بالبحث والخلاف علائقه . إنما هى ثمرات اوراق التقطتها . وفاكهة وقتية ادخرتها من كل نادرة خفيت على العموم وان علمها الخصوص . ونبا لم يكن فى كتب الاخبار بمنصوص وشعر يلاحظ قائله . او يستمد منه ناقله . ونثر تحلى به أجياد المحاضرة . وتجلى به أكواب المذاكرة وليس لى فى تاليف هذه الاصول الامزية الجمع وزينة السجع . مع سلوك طريق السلامة والنظر الى قول ابى دلامة .

اذا الناس غطونى تغطيت عنهم * وان بحثوا عنى ففيهم مباحث

وان نبثوا بئرى نبثت بئارهم * ليعلم قوم كيف تلك النبائث

واستغفر الله العظيم من كل خطاء وتقصير . طغى به قلم التحرير . إنه ولى العفو والجود . والرحمة التى وسعت كل موجود

ای امرئ ما ساء قط * ومن له الحسنى فقط

محمـد الهادی الذی * علیه جبریل هبط

صلی الله علیه وعلی آله وصحبه وسلم . ومجد وکرم

وکان الفراغ منه عشیة الاربعاء الثامن والعشرین من

شعبان المعظم عام اثنین وثلاثین وثلاثمائة والف

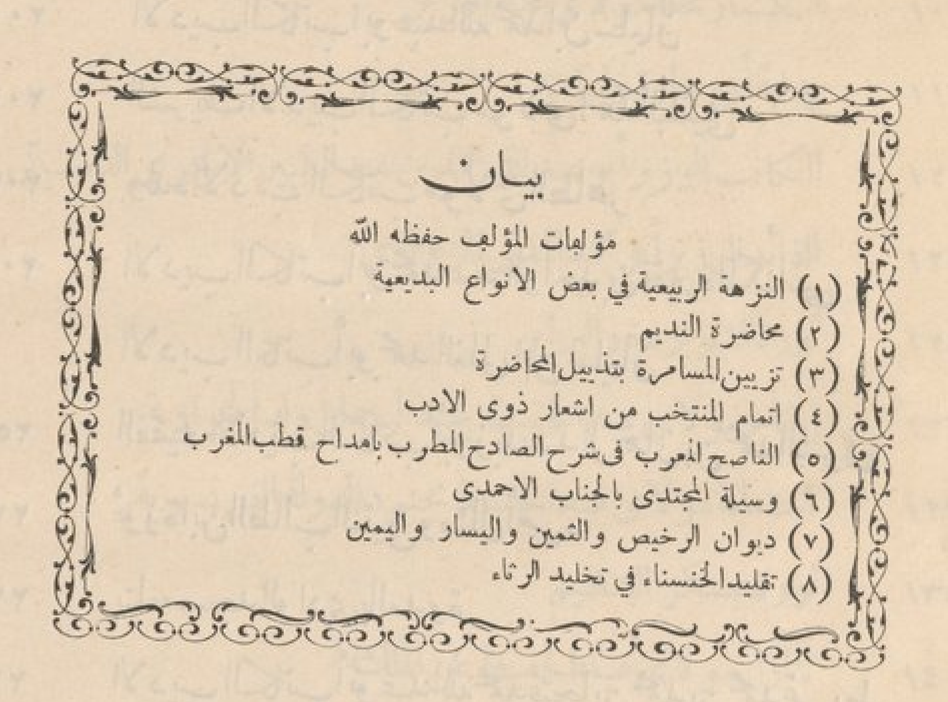
وصلی الله علی سیدنا محمد وآله وصحبه

وسلم تسلیما



﴿ فهرسة كتاب فواصل الجمان * فى أنباء وزراء وكتاب الزمان * ﴾

تمت



بيان

مؤلفات المؤلف حفظه الله

(١) النزهة الربيعية في بعض الانواع البديعية
(٢) محاضرة النديم
(٣) تزيين المسامرة بتذييل المحاضرة
(٤) اتمام المنتخب من اشعار ذوى الادب
(٥) الناصح المعرب فى شرح الصادح المطرب بامداح قطب المغرب
(٦) وسيلة المجتدى بالجناب الاحمدى
(٧) ديوان الرخيص والثمين واليسار واليمين
(٨) تقليد الخنساء في تخليد الرثاء

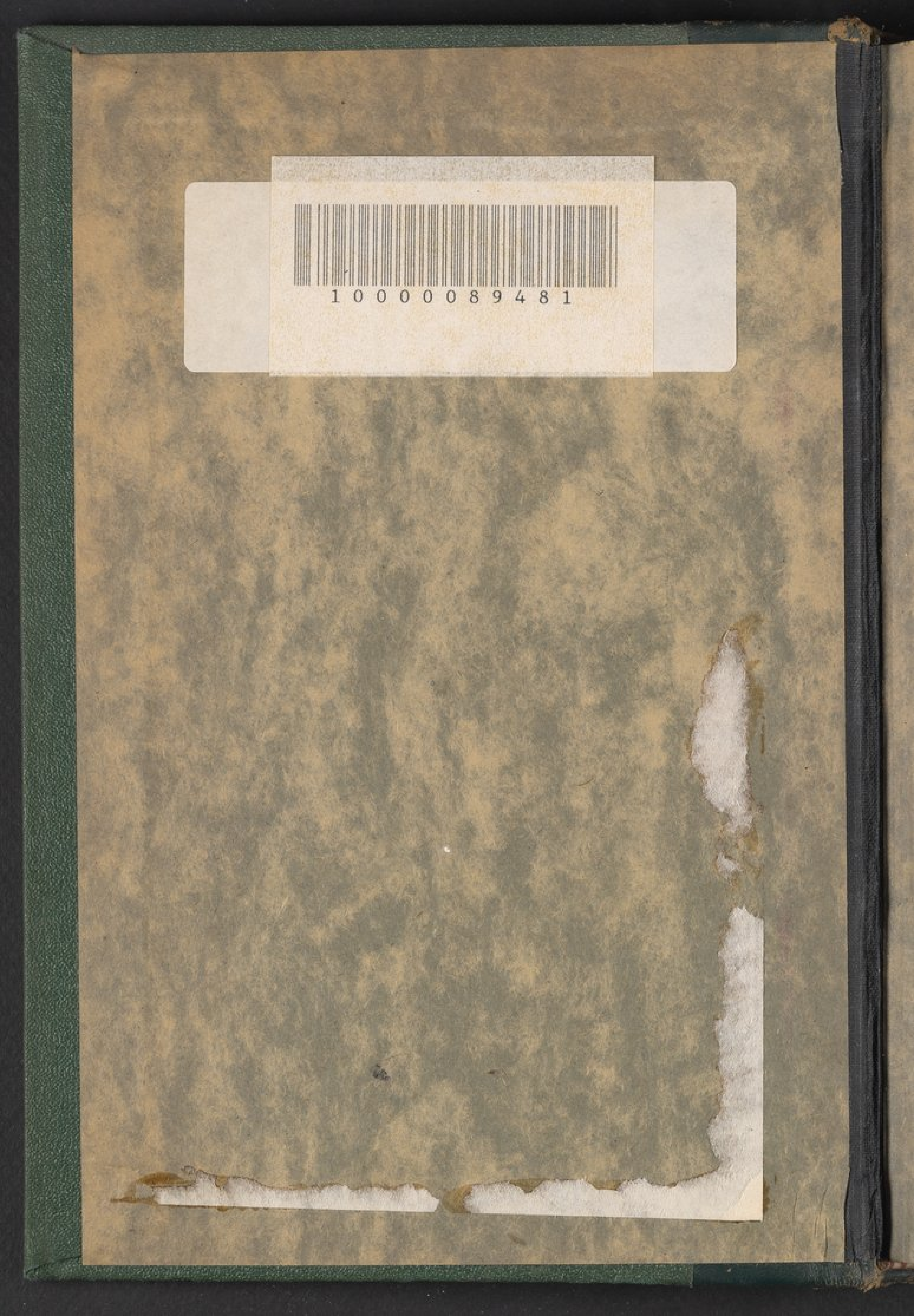
الحمد لله رد ما وقع فى طبع هذا الكتاب من الخطا الى الصواب

صحيفة	سطر	خطا	صواب
٥	١٥	ثم ان	ثم رأيت
٨	٦	نضره	نظره
	٢٠	المناشب	المناسب
٩	٥	اخد	اخذ
١١	١٣	اذايته لذلك	اذايته نافذا
	١٥	يدمها	يذمها
١٢	١٢	الحرام	الحرم
١٣	٦	ضل	ظل
	١٠	السوابق	السوائق
		المغدس	المغرس
١٥	٨	حطارفا	مطارفا
	١٨	منيراً	منبرا
١٦	١	لفضها	لفظها
	٩	شهده	شهرة
١٧	١٨	معدس	معرس
١٨	٦	الجوائح	الجوانح
		تبعة	بقعة
١٩	١٣	افاء	اباء
٢٣	٧	بن	ابن
٢٤	٦	صوف	صوب
	١٠	اخلاف	اخلاق
٢٥	٣	الاغراف	الاعراق
		الاخلاف	الاخلاق
	٥	وانضر	وانظر
٢٦	١١	يعقبه	الفجر
	١٢	ولله	والله
٢٧	٥	لرفع	لدفع
	١٣	المنتضيء	المستضيء
٢٩	٥	التناء	الثناء
٣١	٤	الحواوك	الحوارك
	٨	سوامت	شوامت

صحيفة	سطر	خطا	صواب
	١٣	الغالى	القالى
٣٢	٤	نخبط	يخبط
٣٤	١٢	ارسخ	راسخ
	١٦	ادب	الادب
٣٥	٣	نصب	قصب
٣٧	١٧	وكعب	ولعنب
٤٠	٣	الوزيز	الوزير
	٤	العمراوي	العمروى
٤٢	٣	ملو	من
٤٤	١٤	الوزير	لوزير
	١٧	راحتة	راحته
٤٥	٥	حرفته	حرمته
٤٦	١٢	حدته	حومته
٤٧	١٩	عيد	عبيد
٥٢	١٥	اد	زاد
٥٤	١٠	وحبا	وجبا
٥٦	١٦	ساداة	سادة
٥٨	٩	الارض	الارضى
٦٣	٧	مجارته	مجاراته
	١٣	أبطال	إبطال
٦٨	١١	بذليل	تذيل
	١٦	العيون	الغبى
	١٩	غالى	عالى
٦٩	١٤	تقريط	تفريط
٧٤	٦	غدائده	غدائره
	١٧	نصب	نصه
٧٨	١٠	يجيرنا	يجدينا
٧٩	١	الظر	الظهر
٨١	١٣	قديما	نديما
٨٤	٥	اساوت	اسارت
٨٥	٢	السحراء	الصحراء

صحيفة	سطر	خطا	صواب
٨٥	١١	وبندم	وينعدم
	١٧	الوارد	الواردة
٨٩	١	سجاعته	شجاعته
٩٠	٨	ألمجن	المجن
٩١	١٢	حدش	خدش
٩٣	٤	شبات	شباة
٩٤	١	ءامين	ءامنين
	٩	يجل	يحل
٩٥	٤	مند	منذ
	١٢	انحرفها	انحرافها
	١٣	أجر	إجراء
١٠٣	١٤	رفع	ربع
١٠٤	٥	الاغثياء	الاغنياء
١٠٧	٥	اعونه	اعوانه
١١٠	٢	بالاضلام	بالاظلام
	١٦	حضى	حظى
١١٦	٢٠	نقش	بغش
١١٩	٢	البدية	البرية
	٦	انى	اعنى
١٢٨	٣	يرد	برد
	١١	جابته	اجابته
١٣٥	١	نظامه	نظامها
١٣٦	٣	أعمالها	إعمالها
١٤٦	٨	الضميم	الصميم
١٤٩	٩	بور	بوتو
١٥٢	٢	حاشاه	حشاه
١٥٣	٩	قوم	قدم
١٦٠	٢٠	البقاع	القاع
١٧٨	١٢	بادءى	بارءى
١٨١	١٠	افكاره	ابكاره
١٨٢	١٣	الجفاء	الخفاء
١٨٦	٩	جذاذ	جذاد

صحيفة	سطر	خطا	صواب
١٨٨	٦	السفارة والمراسلة	وامتدت بينه وبين الدول حبال السفارة والمراسلة
	٨	أنافته	إنافته
١٩٠	٧	اذ كانا عليه مستبدين	وجلب المنافع دونه مستعدين
١٩٣	١٨	اعادت	عادت
٢٠١	١٥	الامثل	الاسل
٢١١	١٣	يلعن	يعلن
٢١٩	٢	الموجودة	الموجدة
٢٣٠	٣	شفوق	شفوف
٢٣١	١٠	حبدا	حبذا
٢٤١	٣	مهيتها	ماهيتها
٢٤٢	١	الخلق	الخلف
		خسير	حسير
٢٤٥	١	العضمى	العظمى
٢٦٤	٩	الشنبل	الشبل
	٤	لحباف	لحباق
٢٦٥	١٣	العب	اللعب
٢٦٧	١٥	عيشه	عيثه
٢٧٦	١٨	تجم	نجم
٢٧٧	١١	كفا	كفأ
٢٧٨	٦	عرب	عرق
	١٣	لباطل	بالباطل
٢٧٩	١٥	الضغير	الصغير
٢٨١	١	الشرق	الشرب
	٦	والدهز	والرهز
٢٨٢	١٨	نصيد	نضيد
٢٨٣	٦	نه	أنه
٢٨٤	٦	التخليص	التنخيص
٢٩١	١٧	الاهنى	الاهنا
٢٩٢	١٢	اشدت	شدت


10000089481

